علم النفس المعاصر
في
ضوء الإسلام

تأليف

الدكتور محمد محمود محمود

أستاذ علم النفس المساعد
كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية
بأبها



للنشر والتوزيع والطباعة

علم النفس المعاصر
في
ضوء الإسلام



الطبعة الاولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م



للنشر والتوزيع والطباعة

تليفون الادارة العامة ٦٨٧٣٠٧٧
فرع البغدادية ٦٤٢٦٦١٠ ٦٤٤٣٥١٨
فرع كيلو ٣ طريق مكة ٦٨٧٢٨٠٠

ص.ب : ٤١٤٦ جدة ٢١٤٩١ برقياً مشكاتنا
تلكس SJ ٤٠١٢٠٩
جدة - المملكة العربية السعودية

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

"الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان"

صدق الله العظيم



إهـــداء

إلى مَنْ حَمَلتْنِي وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ،

إلى مَنْ سَهِرَتْ عَلَى رَاحَتِي صَغِيرًا،

إلى مَنْ حَرَصَتْ عَلَى مُسْتَقْبَلِي كَبِيرًا،

إلى مَنْ أَهْدَتْ إلَيَّ دُعَائِهَا وَرِضَاهَا،

إلى مَنْ جَعَلَ اللهُ الْجَنَّةَ تَحْتَ أَقْدَامِهَا،

إلى أُمِّي الحَبِيبَةِ.

عِرْفَانًا مِنِّي بِحُسْنِ صَنِيعَهَا،

أُهْدِي هَذَا الجُهْدَ المتَوَاضِعَ..

المؤلف

مقدمـــة

الحمد لله الذي أنزل كتابه منهاجاً للمعرفة وتبياناً لكل شيء ، وأرسل رسوله نبراساً للهداية ورحمة للعالمين ، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله وحامل أكمل رسالاته ، محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن سلك طريقه النيِّر واتبع سُنَّته الشريفة وانتهج منهاجه القويم إلى يوم الدين .

أما بعد ، فليس هذا الكتاب تأليفاً بالمعنى الذي قد يفهمه البعض ، ولكن المؤلف هنا ينظر نظرة جديدة لعلم النفس ، تتيح للوقائع القائمة أن تتبدى من خلال تفسيره للظواهر النفسية في ثوب جديد ، وفي صورة إسلامية عصرية ، وهي النظرة الاسلامية العصرية لعلم النفس . من هذا المنطلق عمل المؤلف قصارى جهده ليضع بين يدي القارئ هذا الجهد العلمي الاسلامي ، ليكون على الصورة التي هي عليها الآن ، غير مدَّعٍ لها الكمال ، فالكمال لله وحده لا شريك له ، وإنما هو جهد متواضع أقدمه لزملائي وأبنائي في أنحاء العالم الاسلامي ، كتجربة رائدة جديدة في هذا الميدان .. والهدف الأول والأخير ، هو إقتران العلم بالايمان ، تلبية لأمر الله تعالى في ذلك ، وتيمناً بهدى رسوله الكريم ﷺ . فلا يوجد دين يحض أتباعه على إعمال الانتباه والادراك والتذكر والتفكر في كون الله الخارجي المادي وفي كونه الداخلي ، النفس البشرية ، كما فعل الاسلام الحنيف حتى أنه اعتبر أن طلب العلم فريضة على

كل مسلم ، ولا غرو فنحن أول أمة إستهل دستورها بـ « إقرأ » . ولم يغفل هذا الكتاب النظريات الوضعية ، بل عرضها ليبين محاسنها ومساوئها من منطلق القرآن الكريم ، وما صح عن رسول الله ﷺ .

هذا ، ويغطي الكتاب الموضوعات الأساسية في ميدان علم النفس في ثلاثة عشر فصلاً ، تتناول أساس البناء النفسي للانسان ، وموضوع علم النفس والمراحل التي مر بها ، ومناهج البحث في علم النفس ، وأبعاد السلوك الانساني ، والدوافع ، والانفعالات والعواطف ، وظاهرة النمو ، والتعلم ، والقدرة العقلية ، والعمليات العقلية المعرفية ، والفروق الفردية ، والصحة النفسية ، وأخيراً موضوع الشخصية . وهذه موضوعات رئيسية يجب أن يحيط بها دارس علم النفس .

والكتاب في صورته الحالية يفيد إن شاء الله طلاب الكليات الاسلامية في أنحاء العالم الاسلامي ، لأنه يلقي الأضواء على السلوك الانساني ، وخاصة الجوانب النفسية والاجتماعية والشخصية من المنظور الاسلامي .

ووفاءً بالجميل يتقدم المؤلف بخالص الشكر وعظيم التقدير لفضيلة الدكتور عبد الله بن عبد العزيز المصلح مدير فرع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالجنوب . وسعادة الدكتور عبد الرحمن بن إبراهيم الضحيان عميد كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالجنوب . وكذلك سعادة الدكتور سعد بن حسين عثمان وكيل كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالجنوب . لما قدموه من أصدق العون والتشجيع والمشورة ، الذي كان هادياً ودافعاً للمؤلف في رحلته الطيبة بين صفحات هذا الكتاب ، فلهم جميعاً خالص الشكر وعظيم التقدير .

كما يتقدم المؤلف بخالص الشكر والتقدير لكل من ساهم بعون أو نصح أو توجيه سديد ، فلهم جميعاً وافر الشكر وعظيم التقدير . وأخص

بالشكر فضيلة الدكتور عبد العزيز بن على الغامدى عميد كلية الشريعة وأصول الدين بالجنوب .

ولا يفوت المؤلف أن يتقدم بأصدق آيات الشكر والتقدير إلى رفيقة كفاحه أم عمرو لما بذلته وتبذله من جهد شاق، وتشجيع مستمر لاتمام خير الأعمال ، فلها أخلص وأصدق مشاعر الشكر والتقدير .

وأخيراً أرجو من الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت خيراً في تقديم هذا الجهد المتواضع ، وأن يكون في هذا الكتاب إن شاء الله النفع والفائدة التي ننشدها لأبنائنا الدارسين في أنحاء العالم الاسلامي الكبير .

والله ولي التوفيق ،،،

أبها في ١٤٠٤ هجرية **المؤلف**

الموافق ١٩٨٣ ميلادية **د . محمد محمود محمد**

الفهـرس

الفصل	الموضوع	الصفحة
مقدمـة		٦
الفصل الأول	: أساس البناء النفسي للانسان في القرآن	١٩
	● خلق آدم عليه السلام .	٢٠
	● طبيعـة الانسـان .	٢١
	● النفس والروح في القرآن .	٢٩
	● محاسـبة النفـس .	٣٢
	● الاسلام وتهذيب النفس .	٣٢
الفصل الثاني	: موضوع علم النفس والمراحل التي مر بها	٤٠
	● نبذة تاريخية عن علم النفس .	٤٠
	● نبذة تاريخية عن بعض الدراسات الاسلامية القديمة	٤٤
	● موضـوع علـم النفـس .	٤٦
	● تعريـف علـم النفـس .	٤٦
	● أهـداف علـم النفـس .	٥٣
	● فـروع علـم النفـس .	٥٤
	● علاقة علم النفس بالعلوم الأخرى .	٦٠

الفصل	الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث : مناهج البحث في علم النفس ٦٧

- مقدمة . ٦٩
- الطرق العامة في البحث . ٧٠
- المنهج الذاتي . ٧٠
- الاسلام والمنهج الذاتي . ٧١
- المنهج الموضوعي . ٧٢
- الاسلام والمنهج الموضوعي . ٧٤
- المنهج التتبعي . ٧٤
- الأسلام والمنهج التتبعي . ٧٥
- المنهج العيادي . ٧٦
- الاسلام والمنهج العيادي . ٧٨
- المنهج التجريبي . ٨٠
- الاسلام والمنهج التجريبي . ٨٤
- الطرق الخاصة في البحث . ٨٥
- عينة البحث . ٨٥
- الملاحظة . ٨٦
- التجريب . ٨٧
- المقابلة . ٨٨
- الاستفتاء . ٩١
- الاختبارات النفسية . ٩٢
- مدارس علم النفس . ٩٥
- المدرسة السلوكية . ٩٦
- المدرسة الغرضية الفرضية . ٩٦
- مدرسة التحليل النفسي . ٩٧
- المدرسة الاسلامية . ٩٨

الفصل	الموضوع	الصفحة

الفصل	الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع	: أبعاد السلوك الانساني .	١٠١
	● مقدمة .	١٠٢
	● البعد الداخلي (الوراثة) .	١٠٣
	● الأسس الفسيولوجية للنشاط الانساني .	١٠٤
	● الجهاز العصبي .	١٠٤
	● الجهاز الغدي .	١١٢
	● الاسلام والاهتمام بالوراثة .	١١٦
	● البعد الخارجي (البيئة) .	١١٧
	● مؤثرات جغرافية .	١١٨
	● مؤثرات تاريخية .	١١٨
	● مؤثرات إجتماعية .	١١٩
	● مؤثرات ثقافية .	١١٩
	● مؤثرات نفسية .	١٢٠
	● الاسلام والاهتمام بالبيئة .	١٢٠
الفصل الخامس	: الدوافع	١٣١
	● مقدمة .	١٣٢
	● تعريف الدوافع .	١٣٣
	● الوظائف الأساسية للدافع .	١٣٤
	● أنواع الدوافع .	١٣٦
	● الدوافع الأولية الفطرية .	١٣٧
	● الدوافع المكتسبة الشعورية .	١٤٧
	● الدوافع المكتسبة اللاشعورية .	١٥٥
	● الحيل الدفاعية .	١٥٧
	● الاسلام وتوجيه الدوافع .	١٦٣

الفصل	الموضوع	الصفحة

الفصل السادس : الانفعالات والعواطف . ١٦٧

ـ أولاً : الانفعالات :

- مقدمة . ١٦٨
- تعريف الانفعال . ١٦٨
- التغيرات المصاحبة للانفعال . ١٦٨
- طرق تعلم الانفعالات . ١٦٩
- أمثلة لبعض الانفعالات . ١٧٧
- إنفعال الغضب . ١٧٧
- إنفعال الخوف . ١٨٣
- إنفعال الحسد . ١٨٦

ـ ثانيا : العواطف : ١٩٠

- مقدمة . ١٩١
- تعريف العاطفة . ١٩١
- تكوين العاطفة . ١٩٣
- أهمية العاطفة . ١٩٣
- أنواع العاطفة . ١٩٤
- الاسلام والعاطفة . ١٩٦

الفصل السابع : النمو ، مفهومه وخصائصه ومراحله المختلفة . ٢٠١

- مقدمة . ٢٠٢
- أهداف دراسة النمو . ٢٠٣
- تعريف النمو . ٢٠٤
- مظهرا النمو . ٢٠٤
- جوانب التغير في النمو . ٢٠٤
- الخصائص العامة للنمو . ٢٠٦

الفصل	الموضوع	الصفحة
	● العوامل التي تؤثر في النمو .	٢١١
	● مراحل النمو .	٢١٧
الفصل الثامن	: التعلم .	٢٢٧
	● مقدمة .	٢٢٨
	● معنى التعلم .	٢٢٩
	● تعريف التعلم .	٢٣١
	● شروط التعلم .	٢٣٢
	● النضج .	٢٣٣
	● الممارسة .	٢٣٥
	● الدافعية .	٢٣٥
	ـ نظريات التعلم .	٢٣٧
	● أولاً نظرية بافلوف .	٢٤٣
	● ثانياً نظرية جاثري .	٢٤٤
	● ثالثاً نظرية ثورنديك .	٢٤٧
	● رابعاً نظرية الجشتالت .	٢٥٤
	● خامساً نظرية كلارك هل .	٢٥٩
	● سادساً نظرية سكينر .	٢٦٤
	● العوامل المساعدة على التعلم الجيد .	٢٦٨
	● نتائج التعلم .	٢٧٠
الفصل التاسع	: القدرة العقلية .	٢٧٥
	● مقدمة .	٢٧٥
	ـ أولاً : القدرة العقلية العامة (الذكاء)	٢٧٧
	● قياس الذكاء .	٢٨٠

الفصل	الموضوع	الصفحة
	● طبقات الذكاء .	٢٨٢
	● الذكاء والنجاح الدراسي .	٢٨٤
	● الذكاء والنجاح المهني .	٢٨٥
	● الذكاء والتوافق الاجتماعي .	٢٨٦
	● إختبارات الذكاء .	٢٨٧
	ـ ثانياً : القدرات الطائفية	٢٩٣
	● القدرة الطائفية والاستعداد الخاص .	٢٩٣
	● قياس الاستعداد الخاص والقدرة .	٢٩٤
	● الاستعداد اللغوي .	٢٩٤
	● الاستعداد الرياضي (الحسابي) .	٢٩٦
	● الاستعداد الميكانيكي .	٢٩٧
	● الأهمية العملية للقياس العقلي .	٢٩٨
الفصل العاشر	: العمليات العقلية المعرفية .	٣٠١
	ـ أولاً : الادراك .	٣٠٣
	● شروط حدوث عملية الادراك .	٣٠٥
	● العوامل الذاتية .	٣٠٦
	● العوامل الموضوعية .	٣٠٨
	ـ ثانياً : التفكير .	٣١٠
	● التفكير والادارك .	٣١٢
	● التفكير والذكاء .	٣١٣
	● التفكير والتذكر .	٣١٣
	● التفكير والتخيل .	٣١٤
	● مراحل التفكير .	٣١٤
	ـ ثالثاً : التذكر .	٣١٥

الفصل	الموضوع	الصفحة
	● الاسترجاع .	٣١٦
	● التعرف .	٣١٧
	● العوامل الميسرة للاسترجاع .	٣١٨
	● العوامل الذاتية .	٣١٨
	● العوامل الموضوعية .	٣١٩
	● النسيان .	٣٢٠
	● أسباب النسيان .	٣٢١
الفصل الحادي عشر	: الفروق الفردية .	٣٢٥
	● مقدمة .	٣٢٦
	● أنواع الفروق الفردية .	٣٢٩
	● تعريف الفروق الفردية .	٣٣٠
	● نشأة القياس في الفروق الفردية .	٣٣٠
	● توزيع الفروق الفردية .	٣٣٢
	● وجوب مراعاة الفروق الفردية .	٣٣٣
الفصل الثاني عشر	: الصحة النفسية .	٣٣٥
	● مقدمة .	٣٣٦
	● تعريف الصحة النفسية .	٣٣٦
	● الصحة النفسية والأسرة .	٣٣٨
	● الصحة النفسية والمدرسة .	٣٤٠
	● الصحة النفسية والمجتمع .	٣٤١
	● مظاهر الصحة النفسية .	٣٤٢
	● الصحة النفسية والتكيف .	٣٥٠
	● التكيف الشخصي .	٣٥٠
	● التكيف الاجتماعي .	٣٥١

الفصـــل	الموضــــوع	الصفحة
	● التكيف وعلاقته بالاحباط .	٣٥٣
	● الصحة النفسية والصراع .	٣٥٦
الفصل الثالث عشـــر	: الشـخصـيـة .	٣٦١
	● مقـدمـة .	٣٦٢
	● العوامل المؤثرة في الشخصية .	٣٦٥
	● العوامـل الوراثيـة .	٣٦٦
	● العوامـل البيئيـة .	٣٦٧
	● نظريـات الشخصـيـة .	٣٦٨
	● نظريـة الأنمـاط .	٣٦٨
	● نظريـة السـمات .	٣٧١
	● نظريـة العوامـل .	٣٧٤
	● الأسس النفسية لشخصية المؤمن .	٣٧٦
	● إضطرابـات الشخصـيـة .	٣٨٦
	● الأمـراض العصابيـة .	٣٨٦
	● الأمـراض الذهانيـة .	٣٩٧
	● العـلاج النفسـي .	٤٠٢
	● الطـرق الدنياويـة .	٤٠٣
	● الطـرق الدينيـة .	٤٠٥
	● أسـلحة المؤمـن .	٤١٠
	● طـرق قيـاس الشخصيـة .	٤١٢

الأشكال والجداول والرسوم البيانية

رقم الشكل	الموضوع	الصفحة
١	الخلية العصبية .	١٠٥
٢	الوحدة العصبية .	١٠٧
٣	شكل عام للجهاز العصبي .	١٠٨
٤	منظر جانبي للدماغ .	١١٠
٥	منظر خلفي للدماغ .	١١٠
٦	فصوص المخ ومناطقه الحسية والحركية .	١١٠
٧	صورة تعبر عن إنفعالات مختلفة .	٢٨٣
٨	شكل توزيع الذكاء .	٢٨٣
٩	منحنى التوزيع الاعتدالي .	٣٣٢
١٠	جدول الفروق بين القلق والخوف .	٣٨٧
١١	جدول الفروق بين المرض النفسي والمرض العقلي .	٣٩٧

الفصـل الأول
أساس البناء النفسي للانسان في القرآن الكريم

﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾

(الملك : ١٤)

- مقدمـــة .
- خلق آدم عليه السلام .
- طبيعـة الانســـان .
- النفس والروح في القرآن الكريم .
- محاســبة النفــــس .
- الاسلام وتهذيب النفس .

الفصـل الأول

مقـدمـــة :

في كتاب الله عز وجل دعوة صادقة إلى التعمق في طبيعة الانسان البشري ، دوره ، وظيفته ، ومصيره في هذه الحياة الدنيا التي يعيشها ، من هنا وجب على دارس العلوم الانسانية على وجه العموم وعلم النفس على وجه الخصوص أن يتفهم أول ما يتفهم ، الطبيعة الانسانية للنفس البشرية ، وحتى تنطلق دراساته عن فهم واقعي وصحيح وشامل للنفس البشرية .

خلق آدم عليه السلام :

الانسان ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فَقَعُوا له ساجدين ﴾ .

(ص : ٧١ ــ ٧٢)

خلق من قبضة من طين ، ونفخة من روح الله تعالى[١] . ويقرر العلم الحديث أن جسم الانسان مكون من نفس العناصر التي يتكون منها طين الأرض ، مثل الأكسجين والأيدروجين والكربون والحديد والكالسيوم إلى غير ذلك من العناصر التي تتكون منها تربة الأرض .

---

(١) محمد قطب : دراسات في النفس الانسانية . بيروت : دار الشروق ، ١٩٧٤ ، ص ٤٣ .

قبضة الطين هذه التي خلق منها الانسان تتمثل في مختلف مطالب الجسم الحيوية اللازمة لحفظ بقاءه . ففي ظاهرتا الجوع والعطش مثلاً يقرر العلم الحديث أنهما أمران يرجعان في الأصل إلى التركيب البيولوجي لجسم الانسان . أيضاً النشاط الجنسي والتنفسي والاخراج .. إلى غير ذلك من الدوافع الفطرية ، هي في الأصل أنشطة حيوية تتعلق أساساً بجسم الانسان .

هذا يمثل الجانب المادي من الانسان ، أما الجانب الروحاني للانسان « نفحة من روح الله » فيتمثل في كل المعنويات التي يمارسها في حياته ، فالخير والبر والرحمة والتعاون والاخاء والمودة والصدق والأمانة والعدل والايمان بالله تعالى وبكل المثل العليا والعمل على تحقيقها في واقع حياته ، كل ذلك سلوكيات روحانية معنوية غير مادية أي لا تدركها الحواس ولكن يستدل عليها من آثارها في الواقع المحسوس .

هذان اللونان من السلوك الانساني (المادي والروحي) أهم ما يميزان النشاط البشري ، وهما في واقع الأمر حقيقة واضحة ومشهودة في البناء النفسي للانسان كمظهر من مظاهر الازدواج في طبيعته .

طبيعـة الانســان :

إن أبرز ما في الكيان البشري ، أنه كيان مزدوج الطبيعة ، هذا الازدواج خصيصة تفرد بها الانسان على سائر مخلوقات الله تعالى سواء الحيوانات أو الملائكة .

فالحيوان مخلوق ذو طبيعة واحدة . هذه الطبيعة تتحدد بحدود تصرفاته الغريزية ، فجسم الحيوان هو مصدر طاقته السلوكية وغرائزه هي الموجه له ، بل إن تصرفاته الغريزية هي عالمه بأكمله . فنرى أن الحيوان يأكل حين يستثيره

دافع الجوع ، ويمسك عن الطعام حين تقرر له غريزة الأكل حد الاكتفاء . كذلك ينشط جنسياً في موسم معين ، ليس له دخل في إختيار ذلك الوقت وإنما يسلك بتوجيه من غريزته . ثم نجده يكف عن النشاط الجنسي في موعد محدد ، لا يختاره هو ولا يدرك مغزاه ، وحتى لا يملك لنفسه المقدرة على مخالفته . وقس على ذلك كل سلوك يأتي به الحيوان ، لا يكون سلوكاً أو تصرفاً ذاتياً نابعاً عن إرادته ، وإنما في المقام الأول يعتبر ذلك السلوك الذي يأتي به كاستجابة مباشرة لدوافع فطرية أولية لا يملك مقاومتها ، ولا يمكنه حتى مجرد التفكير في إرجاء إشباعها ، فهو يستسلم تماماً لكل ما تمليه عليه الغريزة .

وبناء على ذلك يعتبر الحيوان ذو طبيعة واحدة ، تعمل في إتجاه واحد فقط ، هو إشباع حاجاته الجسمية فحسب .

أما عن خلق الملائكة ، فقد حدثنا القرآن الكريم بأنها سبقت خلق آدم عليه السلام ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ... ﴾

(البقرة : ٣٠)

هذا يعني أن خلق آدم كان مسبوقاً بأنواع أخرى غير بشرية ، منها الملائكة التي لا نراها ولا ندركها نحن البشر . هذه الملائكة تخضع لنواميس خاصة بها غير التي يخضع لها النوع الآدمي ، حيث تُسيّرها الارادة العليا فتأتمر بها في خضوع وإذعان ، دون أن تبتلى بحرية إرادة أو إختيار ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾

(التحريم : ٦)

فالمَلَكَ إذن مخلوق ذو طبيعة واحدة . فهو يعيش في نطاق روحه ويطيع أمر الله تعالى بلا إرادة منه أو تصرف ذاتي ، ومفطور على الطاعة الكاملة لله

سبحانه وتعالى . والمَلَك من وصفه الذي نعرفه به ليست له غرائز جسمية ، لأن الملائكة ليست لها أجسام مادية . وإن كان لها غرائز روحية سامية تعمل بوحي وبتوجيه من الله عز وجل . فهي مخلوقات ذات طبيعة واحدة ، تعمل في إتجاه الروحانية ، وليس في إتجاه الجسدية كما تفعل سائر الحيوانات .

إذن فالانسان وحده هو الكائن المزدوج الطبيعة . هذا الازدواج يعتبر سمة من سماته وطابع لشخصيته المتميزة عن كل من المَلَك والحيوان . فكل سلوك أو تصرف يأتي به الانسان تبدو فيه هذه الظاهرة الفذة المتميزة ، فهو قادر بأمر الله تعالى على السلوك في أكثر من إتجاه ، فهو وحده الذي إنفرد دون غيره من المخلوقات بخاصية التفكير والجدل ومسئولية الاختيار الذي يتمثل في العقل والارادة ، ومختلف القدرات العقلية المعرفية ، إلى غير ذلك مما يؤهله لاخلاص العبادة لله ، وكذلك القدرة على التفكر والتدبر في خلق الله تعالى وإقامة شعائر دين الله على أرضه ، أي حمل الأمانة التي أبت أن تحملها السماوات والأرض والجبال وأعرضن عن حملها وخفن من ثقلها وشدتها فحملها الانسان ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ إنَّا عرضنا الأمانة على السمٰوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ... ﴾

(الأحزاب : ٧٢)

ولكن الله سبحانه وتعالى وهب آدم عليه السلام من الطاقات الكامنة والاستعدادات المذخورة التي تؤهله لحمل هذه الأمانة ، ما لم يكرم بها مخلوق غيره ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾

(البقرة : ٣١ ، ٣٢)

هكذا أودع الله سبحانه وتعالى سره الآلهي العظيم لخليفته على الأرض ،

وهو سر القدرة على التسمية . وهذه قدرة ذات قيمة كبرى في حياة الانسان على الأرض . أما الملائكة فلا حاجة لهم بهذه الخاصية ، لأنها لا ضرورة لها في وظيفتهم ، ومن ثم لم توهب لهم[1] .

ولكن رغم هذه الطاقات الضخمة التي وهبها الله تعالى للانسان ، إلا أن هذه لم تمنعه من نقطة ضعف أصيلة في تكوينه النفسي وهي حب الشهوات ، مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ﴾
(آل عمران : ١٤)

وتبدو نقطة ضعفه واضحة في قصة آدم والشجرة التي نُهيّ عنها ، في هذه القصة تبدو نقطة ضعف الانسان أمام الملزات والشهوات ، لقوله عز وجل :

﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً ﴾
(طـه : ١١٥)

ولكن من كرم الله عز وجل على آدم أن قبل توبته ، مصداقاً لقوله عز من قائل :

﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم * قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾
(البقرة : ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩)

مما تقدم ، نخلص بفكرة عامة عن المخلوق البشري وهي :

١ ــ هو مخلوق ذو طبيعة مزدوجة ، يجمع بين الجسدية الشهوانية (قبضة الطين) وبين النورانية الروحانية (نفخة من روح الله) . فهو المخلوق الوحيد الذي تفرد بهذه الخاصية دون سائر المخلوقات .

---

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن ، بيروت : دار الشروق ، المجلد الأول ١٩٨٢ ، ص ٥٧ .

٢ ـ هو مخلوق مزود بقدرات من أبرزها طاقة المعرفة والتي تتمثل في :

(أ) قدرة الانسان على التفكر والتدبر ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾

(آل عمران : ١٩١)

وقوله عز وجل :

﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم أني مَلَك إن أتبع إلا ما يوحى إليّ قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴾

(الأنعام : ٥٠)

وقوله عز من قائل :

﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾

(يونس : ٢٤)

وقوله تعالى :

﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون * بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما أنزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾

(النحل : ٤٣ ، ٤٤)

وقوله عز وجل :

﴿ أو لم يتفكروا ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثير من الناس بلقآئ ربهم لكافرون ﴾

(الروم : ٨)

وقوله تعالى :

﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا ءايٰته وليتذكر أولوا الألباب ﴾

(ص : ٢٩)

هكذا يحث القرآن الكريم الناس على التفكر والدبر في خلق الله تعالى وفي كتابه الكريم لعلهم يلتمسون منه العبر والعظات والخيرات والمنافع الدينية والدنيوية .

(ب) خاصية الجدل : في شأن هذه الخاصية التي تفرد بها الانسان عن سائر المخلوقات الأخرى يقول الله عز وجل :

﴿ ألم تر الذي حاج إبراهيم في ربه أن أتاه الله المُلك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيى ويميت قال أنا أحيّ وأميت قال إبراهيم فإن ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾

(البقرة : ٢٥٨)

هكذا يحاول الذين كفروا بالباطل ليغلبوا به الحق ، رغم أن الحق واضح لا شبه ولا غموض فيه .. فيقول عز وجل :

﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وكان الانسان أكثر شئ جدلاً ﴾

(الكهف : ٥٤)

وقوله عز من قائل :

﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا ءاياتي وما أنذروا هزواً ﴾

(الكهف : ٥٦)

(جـ) حرية الارادة والاختيار : التي هي خاصية إنفرد بها الانسان دون سائر مخلوقات الله ، ويتضح لنا ذلك من قوله عز وجل :

﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ... ﴾

(البقرة : ٢٥٦)

وفي قوله تعالى :

﴿ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ﴾

(يونس : ١٠٨)

وقوله عز من قائل :

﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .. ﴾

(الكهف : ٢٩)

وقوله تعالى :

﴿ ألم نجل له عينين * ولساناً وشفتين * وهديناه النجدين ﴾

(البلد : ٨ ، ٩ ، ١٠)

فالله سبحانه وتعالى وهب الانسان نعمة الابصار ، وميزه عن سائر مخلوقاته بميزة النطق ، كما أعطاه خصائص القدرة على إدراك الخير والشر ، والحلال والحرام ، والخبيث والطيب ، والحق والباطل ، ليختار بنفسه ولنفسه أيهما شاء . لذلك فقد زود الله سبحانه وتعالى الانسان الاستعداد المزدوج لسلوك أي النجدين .

وهكذا تبين لنا هذه الآيات الكريمة أن الانسان منحه الله تعالى خاصية

التفكر والجدل ومسئولية الاختيار والتي لم توهب لمخلوق سواه . وخلاصة القول أن هناك لونين من السلوك أهم ما يميزان السلوك البشري ، وهما السلوك الموجه نحو الجسم ، والسلوك الموجه نحو الروح . وهذا الكيان رغم إزدواجه ، فهو ليس مكوناً من عنصرين منفصلين يعمل كل منهما وحده بعيداً عن الآخر ، إنه ليس جسماً وروحاً منفصلين . فتلك النفخة الآلهية التي أعطت للانسان روحه ، لم تظل عنصراً منفصلاً عن الكيان المسوى من الطين ، وإنما سرت فيه كله من أوله إلى آخره ، وامتزجت بكل كيانه العضوى ، فأصبح كياناً جسمياً روحياً في نفس الوقت ، بحيث لا ينفصل فيه عنصر الروح عن عنصر الجسد ، فلم يعد طيناً بحتاً ولا هو روحاً بحتاً ، إنما هو روح وجسد معاً ممتزجان مترابطان .

وهذه تعتبر حقيقة مؤكدة فالانسان السوي يشبع دوافعه الفطرية لا على طريقة الحيوان ولكن على طريقة الانسان . كما أنه يقوم بسلوكه الروحاني على طريقة الانسان السوي لا على طريقة الملائكة .

وخلاصة القول أن الانسان يسلك وفقاً لذلك الكيان المزدوج الموحد لا بأي من عنصريه منفصلاً عن الآخر ومستقلاً عنه . وإن كان تنوع نسب هذا الامتزاج يعد مسئولاً عن تنوع السلوك البشري ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولاً ﴾

(الاسراء : ١١)

وقوله تعالى :

﴿ قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً ﴾

(الاسراء : ٨٤)

وهكذا يختلف السلوك البشري في درجاته بين الشدة واللطف ، بين الغلظة والرقة ، بين العتمة والصفاء ، بين النور والظلام ، بين الكفر والايمان .

النفس والروح في القرآن الكريم :

إن أوضح مظهر من مظاهر الازدواجية في الانسان هي حقيقة النفس والروح ، التي قد تكون هي الأصل الذي ينشأ عنه كل ما في طبيعة الانسان من إزدواج إنفرد به عن سائر المخلوقات الأخرى .

ويفرق القرآن الكريم بين الروح[1] والنفس ، فليستا فيه مترادفتين . فالروح وردت في القرآن إحدى وعشرين مرة ، منها ما يعني أمين الوحي لقوله تعالى :

﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾

(الشعراء : ١٩٣)

ولقوله تعالى :

﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ﴾

(النحل : ١٠٢)

كما تأتي الروح بمعنى السر الإلٓهي الذي تصير به المادة الآدمية (قبضة من طين) كائناً حياً بأمر الله تعالى . ففي خلق آدم يقول تعالى للملائكة :

﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾

(الحجر : ٢٩)

وفي خلق الوليد الانساني يقول تعالى :

﴿ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ﴾

(السجدة : ٩)

---

(١) الدكتورة عائشة عبد الرحمن : مقال في الانسان دراسة قرآنية ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م ، ص ١٤٤ .

وقوله تعالى :

﴿ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴾

(التحريم : ١٢)

وهذه الروح هي من أمر الله تعالى ، ولا أحد سواه يعرف كنهها ، فيقول عز وجل :

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾

(الاسراء : ٨٥)

أما النفس فوردت في القرآن الكريم مفردة في مائة وست عشرة آية وجمعاً بصيغة نفوس مرتين ، وبصيغة أنفس مائة وثلاثاً وخمسين مرة[1] . وحينما نتدبر سياقها في القرآن نلاحظ أنها تعني الذات بصفة عامة ، أي بعنصريها المادي والروحي ، ومن ثم يجوز عليها الموت أو القتل مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾

(آل عمران : ١٨٥)

ولقوله تعالى :

﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾

(الزمر : ٤٢)

ولقوله تعالى :

﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴾

(الأنعام : ١٥١)

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

وقوله عز وجل :

﴿ قال أقتلت نفساً ذكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكرا ﴾

(الكهف : ٧٤)

تبين هذه الآيات الكريمة أن النفس ليست مرادفة للروح التي هى سر الحياة . وأن الروح تمتزج إمتزاجاً كاملًا بالجسد فتكون النفس الآدمية .

هذا وقد ذكرت النفس في القرآن الكريم بمفاهيم ثلاثة أساسية .

١ ــ النفس الأمارة بالسوء :

مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وما أبرّئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم ﴾

(يوسف : ٥٣)

٢ ــ النفس اللوامة :

لقوله تعالى :

﴿ لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾

(القيامة : ١ ــ ٢)

٣ ــ النفس المطمئنة :

لقوله عز وجل :

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾

(الفجر : ٢٧)

محاسبة النفس :

والانسان مسئول أمام الله سبحانه وتعالى في كل ما يقوم به من أعمال وأفعال وسلوك ، فيحاسب عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾

الأنبياء : ٤٧

﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾

(المدثر : ٣٨)

﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى ﴾

(النازعات : ٤٠ ــ ٤١)

﴿ إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب انتثرت * وإذا البحار فجرت * وإذا القبور بعثرت * علمت نفس ما قدمت وأخرت ﴾

(الانفطار : ١ ــ ٥)

الاسلام وتهذيب النفس :

بني الاسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام لمن إستطاع إليه سبيلاً .

فأول هذه الأركان الخمسة هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، هكذا يأمرنا الاسلام بتوحيد الله تعالى ، مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ وإلٰهكم إلٰه واحد لا إلٰه إلا هو الرحمٰن الرحيم ﴾

(البقرة : ١٦٣)

وقوله تعالى :

﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾

(يوسف : ٤٠)

وقوله عز من قائل :

﴿ وقضىٰ ربك ألا تعبدوا إلا إياه .... ﴾

(الاسراء : ٢٣)

فالله سبحانه وتعالى خالق كل شئ ومدبر الكون وهو المصرّف لشئونه ، فهو الذي يعطي ويمنع ، والذي يضر وينفع ، والذي يحيي ويميت لا شريك له في ملكه ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير * تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغيرِ حساب ﴾

(آل عمران : ٢٦ ، ٢٧)

فشهادة لا إله إلا الله ، تحرر النفس البشرية من العبودية لغير الله سبحانه وتعالى ، فترفعها وتطهرها من خرافات الشرك وأوزاره وأوثانه ، فلا تنحط النفس البشرية إلى عبادة جماد أو حيوان أو إنسان مهما كان .

وأن محمداً رسول الله ، فلا يتم إسلام مسلم إلا بالشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة . وقد أوضح لنا الله تعالى أن طاعة الرسول واجبه ، مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾

(النساء : ٦٤)

وطاعة الرسول الكريم سبيل الهداية لقوله عز وجل :

﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾

(النور : ٥٤)

وإن الرسول ﷺ ما أُرسل إلا رحمة للبشرية جمعاء ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾

(الأنبياء : ١٠٧)

وقد بلغنا رب العالمين بأن محمداً ﷺ هو النموذج الذي يجب إتباعه والاقتداء به ، لقوله عز وجل :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾

(الأحزاب : ٢١)

والركن الثاني من أركان الاسلام ، هو إقامة الصلاة . وقد جعل الله تعالى من أهم شروطها طهارة البدن والثوب والمكان لقوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوٰة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جُنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لٰمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾

(المائدة : ٦)

فيقف العبد موجهاً قلبه إلى ربه خمس مرات في اليوم نظيف الظاهر طاهر البدن ، مثنياً على الله تعالى بما هو أهله طالباً منه العون والهداية ، فيؤثر ذلك

في نفسه ويعوده مراقبة الله عز وجل وخشيته فيمنع نفسه من الوقوع فيما حرم الله عليه ، لقوله تعالى :

﴿ اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلوٰة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾

(العنكبوت : ٤٥)

هكذا تمنع الصلاة من وقوع الانسان في الحرام ، كما أنها تبعث في النفس ما تبعث من الأمن والطمأنينة .

أما الركن الثالث ، فهو الصوم . الصوم الذي يربي في الانسان الصدق والأمانة والصبر وضبط النفس وقوة الارادة وإحتمال المشاق . وكل هذه من الخصال الحميدة الفاضلة التي يحث عليها الاسلام . ففي صوم الانسان إمتثال لأوامر الله عز وجل ورغبة في التقرب إلى الله تعالى . فقد يخلو الصائم بنفسه وليس عليها رقيب إلا الله تعالى ، ويكون قد اشتد به الجوع والعطش ، وفي متناول يده أشهى الأطعمة وأعذب المشروبات فيأبى أن يتناول شيئاً تعظيماً وإجلالاً وإكباراً لأوامر الله تعالى ووفاءً بعهده له .

هكذا يقوى الصوم الفضائل الطيبة في نفس المؤمن الصائم .

والركن الرابع ، هو إتياء الزكاة . التي فرضها الله تعالى في مال الغني سداً لحاجة الفقير المحتاج وتفريجاً لكربة الغارم ، وتيسيراً لابن السبيل ، وعوناً على سبيل الخير العام . لقوله عز وجل :

﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾

(التوبة : ٦٠)

والقرآن الكريم كثيراً ما قرن الصلاة بالزكاة ، لقوله تعالى :

﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوٰة ويؤتوا الزكوٰة وذلك دين القيمة ﴾

(البينة : ٥)

وقد أثنى الله تعالى على المؤمنين بالفلاح ، لقوله عز وجل :

﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكوٰة فاعلون * ﴾

(المؤمنون : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤)

هذه الزكاة التي فرضها الله تعالى على مال المؤمن الغني ، تعوده على الاحسان والجود والكرم وتقوي في نفسه الرحمة ، فضلاً عن أنها تطهر ماله ونفسه ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم إن صلوٰتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾

(التوبة : ١٠٣)

ومن جهة إخرى فإن الزكاة تمحق الأضغان في قلوب البائسين على الأغنياء المترفين ، وتشعر قلوبهم بمحبتهم وتصدهم عن الاساءة إليهم وتقتل في نفوسهم الحقد والغل والحسد إلى غير ذلك من آفات النفس البشرية ، لقوله عز وجل :

﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ﴾

(التوبة : ٥٨)

أما الركن الخامس من أركان الاسلام ، فهو الحج ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ .... ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً .... ﴾

(آل عمران : ٩٧)

ومناسك الحج تشعر النفوس بالمساواة ، حيث يكون المسلمون في الحج متجردين من زينة الحياة الدنيا ، فليس على الواحد منهم إلا رداء وإزار ، والكل خاشع لعظمة الله ، وجلال قدرته . فلا فرق بين غني وفقير ، بين حاكم

ومحكوم ، بين عربي وعجمي . هناك تتضامن النفوس وتدرك أن زخرف الحياة باطل وزائف ، وأنه لا ينبغي لمؤمن الاستعلاء أو الاستكبار بجاه أو سلطان أو مال أو حسب أو نسب ، وأن الناس كلهم لآدم وآدم من تراب .

هكذا يهذب الحج النفس ويطهرها من المعاصي والجدال والخصام إلى غير ذلك من الأمراض الاجتماعية ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يـٰأولى الألباب ﴾

(البقرة : ١٩٧)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« من حج ، فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه »(١)

كما يظهر جلياً تهذيب الاسلام للنفس البشرية في حسن المعاشرة والمعاملة فمن كان واعياً بأمور دينه واقفاً عند حدود ما أمر الله تعالى به ونهى عنه ، حسنت معاملته ومعاشرته للناس ، وإعتدلت معاملته لهم ، فيحترم أول ما يحترم والديه عرفاناً منه بحسن صنيعهم معه ، ويبر الأخوة والأخوات ويصل رحمه ، ويقوم بحقوق أهله وجيرانه ، فلا يؤذي جاره في نفس أو مال أو عرض ، ولا يكذب إذا حدث ، ولا يخون إذا أؤتمن ، ولا يخلف إذا وعد ، وإذا عهد إليه عمل أتقنه وأداه على خير وجه .

وخلاصة القول ، أن الاسلام بما فيه من أوامر ونواه ومدح لمحاسن الأخلاق الفاضلة ، وذم لمساوىء الأخلاق السيئة ، كل هذا وذاك يؤثر في النفس البشرية فيهذبها . ويظهر آثار ذلك في كل أفعاله وأقواله وحركاته بل وفي كل سكناته ، فيضبطها وينظمها ليسيرها على منهج الخير العام . وهكذا يكون

---

(١) متفق عليه .

أساس البناء النفسي للانسان فتتربى فيه المَلَكَات الفاضلة وتطهر نفسه من الرذائل والأخلاق السيئة .

الفصـل الثـاني
موضـوع علـم النفـس والمراحل التي مر بها

﴿علم الانسان ما لم يعلم﴾

(العلق : ٥)

- نبذة تاريخية عن علم النفس .
- نبذة تاريخية عن بعض الدراسات الاسلامية القديمة في علم النفس .
- موضـوع علـم النفـس .
- تعريـف علـم النفـس .
- أهـداف علـم النفـس .
- علاقة علم النفس بالعلوم الأخرى .

الفصل الثاني

موضوع علم النفس والمراحل التي مر بها

نبذة تاريخية عن علم النفس :

علم النفس لم يصبح علماً مستقلاً في موضوعه ومنهجه وأسلوبه الخاص إلا منذ عهد قريب ، حينما تحرر من الفلسفة وأصبح علماً قائماً بذاته له مكانته بين العلوم الطبيعية بعد أن نبذ الاتجاه الفلسفي النظري ونزع إلى الاتجاه التجريبي الذي تتميز به العلوم الطبيعية برمتها

وقد أجمعت كتابات علم النفس على أن هناك بعض العلماء الأول ممن اهتموا بموضوع علم النفس فمثلا أرسطو هو أول من عنى بالروح في كتابه النفس رغم ظهور محاولات أخرى قبل أرسطو لكل من سقراط ــ ٣٩٩ ق . م ، وأفلاطون ــ ٣٤٨ ق . م[١] . وهذا يدل على أن علم النفس ، علم له تاريخ قديم فقد ظهرت في عصر ما قبل الميلاد دراسات منظمة لمجموعة من العلماء الأول أمثال :

أفلاطـون (٤٢٨ ــ ٣٤٨ ق . م) :

كان يرى أفلاطون في كتاباته أن هناك عالمين ، عالم المثل ويتكون من

---

(١) دكتور عبد الله عبد الحي موسى : المدخل إلى علم النفس ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٧٦ ، ص ١٠ .

المعاني الدائمة ومنه تتكون النفس ، وعالم الحس أو العالم المادي وفيه يتكون الجسم ، وعندما تهبط النفس من عالم المثل إلى العالم المادي لتحتل الجسم ينشأ منها ثلاث نفوس هي :

النفس العاقلة ومركزها الرأس .

النفس الغضبية ومركزها القلب .

والنفس الشهوانية ومركزها البطن .

ويختلف الناس فيما بينهم بحسب إختلافهم في هذه النفوس .

أرسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق . م) :

وكان أرسطو يرى أن الجسم والنفس لا يمكن فصلهما عن بعضهما لأنهما يكونان جوهراً واحداً ، وقد فرق أرسطو بين أنواع الكائنات الحية على أساس الوظائف التي يظهر أثرها واضحاً في حياة كل نوع ، وقسم هذه الوظائف إلى ثلاثة أنواع وهي :

١ ـ وظائف الامتصاص والتغذية :

وهذه تؤدي غرض حفظ الحياة والنمو وبقاء النوع ، وهذه ضرورية للحياة في كل من النبات والحيوان ولكنها بارزة في النبات .

٢ ـ ثم وظائف الحس والحركة :

وهذه تؤدي غرض الاستجابة لمؤثرات التنبيه والتحرك بما يلائم هذه المؤثرات .. وهذه الوظيفة بارزة أكثر في حياة الانسان والحيوان .

الثانوية المكتسبة .

أيضاً تحدث عن الذاكرة والحواس والإدراك والخيال وغير ذلك من الموضوعات النفسية والتي نحن في أمسّ الحاجة إليها في حياتنا المعاصرة .

موضــوع علــم النفــس :

لكل علم من العلوم موضوع خاص يتخذه محور دارسته . فعلم الأحياء مثلاً يدرس تكوني الكائنات الحية ووظائف الأعضاء . وعلم الفيزياء يدرس خواص المادة وأنواع الطاقة بمختلف صبورها . وعلم الكيمياء يدرس تركيب المواد المختلفة وطرق تفاعلاتها المختلفة . وعلم الاجتماع كأحد العلوم السلوكية يدرس حياة الجماعة ومختلف ضروب التنظيم الاجتماعي فيها . وهكذا بالنسبة لمختلف علوم المعرفة، وعلم النفس كعلم لابد وأن يكون له موضوع يتخذه محوراً لدراسته والموضع الذي يبحثه علم النفس قد شغل ذهن الانسان منذ وجد في هذا العالم ، منذ أن كان مضطراً بطبيعته الاجتماعية إلى التعامل مع أخيه الانسان ، هذا التعامل أوجب عليه أن يكوّن بل ويصدر بعض الأحكام على سلوك وتصرفات من يتعامل معهم ، وكانت هذه الأحكام بطبيعة الحال ترشده إلى ما يجب عليه أن يتخذه من أنماط السلوك المختلفة إزاء من يتعامل معهم .

إذن فموضوع علم النفس هو قضية السلوك ، وقبل أن نخوض في تفسير كلمة السلوك يجدر بنا أولاً أن نعرف ماهية علم النفس .

تعريــف علــم النفــس :

هناك تعريفات عدة لعلم النفس نورد منها على سبيل المثال ما يلي :

تعريف جاريت Garrett :

« إن علم النفس هو دراسة السلوك الانساني ، كما تكشف عنه كلمة علم نفس »[1] .

تعريف وودورث Woodworth :

« علم النفس هو علم نشاطات الفرد »[2] .

وتستعمل كلمة نشاطات activities بمعناها الواسع فهي تتضمن النشاطات الحركية motor مثل المشى والكلام والايماءات ، وتتضمن كذلك النشاطات العقلية cognitive مثل التذكر والتفكير ، كما تشمل أيضاً النشاطات الانفعالية مثل الشعور بالسعادة أو الحزن .

تعريف ميرفي Murphy :

« إن علم النفس هو ذلك العلم الذي يدرس إستجابات الأفراد للبيئة »[3] .

تعريف الدكتور عبد العزيز القوصي :

« علم النفس يدرس السلوك بوجه عام من حيث الناحية العقلية شعورية كانت أو لا شعورية »[4] .

---

(١) دكتور عبد الله عبد الحي موسى : المدخل إلى علم النفس (مرجع سابق) ، ص ٢٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٣) دكتورة إنتصار يونس : السلوك الانساني ، دار المعارف بمصر ١٩٧٤ ، ص ٢٢ .

(٤) دكتور عبد العزيز القوصي : علم النفس ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠ ، ص ٢٦ .

٣ ــ وأخيراً وظائف التفكير :

وهي التي يتميز بها الانسان وتجعله مختلفاً عن كل من النبات والحيوان .

رينيه ديكارت (١٥٩٦ ــ ١٦٥٠ م) :

ظلت العلاقة بين النفس والجسم مشكلة المشاكل إلى أن جاء ديكارت الفرنسي في القرن السابع عشر وميز بين النفس والجسم واعتبر كل منهما منفصل عن الآخر . فجوهر النفس قائم في التفكير ، وجوهر الجسم قائم في الامتداد ، وهو ما يشغل حيزاً من الفراغ . أما العلاقة القائمة بين النفس والجسم فعلاقة تفاعل آلي ميكانيكي وقد فرق ديكارت بين الحيوان والانسان بقوله[١] : إن الحيوان يتصرف على أساس ميكانيكي صرف ، أما الانسان فبرغم كونه مثل الحيوان في قدرته على التصرف الآلي إلا أن إستجاباته مبنية على ما يكون لديه من الوعي والاحساس والانفعال بما يميزه عن الحيوان .

وقد أفاد ديكارت علم النفس كثيراً حيث إهتم بدراسة الشعور بدلاً من العقل ، وأصبح علم النفس هو علم الشعور ، وبذلك يمكن القول بأن ديكارت كان المؤسس الثاني لعلم النفس بعد أرسطو .

تطور علم النفس بعد ديكارت :

وصل ديكارت إلى أن علم النفس هو علم الشعور ، وقد اختلف مفهوم الشعور في نظر العلماء ، فبعضهم عرفه بأنه الادراك وعرفه البعض الآخر بأنه الفرق بين النوم واليقظة .

---

(١) دكتور مختار حمزة : مبادئ علم النفس ، دار المجمع العلمي بجدة ، ١٩٧٩ م ، ص ١١ .

ولا شك أن قصر موضوع علم النفس على الشعور يخرج منه موضوعاً آخر غاية في الأهمية وهو موضوع اللاشعور . فشعور المرء سر خاص به لا يمكن أن يطلع عليه غيره ، كما أنه ليس من السهل عليه الافصاح عن مشاعره الداخلية .

وهكذا ظل علم النفس كعلم للشعور فترة من الزمن إلى أن جاء بعض المفكرين وأدخلوا في حسبانهم أن الحالات الشعورية لابد لها من مظهر خارجي يبدو على الانسان ، بمعنى أن الحالات الشعورية يمكن الاستدلال عليها من ملاحظة السلوك الخارجي للفرد . فمن إدراكنا للتغيرات التي قد تبدو على وجه الفرد إن كان مسروراً أو حزيناً أو ساخطاً أو متقززاً أو مندهشاً إلى غير ذلك من ألوان السلوك الانفعالي ، وبالتالي أمكن الانتقال من دراسة الشعور الداخلي إلى دراسة السلوك الخارجي .

وهكذا إنتقل البحث في علم النفس من أمور تخمينية إلى أمور محسوسة يمكن إخضاعها للملاحظة والتجريب . واستمر علم النفس يلاحظ ويجرب ويفسر حتى بلغ في السنوات الأخيرة شأناً عظيماً من التقدم والرسوخ .

نبذة تاريخية عن بعض الدراسات الاسلامية القديمة في علم النفس

لقد قدم علماء المسلمين الأول الكثير والكثير في مختلف مجالات العلوم والمعرفة . ففي علم النفس قدموا مالم يقدمه غيرهم في ذلك الوقت ، حتى أن كتاباتهم قد أثرت بالفعل في معظم علماء الغرب . وسنحاول فيما يلي إعطاء نبذة مختصرة عما قدمه علماء المسلمين الأول من أبحاث ودراسات أفادت كثيراً في مجال علم النفس .

لقد بحث ابن سينا في الادراك الحسي . وأوضح لنا كيف يدرك العقل الكليات . كما عرفنا بأن للادراك مراتب أدناها الادراك الحسي ، وعرفه بأنه إنتقال صورة الشئ الخارجي إلى الذهن . كما تحدث ابن سينا أيضاً عن الانفعالات الموجودة لدى الانسان والتي لا توجد لدى الحيوانات مثل الضحك ، والبكاء ، والخجل والتعجب .

كما أدرك العرب ومنهم ابن سينا العلاقة بين الأمراض الجسمية وعلاقتها بالناحية النفسية ، وهذا ما يعرف اليوم باسم الطب الجسمي النفسي ، وهو فرع من فروع علم النفس المعاصر يهتم بدراسة الأمراض النفسية والتي لها أعراض جسمية .

وقد بحث العرب قديماً في الأمراض النفسية وعوامل حدوثها ولذلك فقد إهتموا بالحديث عنها ، وفي هذا يقول ابن العباس المجوس (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ) في كتابه « كامل الصناعة الطبية » :

« فأما الأعراض النفسانية فإنه قد ينبغي أن لا يدمن الانسان على الغم ، ولا يستعمل الغضب ، ولا يكثر من الهم والفكر ، ولا يستعمل الحسد . فإن ذلك كله مما يغير مزاج البدن ويعين على إنهاكه وضعف الحرارة الغريزية . ومن كان مزاجه حاداً فإن هذه الأعراض تولد الحميات الرديئة بمنزلة حمى الدق ،

وقرحة السل وما يجرى هذا المجرى . فلذلك قد ينبغي أن يتجنب الانسان الأعراض النفسانية كلها وأن يلهم نفسه الفرح والسرور ، فإنه يقوى الحرارة الغريزية ويحركها إلى ظاهر البدن ويزيد في النشاط ويقوى النفس »[1] .

وقد تناول العالم الاسلامي أبو نصر الفارابي (المتوفى سنة ٣٣٩ هـ) في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة فرع علم النفس الاجتماعي وذلك بتحديده أساساً فطرياً للحياة الاجتماعية لكل من الفرد والمجتمع . كما تناول أيضاً الحديث عن سمات الشخصية التي ينبغي أن يتصف بها زعيم الجماعة ، كما تناول في كتابه الأسس النفسية لتماسك الجماعة ، وهذا في الحقيقة جوهر علم النفس الاجتماعي المعاصر .

أما ابن خلدون فقد كان من أوائل من تحدثوا عن علم النفس الفارق . « فقد اهتم ابن خلدون بالمقارنة بين تأثير حياة البداوة والحضارة في سمات الشخصية ومنها الشجاعة والخير والذكاء »[2] .

كما كان لابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٣ هـ) أيضاً آراء حول الصلة بين سمات الشخصية وبين احتمالات النجاح أو الفشل في مهنة معينة ، وهذا أساس التوجيه المهني ، والتوجيه فرع من فروع علم النفس المعاصر .

وإذا ما انتقلنا إلى عالِم إسلامي آخر وهو الامام أبو حامد بن محمد الغزالي (المتوفى سنة ٥٠٥ هـ) فإننا نستطيع القول :[2] بأن الامام الغزالي هو الذي صور علم النفس عند المسلمين .

فقد تناول الامام الغزالي العديد من الموضوعات النفسية منها الانفعالات النفسية مثل الخوف والغضب وآثارها في السلوك . كما تحدث عن العاطفة بنوعيها الحب والكره وعلاقتها بالسلوك . كذلك تناول الدوافع الأولية والدوافع

---

(١) د . يوسف مراد : مبادئ علم النفس العام ، (مرجع سابق) ، ص ١٣٦ .

(٢) د . عبد الله عبد الحي موسى : المدخل إلى علم النفس (مرجع سابق) ، ص ٢٠ .

تعريف الدكتور مصطفى سويف :

« هو علم موضوعي ، يدرس كثيراً من جوانب سلوك الانسان وخبراته بطرق العلم التجريبي العريقة في تاريخ الانسانية ، وأنه بهذه الدراسات أصبح قادراً على خدمة الانسان في كثير من ميادين الحياة »[١] .

تعريف الدكتور يوسف مراد :

« علم النفس هو العلم الذي يدرس الانسان من حيث هو كائن حي يرغب ويحس ويدرك وينفعل ويتذكر ويتعلم ويفكر ويعبر ويريد ويفعل »[٢] .

تعريف الدكتور محمد عثمان نجاتي :

« علم النفس هو الدراسة العلمية لسلوك الانسان ولتوافقه مع البيئة »[٣] .

تعريف الدكتور جميل صليبا :

« علم النفس هو العلم الذي يبحث في الظواهر النفسية »[٤] .

---

(١) دكتور مصطفى سويف : علم النفس الحديث معالمه ونماذج من دراساته ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٧ ، ص ١٢ .

(٢) دكتور يوسف مراد : مبادئ علم النفس العام ، القاهرة : دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، ١٩٦٦ ، ص ١١ .

(٣) دكتور محمد عثمان نجاتي : علم النفس في حياتنا اليومية ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٦ ، ص ١٤ .

(٤) دكتور جميل صليبا : علم النفس ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٢ ، ص ٦٣ .

تعريف الدكتور مختار حمزة :

« علم النفس هو العلم الذي يبحث دوافع السلوك ومظاهر الحياة العقلية الشعورية منها واللاشعورية دراسة إيجابية موضوعية ، تساعد على إفساح المجال للقوى والمواهب النفسية كي تنمو وتستغل فيما يساعد على حسن التكيف مع البيئة وما يؤدي إلى تحسين الصحة النفسية للأفراد والجماعات »[(١)] .

تعريف الدكتور فائز الحاج :

« علم النفس هو علم الخبرة والسلوك معاً »[(٢)] .

تعريف الدكتور حامد زهران :

« إن علم النفس هو العلم الذي يدرس سلوك الكائن الحي ، وما وراءه من عمليات عقلية ، دوافعه وديناميانه وآثاره ، دراسة علمية يمكن على أساسها فهم وضبط السلوك والتنبؤ به والتخطيط له »[(٣)] .

مما تقدم يتضح لنا أنه لا يوجد لدينا حتى اليوم تعريف واحد لعلم النفس يجمع عليه الباحثين في هذا العلم . وإن كانت جميع التعريفات السابقة قد إشتركت فيما بينها على أن علم النفس يهدف إلى دراسة السلوك وعلى ذلك فإنه يمكن تعريف علم النفس على أنه هو الدراسة العلمية الموضوعية للسلوك .

ويجدر بنا الآن أن نوضح مدلول كلمة السلوك .

---

(١) دكتور مختار حمزة : مبادئ علم النفس ، (مرجع سابق) ، ص ٢١ .

(٢) دكتور فائز الحاج : بحوث في علم النفس العام ، الرياض : المكتب الاسلامي ، ١٩٧٦ ، ص ٦ .

(٣) الدكتور حامد زهران : علم نفس النمو . القاهرة : عالم الكتب ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٧ ، ص ٩ .

ويوضح الدكتور مصطفى فهمي مفهوم السلوك قائلاً : « إن مدلول كلمة سلوك في نظر الباحث النفسي يتضمن كل ما يقوم به الانسان من أعمال ونشاط ، تكون صادرة عن بواعث أو دوافع »[1] .

ويعرف الدكتور عبد الله النافع « السلوك بأنه إستجابات الكائن الحي القابلة للمحافظة »[2] .

ويقصد الدكتور محمد عثمان نجاتي بالسلوك « جميع أنواع النشاطات الذي يصدر عن الانسان سواء كان حركات ، أو أفعال ، أو إحساسات وإدراكات ، أو تخيلات وتفكير ، أو ميول ونزعات وإنفعالات »[3] .

ويرى الدكتور حامد زهران أن « السلوك هو أي نشاط (جسمي أو عقلي أو إجتماعي أو إنفعالي) يصدر من الكائن الحي نتيجة لعلاقة دينامية وتفاعل بينه وبين البيئة المحيطة به »[4] .

ونخلص من ذلك أن أوجه النشاطات المختلفة من نشاط عقلي وحركي ، وإنفعالي وإجتماعي ، والتي تبدو في تعامل الفرد وتفاعله مع بيئته التي يعيشها تفاعلاً سوياً سليماً ، والتي تعكس تأثيره فيها وتأثره بها ، هذه الأوجه المختلفة من النشاطات هي موضوع دراسة علم النفس .

ومفهوم السلوك على هذا النحو يمكن تقسيمه إلى :

٢ ـ السلوك العقلي :

عن هذا النوع من السلوك يقول جيلفورد : « إن النشاط العقلي يتميز عن

---

(١) دكتور مصطفى فهمي : في علم النفس ، القاهرة : دار الثقافة ، ص ٥ .

(٢) دكتور عبد الله النافع وآخرين : علم النفس العام ، الرياض : مطبوعات جامعة الرياض ، ص ٢١ .

(٣) دكتور محمد عثمان نجاتي : علم النفس في حياتنا اليومية ، (مرجع سابق) ، ص ١٤ .

(٤) دكتور حامد زهران : علم نفس النمو ، (مرجع سابق) ، ص ٩ .

غيره من أنماط النشاط الأخرى بالحقيقة التالية : أن هذا النشاط هو الذي يحقق للفرد تكامله ووحدته ، كما يشير إلى التفاعل بينه وبين بيئته »[1] .

هذا النوع من السلوك هو الذي يميز الانسان عن سائر المخلوقات الأخرى حيث كرمه الله سبحانه وتعالى بنعمة العقل ليستخدمه في التفكر والتذكر والتدبر لقوله تعالى :

﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾

(يوسف : ٢)

وقوله تعالى :

﴿ إن في خلق السموٰات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾

(البقرة : ١٦٤)

والسلوك العقلي هذا يعد نوعاً من السلوك الداخلي كالتفكير والتذكر والادراك والاستدلال كلها عمليات عقلية تتم من داخل الفرد وليس خارجه .

٢ ــ السلوك الانفعالي :

ويشمل هذا اللون من السلوك كل ما يشعر به الانسان من وجدانات وعواطف وإنفعالات كالحب والكره والخوف والسرور إلى غير ذلك من أنواع السلوك العاطفي الذي قد يأتي به الانسان في المواقف الانفعالية المختلفة .

---

(١) دكتور طلعت منصور وآخرين : أسس علم النفس العام ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ١١

والسيول مثلاً لتسنى لنا أن نتنبأ بحدوثه وأن نعد له العدة فنقي بذلك أنفسنا من شر مقبل . وإذا ما عرفنا إستعداد فرد ما لمهنة معينة دون غيرها ، أو إستعداد طالب معين لنوع ما من الدراسة وعدم إستعداده لأخرى ، لتسنى لنا أن نجنبه الفشل والاحباط من إقحامه في مهنة أو دراسة ليس مؤهلاً لها .

والواقع أن التنبؤ بالسلوك البشري جد عملية صعبة إن لم تكن عسيرة ، ذلك لأن السلوك الانساني متغير ومتقلب نتيجة لتعدد العوامل المؤثرة فيه وكذلك تعدد الدوافع الكامنة وراء هذا السلوك .

لذلك كانت تنبؤات عالم النفس ، كتنبؤات عالم الأرصاد الجوية ، عرضة في العادة لقدر معين من الخطأ . غير أن هذا لا يقلل بحال من الأحوال من شأن التنبؤ كما لا يذهب بفائدته وقيمته .

٣ ـ الضبط أو التحكم :

في الواقع أن عملية الضبط أو التحكم في الظاهرة السلوكية موضوع الدراسة تتعلق بعملية التنبؤ . فالتنبؤ والضبط لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، فلكي نحقق أي عملية تنبؤ لظاهرة سلوكية ما يجب أن نتحكم أولاً في الظروف التي تحدد سير تلك الظاهرة السلوكية موضوع التنبؤ .

والحق أن الانسان لو بذل في سبيل السيطرة على نفسه بعض ما بذله ويبذله في سبيل السيطرة على الكون ، لكان عالمنا اليوم عالم سعادة وليس عالم شقاء .

فروع علم النفس :

أشرنا سابقاً أن علم النفس هو علم دراسة السلوك بغرض :

١ ــ التوصل إلى القوانين أو المبادىء التي تحكم الظواهر السلوكية ، وهذا يمثل الجانب النظري من علم النفس .

٢ ــ الاستفادة من تلك القوانين أو المبادىء العامة التي تحكم السلوك الانساني وتوجهه التوجيه السليم ، وهذا يمثل الجانب التطبيقي لعلم النفس .

من هنا تعددت فروع علم النفس وأقسامه ، فظهرت له فروع نظرية وأخرى تطبيقية متعددة .

أما الفروع النظرية لعلم النفس فلا تهدف إلى نفع مباشر ، بل إلى العلم لمجرد المعرفة ، أي أفرع تهدف إلى مجرد الكشف عن المبادىء والقوانين العامة التي تهيمن على السلوك . وأما الفروع التطبيقية فتستهدف تحقيق أغراض عملية وحل مشكلات عملية في شتى نواحي الحياة .

أولاً ــ فروع علم النفس النظرية :

فمن أظهر الفروع النظرية ما يلي :

١ ــ علم النفس العام General Psychology:

يعتبر هذا النوع من علم النفس بمثابة الأم أو المصدر الرئيسي الذي تتفرع منه الفروع التخصصية الأخرى في علم النفس[1] . وموضع علم النفس العام هو سلوك الانسان ككل كالادراك والتفكير والتذكر والانفعال والدوافع والذكاء . وهكذا يحاول علم النفس العام أن يعطينا صورة كلية عن موضوع علم النفس .

(١) دكتور عبد السلام عبد الغفار : مقدمة في علم النفس ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧١ م ، ص ١٢ .

وهناك بعض الآيات الكريمة التي تناولت بعض مظاهر السلوك الانفعالي لدى الانسان لقوله تعالى :

﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾

(الحجرات : ٧)

﴿ ومن كفر فلا يحزنك كفره وإلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور ﴾

(لقمان : ٢٣)

﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حساباً يسيراً * وينقلب إلى أهله مسروراً * وأما من أوتي كتابه وراء ظهره * فسوف يدعوا ثبوراً * ويصلىٰ سعيراً * إنه كان في أهله مسروراً ﴾

(الانشقاق : ٧ ــ ١٣)

﴿ وأن الق عصاك فلما رءاها تهتز كأنها جآن ولىٰ مدبراً ولم يعقب يا موسى لا تخف إنك من الآمنين ﴾

(القصص : ٣١)

ويتضح لنا أن هذا اللون من السلوك الانفعالي أنه سلوك خارجي ، أي سلوك ظاهري يمكن رؤيته وملاحظته ومن ثم يمكن تفسيره .

٣ ــ السلوك الحركي :

ويتضمن هذا النوع من السلوك كل ما يقوم به الانسان من أفعال وحركات وإيماءات وكلام إلى غير ذلك من ألوان السلوك الحركي التي قد تصدر عن الانسان كسلوك خارجي ظاهري يمكن ملاحظته ومن ثم يمكن تفسيره .

أهـداف علـم النفـس :

إن الهدف الرئيسي للعالم هو أن يفهم الظاهرة موضوع الدراسة ، فهماً يجعله يتنبأ بنجاح عن ظهورها تحت ظروف تختلف إلى حد ما عن تلك التي درست فيها أو عندما تمكنه معلوماته عن الظاهرة السلوكية من أن يسيطر على ظهورها في سبيل تحقيق أغراض عملية . وفيما يلي سوف نتناول أهداف علم النفس الثلاث[1] : الفهم ، والتنبؤ ، والضبط أو التحكم ، بشئ من التفصيل .

١ ـ الفهـــم :

أولى أهداف علم النفس هو فهم الظاهرة السلوكية قيد البحث . وفهم الظاهرة معناها أننا نجد علاقة تربط بينهما وبين الظواهر الأخرى . وهذا الفهم يساعدنا على فهم أنفسنا فهماً حقيقياً من جهة وفهم من نتعامل معهم من جهة أخرى وذلك من خلال الوقوف على الدوافع الحقيقية التي تحرك سلوكنا وسلوك غيرنا من الناس. ولنضرب على ذلك مثلاً ، فإذا ذهبت إلى حجرة مكتبك فوجدت كتبك مبعثرة هنا وهناك على غير العادة ، فإنك تحاول أن تفسر هذه الظاهرة غير المألوفة بأن تربط بين هذه الظاهرة وبين دخول شخص آخر غريب في حجرتك . فالفهم إذن يتم بعملية الربط وإدراك العلاقات بين الظاهرة موضوع التفسير وبين الأحداث التي تلازمها أو تسبقها .

٢ ـ التنبـــؤ :

إن فهم الظاهرة السلوكية موضوع الدراسة وتفسيرها ومعرفة أسبابها وخصائصها يعين على التنبؤ بحدوثها ، فإذا ما عرفنا أسباب الفياضانات

---

(١) دكتور محمد عماد الدين إسماعيل : المنهج العلمي وتفسير السلوك ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ص ٢٧ .

٢ ـ علم النفس الفارق Differential Psychology :

ويدرس هذا الفرع من علم النفس الفروق التي توجد بين الأفراد أو الجماعات أو السلالات ، من فوارق في الذكاء أو الخلق أو الشخصية أو الاستعدادات الخاصة . كما يدرس أيضاً الأسباب الكامنة وراء هذه الفوارق .

فإذا كان علم النفس العام يبين لنا كيف تتشابه الأفراد والجماعات ، فإن علم النفس الفارق يبين لنا كيف يختلفون .

٣ ـ علم النفس الارتقائي :

يدرس مختلف مراحل النمو المختلفة التي يجتازها الفرد في حياته ، وكذلك الخصائص السيكولوجية لكل مرحلة من مراحل النمو . ومن أهم فروعه سيكولوجية الطفولة ، وسيكولوجية المراهقة وسيكولوجية الشيخوخة .

أي يهتم بمراحل النمو من المهد إلى اللحد .

٤ ـ علم النفس الاجتماعي Social Psychology :

يدرس سلوك الأفراد والجماعات في المواقف الاجتماعية المختلفة ، ويهتم بصفة خاصة بدراسة علاقة الفرد وتفاعله مع الجماعة ، وكذلك علاقة الجماعة بعضها ببعض . وبعبارة أخرى فهو يدرس الصور المختلفة للتفاعل الاجتماعي بين الأفراد بعضهم ببعض وبين الجماعات بعضها وبعض وبين الأفراد والجماعات ، كما أنه يدرس أيضاً النتائج المترتبة عن هذا التفاعل والتأثير المتبادل .

٥ ـ علم النفس الفسيولوجي Physiological Psychology :

يعني بوجه عام بدراسة الأُسس الفسيولوجية للسلوك الانساني . فهو يدرس الوظائف المختلفة للجهاز العصبي ، كما يدرس الوظائف المختلفة للجهاز الغدي وتأثيره في السلوك ، وهو يدرس أيضاً الأُساس الفسيولوجي للدوافع الفطرية .

٦ ـ علم نفس الشواذ Abnormal Psychology :

يعني بدراسة الأُسس السيكولوجية العامة لسلوك الشواذ والمنحرفين ، ويعمل على التعرف على أسباب الشذوذ أو الانحراف . فهو يدرس الضعف العقلي وإضطرابات الشخصية والأمراض النفسية والعقلية ، كما يدرس أيضاً العبقرية والتفوق العقلي .

علـم النفـس المقـارن :

يهتم بمقارنة السلوك ، فيقارن سلوك الطفل بسلوك الراشد ، وسلوك الانسان البدائي بسلوك المتحضر ، كذلك يقارن سلوك الشخص السوي بسلوك الشاذ .

٨ ـ علم نفس الحيوان Animal Psychology :

ويعني بدراسة سلوك الحيوان فيما يتعلق بعمليات التذكر والتفكير والتعلم ، لأنه من السهل إجراء التجارب العملية على الحيوان . بينما يصعب أو يستحيل في بعض الحالات إجراء مثل هذه التجارب على الانسان لاعتبارات إنسانية ، كما يحدث في علم الصيدلة وهم بصدد إكتشاف دواء أو عقار جديد حيث يجرب أول ما يجرب على الحيوان للسيطرة على الآثار الجانبية له قبل تعميمه على الناس . وقد أفادت

دراسة السلوك الحيواني علم النفس حيث ألقت الضوء على كثير من موضوعاته خاصة موضوع التعلم والذكاء .

ثانياً ــ فروع علم النفس التطبيقية :

١ ــ علم النفس التربوي Educational Psychology :

يهتم بتطبيق مبادىء علم النفس وقوانينه على ميدان التربية والتعليم حلاً للمشكلات التي قد تظهر في هذا الميدان . فهو يعني بدراسة الخصائص الرئيسية لمراحل النمو المختلفة لكي يتسنى للقائمين على العملية التربوية وضع أنسب المناهج الدراسة لمستويات النضج المختلفة للتلاميذ وحتى تستطيع هذه المناهج تحقيق الأهداف المنشودة لها . وهو يعني أيضاً بدراسة الشروط الأساسية لعملية التعلم الجيد وحتى يمكن تهيئة الجو التربوي الصحيح لتحقيق أكبر قدر من الاستفادة مع بذل أقل الجهود الممكنة في العملية التعليمية .

٢ ــ علم النفس الصناعي Industrial Psy. :

ويعني بتطبيق مبادئ علم النفس في ميدان الصناعة بغية رفع مستوى الكفاية الانتاجية للعمال ، وذلك باختيار وإنتقاء العمال وتوجيههم وفق ما لديهم من قدرات وإستعدادات وميول . كما يدرس الظروف الصحية للعمل بقصد زيادة الانتاج . كما يدرس أيضاً أسباب الحوادث محاولاً وضع الوسائل الكفيلة بتقليل هذه الحوادث .

٣ ــ علم النفس التجاري Commercial Psy. :

ويهتم بدراسة وسائل الاعلان وطرق معاملة الزبائن ، وكيفية جذبهم

للشراء ، وإتجاهاتهم النفسية نحو المنتجات الموجودة في السوق ، كما يدرس أيضاً سيكولوجية البيع .

٤ ــ علم النفس الاداري : Admimistrative

يهتم بدراسة العوامل التي تساعد على حسن إدارة الأعمال بما يضمن تحسين الانتاج . كما يعني أيضاً بدراسة فن القيادة في الادارة وأنواع القيادة ، ومدى نجاحها في خلق الجو النفسي المناسب للعمل المنتج . كما يهتم علم النفس الاداري أيضاً بالروح المعنوية للمرؤسين والعلاقات الانسانية ، وكذلك وضع الرجل المناسب في المكان المناسب .

٥ ــ علم النفس القضائي .Juridical Psy :

يعني بدراسة العوامل النفسية الشعورية منها واللاشعورية التي يحتمل أن يكون لها أثر في جميع المشتركين في الدعوة الجنائية أو القضائية .

وهكذا يرتبط هذا الفرع بعلم نفس الشواذ وعلم النفس الجنائي .

٦ ــ علم النفس الجنائي .Criminal Psy :

يهتم هذا الفرع من علم النفس التطبيقي بدراسة العوامل والدوافع المختلفة التي تتضافر على أحداث الجريمة سواء أكانت هذه الدوافع نفسية لا شعورية أم إجتماعية شعورية . كما يعني كذلك بدراسة وسائل مكافحة الجريمة .

٧ ــ علم النفس الحربي .Militery Psy :

يفيد علم النفس في الحياة العسكرية في أمور كثيرة منها توزيع

الجنود على مختلف تخصصات وأفرع القوات المسلحة وفقاً لاستعداداتهم وقدراتهم وميولهم وسمات شخصياتهم . كما يهتم أيضاً بوسائل المحافظة على الروح المعنوية للجنود ، وطرق الحرب النفسية وأساليبها وكيفية التحصن ضدها .

٨ ــ علم النفس الاكلينيكي (العيادي) .Clinical Psy :

يستهدف تشخيص وعلاج الاضطرابات النفسية ، كعيوب النطق والتخلف الدراسي ، وبعض حالات القلق والاكتئاب والشعور بالنقص والشعور بالتردد وفقد الأمن والطمأنينة وكذلك بعض الأمراض النفسية .

٩ ــ نحو فرع جديد لعلم النفس :

فقد ظهر في الأفق حديثاً وليداً جديداً لعلم النفس ، هذا الفرع يعالج أمور النفس البشرية من المنظور الاسلامي . وإن كان هذا الفرع الحديث هو في الأصل أقدم تلك الفروع على الاطلاق حيث نشأ هذا النوع من علم النفس مع بداية وجود الانسان في هذا الكون .

مما تقدم يتضح لنا جلياً أن علم النفس لم يعد علماً بسيطاً وإنما أصبح في مجمله علوماً نفسية تبرز حتميتها يوماً بعد يوم لدفع التقدم العالمي المعاصر من جهة وترشيده من جهة أخرى . والانسان بما كرمه الله سبحانه وتعالى يعتبر ركيزة الحضارة والتقدم ، وعلى ذلك فحيثما يوجد الانسان لابد وأن يوجد معه علم النفس .

علاقة علم النفس بالعلوم الأخرى :

هناك صلة وثيقة تربط علم النفس بطريقة مباشرة وأحياناً غير مباشرة بمختلف علوم المعرفة الطبيعية منها والاجتماعية والانسانية ، لأنه يعتمد عليها

في تفسير بعض الظواهر النفسية في ضوء نظرياتها وقوانينها .وفيما يلي سوف نتناول بشيء من التفصيل علاقة علم النفس بالعلوم الأخرى الطبيعية منها والسلوكية .

١ ــ علم النفس وعلم الطب والتشريح :

إنه لا مجال لدراسة النفس إلا بالتعرف على الجسم وأخذه بعين الاعتبار . فمن الملاحظ أن الجسم الصحيح ينتج عنه أفعالاً نفسية من نوع خاص ، بينما يميل المرض إلى إظهار النفس بمظهر مختلف ، وهكذا فإن الأحداث النفسية تترك أثرها في الجسم ، تأثير متبادل بين النفس والجسم . إن علم النفس يقول اليوم بوحدة النفس والجسم وبتعاونهما معاً في إصدار السلوك ، ويؤكد علم النفس أنه لابد في دراسة النفس من دراسة الجسم والتعرف على الحواس المختلفة والجهاز العصبي وكذلك الجهاز الغدي مما يلقي مزيداً من الضوء على الظاهرة السلوكية .

٢ ــ علم النفس وعلم وظائف الأعضاء :

إذا كان علم الطب والتشريح قد ساعد على التعرف على أعضاء الجسم المختلفة وأقسامه ، فإن علم وظائف الأعضاء يساعد على التعرف على المهمة الوظيفية لتلك الأعضاء .

فقد بات من المسلم به أنه لا يمكن أن تقوم للفرد حياة نفسية سليمة سوية إلا بوجود جهاز عصبي سليم . كما أن الغدد الصماء تؤدي أيضاً وظيفة هامة وأساسية في تنظيم الحياة النفسية وتوجيهها والتحكم فيها . فالانفعالات المختلفة التي يمر بها الفرد في حياته كإنفعال الغضب مثلاً ، لا يكون له معنى ، بل لا وجود له إذا لم يصاحبه تغير في الدورة الدموية والتنفس وضربات القلب . وعلى ذلك

فإنه لا يمكن الاطلاع على وظائف التنفس وسلوكها إلا بالاطلاع على وظائف الجسد . وكما سنرى فيما بعد أن كثيراً من علماء النفس كانوا في الأصل علماء فسيولوجيا .

٣ ـ علم النفس وعلم الأحياء :

إن علم الأحياء ربط بين عالم الحيوان وعالم الانسان ، وساهم في تفسير الكثير من الظواهر النفسية في علم النفس حين دله على وجوب الرجوع إلى عالم الحيوان . وبذلك نشأ فرع جديد من علم النفس هو علم النفس الحيواني . وإذا ذكرنا سهولة التجريب على الحيوان ، قدرنا الخدمات التي تؤديها دراسة الحيوان للانسان .

٤ ـ علم النفس وعلم الوراثة :

كما يرتبط علم النفس بعلم الوراثة . ويساعدنا علم الوراثة على التعرف على ماضي الفرد وأثره في حاضره ومستقبله . ومن الأهمية بمكان عند دراسة الفرد أن نأخذ بعين الاعتبار مقدار الارث البيولوجي الذي يحمله هذا الفرد . فلا شك أن سلوك الفرد يتوقف إلى حد ما على ما ورثه عن الآباء والأجداد . فالذكاء مثلاً كاستعداد وراثي يعرف بأنه قدرة عقلية فطرية عامة . ولاشك أن سلوك الفرد ذو صلة وثيقة بذكاءه .

٥ ـ علم النفس وعلم الاجتماع :

في الواقع أن علم النفس يهتم بكثير من المشاكل التي يبحثها علم الاجتماع . وبهذا يساهم علم النفس مساهمة فعالة في خدمة المجتمع ، ومن هنا كان تداخل علم النفس مع علم الاجتماع في كثير من الموضوعات . فإذا حاولنا أن نستعرض الموضوعات التي تدخل

في نطاق كل علم فسنجد تداخلاً كبيراً فيها ، فمثلاً بحوث علم النفس في الاحساس والادراك والتذكر والتفكير والانفعالات وغيرها لا يمكن أن نخلصها من العوامل الاجتماعية . كما أن بحوث علم الاجتماع في تكوين الاسرة والنظم الاجتماعية وأساليب تفاعل وتكوين الجماعات وما يحدث فيها من عقائد وعادات وتقاليد إلى غير ذلك ، لا يمكن أن نخلصها من أثر العامل النفسي للفرد ومن هنا نشأ فرع خاص في علم النفس هو علم النفس الاجتماعي وهو علم قائم على أساس كل من علم الاجتماع وعلم النفس .

٦ ـ علم النفس وعلم التربية :

كما أن هناك إرتباط وثيق بين علم النفس وعلم التربية . فقد نشأ فرع علم النفس التربوي بهدف تطبيق المفاهيم السيكولوجية في ميدان التربية . إن تطبيق المفاهيم السيكولوجية في التربية قلب مفاهيم التربية القديمة رأساً على عقب ، فتركت الفلسفة التربوية القديمة وأخذت بفلسفة سيكولوجية جديدة غايتها الاهتمام بالفرد والفردية كل حسب طاقاته وإمكانياته وإستعداداته ، ووظيفة المدرسة فيها أصبحت تمهد الطريق للتلميذ لكي ينمو نمواً متكامل الجوانب . وجعلت النظام المدرسي قائم على الحرية والتعاون بعد أن كان قائماً على الضغط والكبت . كما أوصت تلك المفاهيم السيكولوجية بالاهتمام بالنشاط الذاتي للتلميد وفعاليته وإيجابيته في العملية التربوية بعد أن كان الاهتمام منصباً على الطريقة التقليدية التي تعتمد على السلبية المطلقة من جانب التلميذ وإهتمامها الأوحد بالحفظ والتلقين ، إلى غير ذلك من المفاهيم السيكولوجية التي غذت ميدان التربية . وخلاصة ما تهدف إليه التربية الحديثة هو ضرورة إعتماد التربية على الدراسات السيكولوجية للتلاميذ في الحقل التربوي .

٧ ــ علم النفس وعلم الاحصاء :

إن المتتبع لتطور علم النفس ، يجد أنه لم يقف عند حدود إعطاء المعلومات الكيفية الوصفية ، بل حاول الحصول على معلومات كمية إحصائية ، ويتمثل ذلك في حساب نسبة الذكاء الذي يساوي رياضياً العمر العقلي للفرد مقسوماً على عمره الزمني مضروباً في مائة . وكذلك في حساب النسبة التحصيلية الذي يساوي العمر التحصيلي مقسوماً على العمر الزمني مضروباً في مائة ، إلى غير ذلك من الوسائل الاحصائية التي تستخدم في تفسير الظواهر السلوكية كحساب المتوسط الحسابي والوسيط والمتوال والانحراف المعياري ومعاملات الارتباط والنسبة التائية إلى ما هو أعقد من ذلك مثل حساب التحليل العاملي ومعامل الانحدار .

والمعلومات الكمية التي قدمها علم النفس في ميدان التعلم لها أهمية كبرى . إذ أن التغيرات الكمية التي تحدث في موقف تعليمي معين يمكن دراستها من ملاحظة منحنى التعلم ، ذلك الرسم البياني الذي يمثل مقدار ومدى التحسن في الأداء . فتعيننا الرسوم البيانية في عمليات التشخيص إذ أنها تشخص أخطاء التلاميذ باكراً للعمل على علاجها وتلافيها وبذلك نضمن دوام التقدم في عملية التعلم .

وهكذا فإن علم النفس قد تخطى مرحلة الملاحظة والوصف إلى مرحلة التجريب والقياس الكمي وأصبح يعبر عن كثير من الظواهر النفسية بكميات رياضية ومعادلات إحصائية . حتى أصبحت الاحصاء أداة لا يستغنى عنها في معظم، إن لم يكن في كل ميادين علم النفس .

٨ ــ علم النفس وعلم الاقتصاد :

كما أن هناك صلة بين علم النفس وعلم الاقتصاد ، الذي يهتم

بدراسة الظروف الاقتصادية للمجتمع والتي تؤثر في سلوك الأفراد . حيث يتكيف السلوك الانساني دائماً للظروف الاقتصادية المحيطة به . فالمجتمع الزراعي يختلف في طبيعته عن المجتمع الصناعي الذي يختلف بدوره عن المجتمع التجاري . من هنا يعتقد أن علم الاقتصاد يمكن أن يلقي بعض الضوء على السلوك الانساني .

٩ ــ علم النفس وعلوم الدين :

وهناك صلة أكثر إرتباطاً بين علم النفس وعلوم الدين بتعاليمه وقوانينه وشرائعه السماوية . فقد قدم لنا القرآن الكريم كما قدمت لنا السُنَّة النبوية الشريفة تشريحاً معجزاً لمختلف جوانب النفس البشرية من أول النفس الأمارة بالسوء إلى النفس المطمئنة كما أوردنا ذلك في الصفحات السابقة ، من هنا كانت العلاقة الوثيقة بين علم النفس وعلوم الدين .

وخلاصة القول إن الانسان لا يسلك في فراغ وإنما في مجتمع له عاداته وتقاليده ونظمه وقوانينه المستوحاة من الأديان السماوية السمحاء ، وبالتالي فإن كل ما يصدر عن الانسان من سلوك لا يمكن تفسيره بشكل علمي موضوعي إلا بالرجوع إلى مختلف العوامل المتشابكة التي يعتبر السلوك الانساني محصلة طبيعية لتلك العوامل .

الفصل الثالث
مناهج البحث في علم النفس

﴿ ... لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ... ﴾
(المائدة : ٤٨)

- مقدمة
- الطرق العامة :

* المنهج الذاتي .
* الاسلام والمنهج الذاتي .
* المنهج الموضوعي .
* الاسلام والمنهج الموضوعي .
* المنهج التتبعي .
* الاسلام والمنهج التتبعي .
* المنهج العيادي .
* الاسلام والمنهج العيادي .
* المنهج التجريبي .
* الاسلام والمنهج التجريبي .

- **الطـرق الخاصـة :**

* عينـة البحـث .
* الملاحظـة .
* التجـريـب .
* المقابلـة .
* الاسـتفتـاء .
* الاختبارات النفسية .

- **مدارس علم النفس :**

* المدرسـة السـلوكية .
* المدرسـة الغرضيـة .
* مدرسة التحليل النفسي .
* المدرسـة الاسـلامية .

الفصل الثالث

مناهج البحث في علم النفس

مقدمة :

كل علم من العلوم له موضوعه الخاص ، وله أيضاً مناهجه الخاصة في البحث ويقصد بالمنهج الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته لموضوع ما بهدف التوصل إلى القوانين العامة التي تحكم سير الظاهرة موضوع الدراسة . فالمنهج إذن هو طريقة بحث وطريقة تفكير تعتمد أساساً على الملاحظة والمشاهدة ، والموضوع والمنهج مرتبطان ببعضهما ، فلا علم بغير موضوع ، ولا موضوع بغير منهج .

ولاشك أن موضوع العلم وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها يحددان مناهجه وطرقه في بحث مشكلاته الخاصة .

ونظراً لتعدد أفرع علم النفس وميادينه تنوعت تبعاً لذلك الموضوعات التي تدخل في مجاله ، وتبع ذلك تنوع وتعدد المناهج التي تستخدم في علم النفس . ويقرر أندروز[1] إذا أردنا أن نعد قائمة بمناهج البحث المتعددة في علم النفس ، لوجدنا أن هناك نماذج كثيرة للمناهج العامة ، ونماذج أخرى لوسائل أكثر نوعية . ولكل من ميادين الدراسات النفسية وسائله النوعية الخاصة به في البحث . أما المناهج العامة فليست خاصة بكل ميدان على حده ولكنها تستخدم كأمر مشترك يملكه علماء النفس جميعاً .

---

(١) ت . ج . أندروز : مناهج البحث في علم النفس ، الجزء الأول ، ترجمة الدكتور يوسف مراد ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٧ ، ص ١٦ .

ولقد إستحق علم النفس أن يكون علماً بقدر ما صار يلتزم بالطرق العلمية في دراسته للظواهر السلوكية ، وبالتالي لا تختلف أهداف العلم عموماً عن أهداف علم النفس بميادينه المختلفة . فالمنهج في علم النفس هو إذن المنهج أو الطريقة التي يتم بها دراسة الظواهر السلوكية . وما يتبناه الباحث في علم النفس من إجراءات ووسائل وأساليب للحصول على معلومات كافية عن الظواهر السلوكية موضوع الدراسة .

هذا ويمكن تقسيم طرق البحث في علم النفس إلى :

أولاً : طرق عامة ، وهي المناهج المتبعة ، وتعني الخطوات المنظمة التي يتبعها الباحث لدراسة الظاهرة السلوكية حتى يصل إلى نتائجه .

ثانياً : طرق خاصة وهي عبارة عن الوسائل المتبعة في جمع المعلومات الخاصة بالظاهرة السلوكية موضوع الدراسة .

أولاً ــ الطـرق العامـة

مناهـج البحـث

١ ــ المنهج الذاتي (التأمل الباطني ، الملاحظة الداخلية) :

تقوم هذه الطريقة على ملاحظة المرء لنفسه ، وتأمله لما يدور بها . ومعناه أن يراقب الانسان بنفسه عملياته العقلية بغية تأمل الفرد لما يجري داخل نفسه . فهو بذلك منهج يلاحظ فيه الفرد ذاته فيصف ويحلل خيالاته وعواطفه وأفكاره ومشاعره وإحساساته .

إذن يقصد بمنهج الاستبطان دراسة الفرد لمشاعره بنفسه عن طريق تأمل ذاته وملاحظة ما يدور داخلها . وهو بذلك نوع من أنواع الملاحظة ولكنها الملاحظة الذاتية الداخلية .

وقد وجهت إلى هذا المنهج عدة إعتراضات منها :

(أ) ليست عملية الملاحظة الذاتية بالعملية السهلة بل تحتاج إلى درجة كبيرة من الخبرة والتدريب حتى يمكن للمستبطن أن يدرس عواطفه ومشاعره وأحاسيسه بنفسه .

(ب) وصف الحالات النفسية الشعورية وصفاً دقيقاً ونقلها إلى الغير في دقة ووضح أمر غاية في الصعوبة ، خاصة وأن اللغة ليست دائماً مرآة صادقة للفكر .

(جـ) والأحوال النفسية الشعورية علاوة على كونها معقدة فإنها سريعة التغير ، مما يجعل عملية التأمل الباطني صعبة إن لم تكن مستحيلة .

(د) الفرد الذي يتأمل تأملاً باطنياً يكون متأثراً في أقواله إلى حد ما بخبراته ومعلوماته السابقة وليست وليدة الحالة النفسية الراهنة .

(هـ) تتطلب عملية الاستبطان أن يكون الفرد موزع الانتباه بين عمليتين في وقت واحد وهما أن يقوم الفرد بدور الملاحظ ويكون في نفس الوقت مُلاحَظاً ، وهذا من شأنه أن يغير من الحالة النفسية الشعورية علاوة على كون الملاحظة ضعيفة لانشغال مركز العقل في التجربة .

(و) فضلاً عن إعتماد هذا المنهج على الحالات الفردية التي لا تصلح أساساً للعلم ولا يمكن الوصول فيها إلى قانون عام لاختلاف طبائع الناس ومشاعرهم وما تشتمل عليه تجاربهم وخبراتهم الذاتية .

وبالرغم من الاعتراضات السابقة التي وجهت إلى المنهج الاستبطاني إلا أنه لا يمكن الاستغناء عنه كمنهج من مناهج البحث في علم النفس .

الاسلام والمنهج الذاتي :

يحث الاسلام الانسان على أن يتفكر ويتدبر بملاحظة نفسه ملاحظة داخلية ذاتية بما فيها من قدرات وإمكانيات وعجائب أودعها الله تعالى في ابن

آدم ، مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾

(الزاريات : ٢١)

ليكون الانسان شاهداً على نفسه ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ بل الانسان على نفسه بصيرة ﴾

(القيامة : ١٤)

أي يكون الانسان شاهداً على نفسه وبنفسه ، على أعماله وأفعاله وأقواله ، ودون أن يحتاج إلى شاهد آخر ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾

(الاسراء : ١٤)

وقوله عز وجل :

﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾

(المدثر : ٣٨)

هكذا يحض الاسلام إلى التأمل الذاتي في أنفسنا ومراقبة النفس ومحاسبتها لتقويمها وإصلاحها قبل يوم الحساب . وهذا هو جوهر المنهج الاستبطاني الذاتي .

٢ ـــ المنهج الموضوعي (الملاحظة الخارجية) :

ويقصد بهذا المنهج ملاحظة سلوك الآخرين وتصرفاتهم في المواقف المختلفة دون التعرض إلى ما في داخل أنفسهم . والواقع أن ما نعرفه عن الآخرين يعتمد إلى حد كبير على سلوكهم الظاهري الخارجي ، لا على أحوالهم الداخلية . فنقول على سبيل المثال أن فلان مسرور لما نراه على وجهه من علامات وأمارات تصاحب هذه الحالة عادة . وبالتالي هناك فارق واضح بين

المنهج الموضوعي والمنهج الذاتي الاستبطاني ، والذي يقوم أساساً على ملاحظة الفرد لنفسه ملاحظة داخلية تأملية ذاتية[1] . في حين أن المنهج الموضوعي يقوم على أساس الملاحظة الخارجية للآخرين . وبطبيعة الحال أن الملاحظة الخارجية لا تدلنا إلا على المظاهر الخارجية للسلوك دون تفسير للدوافع الداخلية للسلوك .

وما يجدر الاشارة إليه أن الملاحظة نوعان :

(أ) الملاحظة العابرة :

وهو نوع من الملاحظة العابرة التي تتم بدون أي محاولة لضبط المتغيرات أو العوامل التي تحدث فيها هذه الملاحظة ، وهذا النوع من الملاحظة لا يفضل الاعتماد عليه في البحث العلمي .

(ب) الملاحظة المنظمة :

وهو نوع من الملاحظات الدقيقة المقصودة ، ويقصد بها تنظيم ما نلاحظه عن طريق ضبط المتغيرات ، وهذا النوع من الملاحظة يفضل الأخذ به في مجال البحث العلمي .

وهذا المنهج الموضوعي لا يخلو من صعوبات في إستخدامه منها :

(أ) قد لا يكشف السلوك الملاحظ عن حقيقة مشاعر الفرد الداخلية .

(ب) قد يتسرع الملاحظ في حكمه فيصل إلى نتائج خاطئة ، وقد لا يكون هذا الخطأ عيباً في الطريقة بقدر ما هو عيب في الباحث .

---

(١) عبد الرحمن صالح عبد الله : مطالعات علم النفس ، القاهرة : دار الفكر العربي ، طبعة أولى ، ص ٢٩ .

الاسلام والمنهج الموضوعي (الملاحظة الخارجية) :

كما أن الاسلام يدعو الانسان إلى ملاحظة نفسه ملاحظة داخلية تبعاً للمنهج الذاتي أو التأمل الباطني ، فإنه أيضاً يحث الانسان على الملاحظة الخارجية الموضوعية لمخلوقات الله عز وجل لعله يجد فيها من العبر والعظات ما يجعله يؤمن بقدرة الله تعالى وعظمته ، لقوله عز من قال :

﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾

(الروم : ٩)

وقوله عز وجل :

﴿ أفلاينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت * فذكر إنما أنت مذكر ﴾

(الغاشية : ١٧ ـــ ٢١)

كما أثنى الله تعالى على الملاحظين المتفكرين في خلقه لقوله تعالى :

﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموٰات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾

(آل عمران : ١٩١)

هكذا يحث الاسلام على ملاحظة مخلوقات الله والتفكر فيها ، وهذا هو جوهر المنهج الموضوعي القائم على الملاحظة الموضوعية الخارجية .

٣ ـــ المنهـــج التتبعـــي :

وتعني هذه الطريقة بملاحظة السلوك الانساني كما يحدث دون أي تدخل من الملاحظ ، لذلك يعتبر هذا المنهج إحدى طرق الملاحظة التي قد تستمر

لفترة طويلة . ويصلح هذا المنهج في دارسة النمو كظاهرة عند الطفل كالنمو الجسمي ، والنمو العقلي ، والنمو الانفعالي ، والنمو اللغوي ، والنمو الاجتماعي .

هذا ويمكن دراسة الظاهرة النفسية في نموها وتطورها بطريقتين :

١ ـــ الطريقة الطولية :

وفي هذه الطريقة يقوم الباحث بسلسلة متتابعة من الملاحظات المنظمة لمجموعة معينة من الأطفال في سن مبكر ، ثم متابعة نفس الأطفال في أعمار مختلفة حتى سن معين .

٢ ـــ الطريقة المستعرضة :

وفي الطريقة المستعرضة ، فإن الباحث بدلاً من أن يكرر ملاحظة وقياس الظاهرة النفسية للنمو عند نفس الأطفال ، فإنه يأخذ عينات من أطفال من أعمار زمنية مختلفة .

وفي الواقع لكل طريقة مزايا معينة . فتعتبر الطريقة الطولية أكثر دقة وعلمية ، بينما الطريقة المستعرضة أكثر إستعمالاً لأنها أقل تكلفة وأقل إستهلاكاً للوقت عن الطريقة الطولية التي تحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير وتكلفة باهظة .

الاسلام والمنهج التتبعي :

يتمثل المنهج التتبعي الذي يصلح أول ما يصلح في دراسة ظاهرة النمو ، في قوله عز وجل :

﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام

ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ... ﴾
(الحج : ٥)

وقوله عز من قال :

﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ... ﴾
(الروم : ٥٤)

وقوله تعالى :

﴿ وهو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون ﴾
(غافر : ٦٧)

هكذا يخبرنا الحق تعالى عن المنهج التتبعي لدراسة ظاهرة النمو النفس منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

٤ ـ المنهج العيادي :

يستهدف هذا المنهج تشخيص وعلاج من يعانون من مشكلات سلوكية ، واضطرابات نفسية . وتستخدم هذه الطريقة العيادية الاختبارات المختلفة وكذلك الملاحظة بغية التوصل إلى أكبر قدر من المعلومات عن الفرد . هذا وقد نحصل على المعلومات من الفرد نفسه مباشرة ، أو عن طريق السجلات والمذكرات الخاصة بالفرد ، أو عن طريق مصادر أخرى كالوالدين أو الأقارب أو الزملاء في العمل . كل ذلك بقصد دراسة تاريخ الحياة . وعادة يكون الهدف من دراسة تاريخ الحياة هو التشخيص والعلاج النفسي .

هذا وتتضمن الطرق الفنية التي يستعين بها المعالج النفسي في عمليات التشخيص والتوجيه والعلاج النفسي الأساليب التالية :[1]

(أ) دراســـة الحالـــة Case Study

(ب) المقابلـــة العيـــاديـــة Clinical Interview

(جـ) الاختبـــارات التشـــخيصية Diagnostic Tests

(أ) دراســـة الحالـــة :

بالنسبة لهذه الطريقة هناك عدة وسائل ذكرناها سابقاً لجمع البيانات والمعلومات المتعلقة بالحالة موضوع العلاج ، فتجمع بيانات عن الأسرة التي يعيش معها الفرد ، وبيانات عن التاريخ التطوري للحالة ، وعن بداية الاضطراب النفسي إلى غير ذلك من البيانات التي تفيد في تشخيص الحالة المرضية ومن ثم تفيد في العلاج .

(ب) المقابلـــة العياديـــة :

هي عبارة عن علاقة دينامية متبادلة بين شخصين أو أكثر ، أحدهما هو المعالج النفسي أو أخصائي التوجيه والارشاد النفسي ، والآخر أو الآخرون هو الشخص المريض أو الأفراد الذين يبحثون عن حل لمشكلاتهم الخاصة .

ويستطيع المعالج النفسي أو أخصائي التوجيه من خلال هذه المقابلة أن يحصل على بيانات ومعلومات شخصية عن تاريخ حياة

---

(١) د . مصطفى فهمي : علم النفس الاكلينيكي ، القاهرة : دار مصر للطباعة ، ص ٣٩ .

الفرد نفسه ، وربما تكون المقابلة مع الحالة نفسها ، وربما تكون مع الوالدين أو أحد الأقارب أو أحد زملاء ، العمل بهدف الحصول على أكبر قدر من المعلومات عن الحالة المرضية .

وهناك مبادىء يجب أن تقوم على أساسها المقابلة من أهمها خلق جو حر طليق للعميل للتعبير عما في نفسه من مشاعر وأحاسيس مع ضرورة توفير عنصر الأمانة الكامل من جانب المعالج . وقد يضطر المعالج النفسي أحياناً إلى تطبيق بعض إختبارات القدرات العقلية أو بعض مقاييس الشخصية للاستفادة من نتائجها في وصف خطة العلاج للعميل .

(جـ) الاختبارات التشخيصية :

قد يستعين المعالج النفسي أحياناً بالاختبالارات التشخيصية لإعطاء صورة متكاملة عن الحالة المرضية تمهيداً لوضع خطة العلاج الملائمة للحالة المرضية .

الاسلام والمنهج العيادي :

يخبرنا الحق تبارك وتعالى في أول سورة البقرة عن ثلاثة أصناف من الناس . فقد تناولت الآيات الكريمة في البدء الحديث عن صفات كل من المؤمنين ، والكافرين ، والمنافقين .

الصنف الأول هم المؤمنون الذين قال تعالى في حقهم :

﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوٰة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾

(البقرة : ٢ — ٥)

والصنف الثاني هم الكافرون الذين قال الله تعالى فيهم :

﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم ءَأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشوة ولهم عذاب عظيم ﴾

(البقرة : ٦ ، ٧)

أما الصنف الثالث والأخير من الناس هم المنافقون ، الذين قال الله تعالى فيهم :

﴿ ومن الناس من يقول ءَامنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين ءَامنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾

(البقرة : ٨ — ١٠)

هكذا يخبرنا تعالى عن صفات كل من المؤمنين والكافرين والمنافقين فتوضح لنا الآيات الكريمة (من ١ — ٥) من سورة البقرة الصفات التي تميز المتقين بأنهم يصدقون بالغيب ، ويؤدون الصلاة على أكمل وجه ، ويتصدقون بأموالهم في وجوه البر والخير ، ويؤمنون بكل ما أُنزل عليك يا محمد وكذلك ما جاءت به الرسل من قبلك . هؤلاء حقاً هم على هدى من ربهم وعلى نور وبيان وبصيرة من الله تعالى لذلك وصفهم الحق تبارك وتعالى بأنهم هم المفلحون .

والآيات الكريمة (٦ — ٧) توضح الصنف الثاني من الناس وهم الكافرون ، ذلك لأنهم جحدوا وكذبوا رسالة محمد ﷺ . والعلة في ذلك أن الله تعالى طبع على قلوبهم من كثرة ذنوبهم التي طمست نور البصيرة ، فلا يدخل في قلوبهم نور ، ولا يشرق فيها إيمان .

أما الآيات الكريمة (٨ ، ٩ ، ١٠ وما بعدها) فإنها تصف لنا الصنف الثالث من الناس وهم المنافقون ، وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، لذلك فهم أخبث من الكفرة وأبغضهم إلى الله تعالى ، لأنهم يريدون أن يخدعوا

الله بقولهم بألسنتهم كلمة الايمان ، ولكنهم لا يخدعون إلا أنفسهم ، والعلة في ذلك المرض الذي في قلوبهم من شك ونفاق ورياء فزادهم الله رجساً فوق رجس .

هكذا عدد لنا القرآن الكريم الأسباب المرضية التي كانت وراء كل من الصنف الثاني والثالث من الناس ، فوصفهم بالكفر والنفاق . وكذلك ذكر لنا القرآن الكريم الأساب الصحية التي كانت وراء المؤمنين المتصفين بالفلاح والفوز بالدرجات العالية في جنات النعيم .

٥ ــ المنهــج التجريــبي :

لو اقتصر علم النفس أو العلم عموماً في أبحاثه على إنتظار وقوع الظواهر السلوكية أو الأحداث لملاحظتها لكان سيره بطيئاً . لذا كان لابد وأن يتدخل العلم فيرتب الظروف التي تقع فيها الظواهر السلوكية أو الطبيعية ترتيباً معيناً ، ثم يلاحظ ملاحظة دقيقة ومنظمة لما يحدث . والطريقة التجريبية تعتبر أساس التقدم العلمي في مجالات المعرفة الانسانية لأنها تنتهي إلى الكشف عن أسباب الظواهر والعوامل المؤثرة فيها . لذلك يعد المنهج التجريبي الطريقة الرئيسية في أبحاث العلوم الطبيعية ، وتقترب العلوم الانسانية من دقة وموضوعية تلك العلوم الطبيعية بمقدار إستخدامها للمنهج التجريبي في مختلف أبحاثها . وتحقق الطريقة التجريبية الأهداف الثلاثة الأساسية للبحث العلمي وهي كما ذكرنا سابقاً هي : الفهم ، والتنبؤ ، والتحكم ، فلا تكاد ترقى أغلب الطرق الأخرى إلى مستوى الطريقة التجريبية ، لأن معظم الطرق الأخرى غالباً ما تنتهي عند هدف الفهم ولا ترقى إلى هدف التحكم .

وقوام الطريقة التجريبية دراسة العلاقات القائمة بين المتغيرات المستقلة (المثيرات) ، والمتغيرات التابعة (الاستجابات) ، وذلك عن طريق إحداث

تغيرات مقصودة في المتغيرات المستقلة (المثيرات) للكشف عن أثر ذلك التغير فيما يقابله من تغير في المتغيرات التابعة (الاستجابات) وذلك بهدف معرفة أسباب الظواهر السلوكية والعوامل المؤثرة فيها . وغالباً ما تقتضي مثل هذه الدراسة إختيار جماعتين إحداهما تسمى المجموعة التجريبية فيها تحدد العلاقة بين أثر تغير المتغير المستقل على ما يحدث من تغير في المتغير التابع ، والمجموعة الأخرى ضابطة فيها يثبت أثر المتغير المستقل لمعرفة ما يمكن أن يحدث في المتغير التابع وهو غير متأثر بالمتغير المستقل . وتتم مقارنة نتائج الجماعتين لمعرفة أثر التغير المقصود والتغير غير المقصود ، وذلك بهدف تحديد الأسباب الحقيقية للظاهرة السلوكية .

وهناك نماذج مختلفة للتصميم التجريبي نلخص أهمها فيما يلي :

١ ـ القياس البعدي للمجموعتين التجريبية والضابطة :

في هذا النموذج يقاس أثر المتغير المستقل بمقارنة متوسط إستجابات المجموعة التجريبية بعد تعرضها للمتغير المستقل بمتوسط إستجابات المجموعة الضابطة والتي لم تتعرض للمتغير المستقل . ثم يحسب فرق المتوسطين والدلالة الاحصائية لهذا الفرق . فإذا كان الفرق ذو دلالة إحصائية فإن ذلك يدل على أثر المتغير المستقل ، وإذا لم يكن للفرق دلالة على أثر المتغير المستقل ، وإذا لم يكن للفرق دلالة إحصائية فإن ذلك يدل على إنعدام أثر المتغير المستقل .

٢ ـ القياس القبلي البعدي للمجموعتين :

هنا تقاس المتغيرات التابعة في المجموعتين التجريبية والضابطة قبل بدء التجربة وبعد إنتهائها ، أي قبل تعرض الجماعة التجريبية للمتغير المستقل وبعد تعرضها ثم تقاس الفروق على أساس المتوسطات وتحسب الدلالة الاحصائية لتأكيد أثر المتغير المستقل من عدمه .

٣ ــ القياس القبلي البعدي لمجموعة واحدة :

في هذا النموذج التجريبي تصبح المجموعة الواحدة هي المجموعة التجريبية وفي نفس الوقت هي المجموعة الضابطة . وعلى ذلك تقاس إستجابة المجموعة في المتغير التابع قبل تعرضه للمتغير المستقبل أي قبل إجراء التجربة ، ثم تقاس إستجابات نفس المجموعة بعد إجراء التجربة في المتغير التابع ، ثم تحسب المتوسطات تمهيداً لقياس الفرق بين القياس القبلي والبعدي لتحديد أثر المتغير المستقل .

ويفضل في هذا التصميم أن تكون الفترة الزمنية بين القياس القبلي والبعدي للمجموعة فترة قصيرة بقدر الاماكن حتى لا تتدخل في التجربة متغيرات أخرى قد تؤثر في نتائج التجربة .

خطوات الطريقة التجريبية في البحث :

يسير البحث التجريبي في خطوات نلخصها فيما يلي :

١ ــ أهمية المشكلة وتحديدها :

يبدأ البحث التجريبي في أولى خطواته الشعور بالمشكلة والاحساس بأهميتها ، على أن تكون المشكلة حقيقية وليست مؤقتة ، ثم تحدد هذه المشكلة في صيغة سؤال أو عدة أسئلة يحاول أن يجيب عنها البحث . هذا التحديد يفيد في توجيه إهتمام الباحث نحو جمع حقائق معينة تخص المشكلة .

٢ ــ فرض الفروض :

الفروض عبارة عن إجابة محتملة لسؤال ، والتجربة تستهدف الكشف عن صحة هذا الفرض فالفرض ما هو إلا حكم مبدئي لتفسير

ظاهرة ما من الظواهر . « وهو لا يعدو أن يكون نوعاً من التخمين وتخيل العوامل التي يظن الباحث أنها سبب الظاهرة »[1] وق تصدق تلك التخمينات وقد لا تصدق والتجربة هي المحك الذي يقطع بصحة الفرض أو خطئه . والفروض لا يجوز أن تصبح حقائق إلا بعد تحقيقها تجريبياً .

٣ ـ إختبار صحة الفروض :

وذلك عن طريق جمع البيانات المختلفة المتعلقة بتلك الفروض ، ثم إجراء التجارب المختلفة التي قد تؤيد أو تدحض الفروض التي ذهبنا إليها .

٤ ـ النتائج وتفسيرها

في هذه المرحلة يقوم الباحث بتفسير النتائج التي توصل إليها تفسيراً علمياً سليماً يتفق مع ما توصل إليه الآخرون في أبحاثهم ودراساتهم المشابهة .

٥ ـ التوصيات :

ثم تأتي أخيراً مرحلة المقترحات والتوصيات التربوية التي يوصي بها الباحث في ضوء ما توصل إليه من نتائج وما قام به من تفسير لتلك النتائج ويفضل أن ينتهي البحث بمقترحات لأبحاث أخرى تجيب عن التساؤلات التي إنتهت بها الدراسة .

---

(١) دكتور أحمد عزت راجح : أصول علم النفس ، القاهرة : المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر ، ص ٥٢ .

الاســلام والمنهــج التجريــبي :

لاشك أن هذه المناهج التي تعرضنا لها على إختلاف أنواعها هي في المقام الأول نتاج العقل البشري الذي كرم الله سبحانه وتعالى به الانسان ، فالعقل كما يقول الامام الغزالي منبع العلم ومطلعه وأساسه[1] وقد إتضح لنا مما تقدم أن المنهج التجريبي هو عماد وأساس التقدم العلمي في مختلف مجالات المعرفة الانسانية . ولا غرو فقد حدثنا القرآن الكريم عن هذا المنهج العلمي التجريبي منذ أربعة عشر قرناً من الزمان . وكان سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل السلام وأذكى التسليم ، كما أخبرنا الحق تعالى ، هو أول من إتبع خطوات المنهج التجريبي ، القائم أساساً على التجربة والمشاهدة والاستنتاج . ذلك حينما قال سيدنا إبراهيم لرب العزة ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا ثم أدعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾

(البقرة : ٢٦٠)

هذه التجربة العملية بدأت بسؤال الخليل عليه السلام عن الكيفية التي يحيى بها مع إيمانه القاطع بالقدرة الربانية ، فأجاب رب العزة بقوله ﴿ أو لم تؤمن ﴾ أي أو لم تصدق بقدرتي على إحياء الموتى . هنا خاطب الخليل ربه بقوله : ﴿ بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ وكان سيدنا إبراهيم يريد أن يرى تجربة عملية فعلية وفقاً للمنهج العلمي التجريبي القائم كما ذكرنا سابقاً على تجربة ومشاهدة وإستنتاج ، وحتى يوقر ذلك في قلبه وفؤاده . عندئذن شرح الله تعالى خطوات التجربة لسيدنا إبراهيم بأن يأخذ أربعة طيور (قال مجاهد : كانت طاووساً وغراباً وحمامة وديكاً)[2] فضمهن إليك لتتعرف عليهم وتدركهم إدركاً

---

(١) الامام الغزالي : إحياء علوم الدين ، بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ، الجلد الأول ص ٨٣

(٢) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير . الجزء الأول : بيروت دار القرآن الكريم ١٩٨١ ، ص ١٥٢ .

تاماً ثم قطعهن ، وقال المفسرون : ذبحهن ثم قطعهن ثم خلط بعضهم ببعض حتى اختلط ريشها ودماؤها ولحومها ثم أمسك برءوسها عنده وجزأها أجزاء على الجبال[1] . إلى هنا كانت خطوات التجربة العملية الميدانية ، ثم دعاهن كما أمره الله تعالى فجعل يشاهد الريش يطير إلى الريش ، والدم إلى الدم ، واللحم إلى اللحم حتى عادت طيراً كما كانت وأتينه يمشين سعياً ليكون ذلك أبلغ له في الرؤيا لما سأل ، وهذا بمثابة المشاهدة أو الملاحظة المقصودة في المنهج التجريبي . أما الاستنتاج أو الاستدلال يتلخص في قول الله عز وجل : ﴿ واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ أي أن الله تعالى لا يعجز عما يريد وحكيم في تدبيره وصنعه عز وجل .

هذا هو المنهج العلمي التجريبي الذي تحدث عنه علماء النفس في بداية القرن التاسع عشر .

ثانيا : الطـرق الخاصـة

وسـائل جمـع المعلومـات

١ ـ عينـة البحـث :

تعتبر العينة بالنسبة للبحث العلمي المصدر الرئيسي في جميع المعلومات . فالبيانات التي نجمعها عن ظاهرة سلوكية معينة إنما نحصل عليها من مجموعة من الأفراد المفحوصين المعنيين بالدراسة ، وبالتالي تختلف نوعية المفحوصين باختلاف طبيعة ونوعية الظاهرة السلوكية موضوع الدراسة . ومن

---

(١) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير (مرجع سابق) الجزء الأول ، ص ١٥٢ .

ثم يمكن الخروج بنتائج تتفق مع طبيعة العينة موضوع الدراسة ..وهناك نوعان من العينات :

١ ــ العينة العشوائية **Random Sample** :

تختار هذه العينة من المجتمع الأم عن طريق القرعة مثلاً أو بالاختيار العشوائي من جداول الاعداد العشوائية المعدة لذلك شريطة أن يكون حجم العينة ممثلاً للمجتمع الأصل .

٢ ــ العينة المنتظمة **Systimatic Sample** :

ويتم اختيار أفراد هذه العينة بطريقة منتظمة ، كأن يختار المفحوصين ذوى الأرقام الزوجية مثلاً في قائمة الأسماء أو أى أسلوب آخر يختار على أساسه أفراد العينة .

ولاشك أن توخى الدقة في اختيار العينة ينعكس بشكل مباشر على صدق النتائج التي يتوصل إليها الباحث ، وعلى ذلك فإن إختيار العينة يعد من أهم الأمور التي تساهم مساهمة فعالة في إنجاح البحث .

٢ ــ الملاحظــــة **Observation** :

تعد الملاحظة إحدى الطرق العامة لجمع البيانات في كثير في العلوم المختلفة . فهي وسيلة أساسية لجمع الحقائق عن مختلف الظواهر الدراسية طبيعية كانت أو سلوكية . لذلك تحتل الملاحظة مركزاً بارزاً في البحث العلمي . والملاحظة أداة أساسية للبحث السيكولوجي . فالباحث يستخدم الملاحظة الموضوعية الدقيقة في كل ما يستخدم من أدوات العلم المختلفة من تجارب وأجهزة وأدوات إلى غير ذلك من وسائل البحث العلمي . وتتضح أهمية الملاحظة في دراسة ظاهرة النمو بمختلف جوانبه الجسمية والعقلية والاجتماعية

والانفعالية . كما تفيد الملاحظة كذلك في جمع البيانات اللازمة لدراسة حالات إضطرابات الشخصية بكافة مستوياتها المختلفة . كذلك تفيد الملاحظة في المجال التربوي عند تجريب طريقة جديدة مقترحة من طرق التدريس للتأكد من مدى صلاحيتها وفاعليتها في الحقل التربوي . فعن طريق الملاحظة يمكن تسجيل التغيرات التي تطرأ على سلوك التلاميذ كنتيجة مباشرة لاستخدام تلك الطريقة المقترحة .

رغم كل ما ذكر من مميزات للملاحظة تفيد أكبر فائدة في مجال البحث التجريبي إلا أنه يؤخذ عليها بعضِ العيوب نلخصها فيما يلي :

(أ) أنها مقيدة بفترة الملاحظة ، فإذا ما أردنا دراسة تاريخ حياة فرد معين لن نتمكن من ملاحظته مدى حياته .

(ب) كما أن هناك من مظاهر السلوك ما تعجز الملاحظة عن تدوينه بطريقة مباشرة مثل المشاعر الداخلية للأفراد ، والمشاكل العائلية وما شابه ذلك .

(جـ) قد يتحيز الملاحظ بأن يعطي تفسيرات للسلوك بدلاً من وصف السلوك نفسه .

٣ ــ التجريب **Experimentation** :

« يحتل التجريب في الدراسات النفسية مكانة تحظى بالتقدير البالغ ، لأنه ينطوي على تحقيق مقومات المنهج العلمي ، ويكشف عن العلاقات والمتغيرات المختلفة التي تحكم حركة الظاهرة »[١] .

وأساس التجريب هو « تحكم الباحث في الظروف المحيطة بالظواهر التي يدرسها بطريقة صناعية وذلك لأنه يخلق المؤثرات التي تحدث عند الفرد

---

(١) د . طلعت منصور وآخرين : أسس علم النفس العام (مرجع سابق) ، ص ٧٢ .

المفحوص نوع من السلوك الذي يطلبه دون إنتظار حدوثه في المجال الطبيعي له . وبالتالي يخلق من الشروط التجريبية في الوقت المعين ما يمكننا من الحصول على إستجابة معينة في أقصر وقت ممكن وبأدق طريقة ممكنة »[1] .

فالتجربة بذلك عبارة عن ملاحظة ولكنها تقع تحت شروط محددة يمكن التحكم فيها . ومع ذلك تختلف التجربة عن الملاحظة فيما يلي :

١ ــ إن الباحث يستطيع أن يحدد الوقت الذي تحدث فيه الظاهرة السلوكية فيستعد لذلك .

٢ ــ يستطيع الباحث أن يحدد الظروف والعوامل التي قد يكون لها أثر في حدوث الظاهرة السلوكية . وهذا يسهل على الباحث إعادة التجربة تحت نفس الشروط .

٣ ــ إن القائم بالتجربة يستطيع أن يغير ظروف التجربة بأن يثبت بعض العوامل ويغير من البعض الآخر ليدرس الآثار المترتبة على تلك العوامل المتغيرة .

٤ ــ المقابلة **Interview** :

« المقابلة حديث أو مجموعة أسئلة شفوية يوجهها شخص أو عدة أشخاص إلى آخر بقصد الحصول على معلومات معينة عن شخصيته »[2] . ويلجأ إليها الباحثون عادة كوسيلة للمفاضلة بين الأفراد والموازنة بينهم ، من حيث مدى صلاحيتهم لعمل معين . وقد يكون الهدف من المقابلة الحصول على معلومات وبيانات معينة عن شخص معين ، بقصد تشخيص نواحي القوة

---

(١) د . أحمد زكي صالح : علم النفس التجريبي ، القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٧٧ ، ص ٨ ــ ٩ .

(٢) د. أحمد عزت راجح : أصول علم النفس (مرجع سابق) ، ص ٤٨٥ .

والضعف عنده . كما قد يكون للمقابلة غرض علاجي كما يحدث في العيادات النفسية ، حيث يقضي المعالج النفسي مع العميل جلسات خاصة ، يتم خلالها فهم نفسية المريض وأسباب مشكلاته ، فيقوم المعالج بمساعدة المريض على محاولة التغلب على مشكلاته .

مميزات المقابلة :

١ ــ تمكن الباحث من الوصول إلى أهدافه بطريقة سريعة وذلك عن طريق الاتصال الشخصي المباشر ، الأمر الذي تعجز عنه الطرق الأخرى كالاختبارات أو الاستفتاءات .

٢ ــ مقابلة الباحث للفرد المراد دراسته وجهاً لوجه تمكنه من دراسته دارسة متكاملة من مختلف الجوانب ، مما يتيح له إعطاء صورة متكاملة عن الشخص موضوع المقابلة .

٣ ــ تفيد المقابلة الباحث في التحقق من صحة المعلومات والاجابات التي قد يشك فيها والتي يكون قد حصل عليها من إجراء إمتحان تحريري على الشخص أو تقديم إستفتاء إليه .

زد على ذلك أن الاختبارات النفسية قد لا تصلح في قياس بعض السمات الخاصة مثلاً كالقدرة على التعامل مع الغير أو القدرة على التعاون ، وهنا لا مفر من الالتجاء إلى المقابلة كوسيلة لجمع البيانات موضوع الدراسة .

عيــوب المقابلــة :

ومع ذلك فهناك بعض الاعتراضات التي توجه إلى أسلوب المقابلة نلخصها فيما يلي :

١ ــ أحياناً يتحيز بعض الحكام دون قصد كنتيجة لخبراتهم السابقة ، هذا فضلاً عن تحيزهم المقصود أحياناً أخرى .

٢ ــ تأثر بعض القائمين على المقابلة بالانطباع العام الذي قد يأخذونه عن الفرد موضوع المقابلة فإن كان إنطباعاً مرضياً من ناحية معينة لسار هذا الانطباع إلى مختلف الجوانب الأخرى . وإن كان إنطباعاً سيئاً في جانب معين لسار هذا الانطباع السيئ إلى الجوانب الأخرى من شخصية المفحوص . بمعنى ميل بعض الحكام إلى تعميم ما يلاحظونه من سمات لدى الفرد في جانب معين على شخصيته ككل .

٣ ــ الذي يقوم بدور الحكم يحمل أحياناً في أعماق نفسه بعض المشاعر المكبوتة كالعدوان أو التعصب أو الأنانية ، فيلجأ إلى عملية الاسقاط ويبالغ في تقدير هذه السمات لدى غيره من الأفراد موضوع المقابلة .

تهذيب المقابلة :

من أجل ذلك كان لابد من تدارك ما ذكر من عيوب وذلك عن طريق :

١ ــ **التقنين** : ويقصد به تحديد وتوحيد ظروف المقابلة ، ونوع وشكل الأسئلة وترتيبها وكذلك طريقة إلقائها حتى يفهمها الجميع على حد سواء .

٢ ــ **التدريب** : المقابلة فن يتطلب من الحكم قدراً كبيراً من الاستبصار والموضوعية ، مما يتطلب الاعداد الجيد والتدريب المستمر من قبل إخصائيين متمرسين في هذا المجال .

٣ ــ **التعدد** : ويقصد به تعدد الحكام الذين يشتركون في المقابلة فالحكم الواحد قد يكون عرضة للتحيز ، لكن التحيز من قبل مجموعة من الحكام لا يكون عادة في إتجاه واحد بل في إتجاهات فتعدده يرجح أن يعادل بعضها بعضاً .

٥ ـ الاستفتاء Questionnaire :

« الاستخبار أو الاستبيان أو الاستفتاء قائمة من الأسئلة تعطي أو ترسل إلى جماعة من الأفراد ليجيب عنها كل واحد منهم بكتابة « نعم » أو « لا » أو بإجابة موجزة »[1] .

ويعتبر الاستفتاء أداة مفيدة في التشخيص متى كانت أسئلته واضحة وضوحاً تاماً ومفصلة تفصيلاً كافياً ، ومتى توخى المفحوص الصدق والأمانة في إجابته على بنود الاستفتاء . وهناك عدة أنواع من الاستفتاءت منها ما يحاول الكشف عن الاتجاهات النفسية والميول المهنية وغير المهنية ، وفيها ما يكشف إضطرابات الشخصية إلى غير ذلك من السمات والخصائص النفسية .

مميزات الاستفتاء :

١ ـ يعتبر أداة مفيدة في التشخيص متى توخى المفحوص الصدق والأمانة في إجابته .

٢ ـ يوفر الوقت والجهد والتكلفة التي تتطلبها طريقة المقابلة ، فهو يعتبر البديل المباشر للمقابلة حينما يتعذر إجرائها .

عيوب الاستفتاء :

١ ـ إن بناء الاستفتاء ليس بالأمر الهين ، فهناك عدة إعتبارات يجب أن تراعى في إعداده وقبل تصبيقه بالفعل ، ومن هنا فإن الاعداد الهزيل للاستفتاء يعطى صورة غير حقيقية عن المفحوصين .

٢ ـ قد يعجز المفحوص أحياناً عن وصف أحواله النفسية ، وعن معرفة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٨٩ .

دوافعه اللاشعورية ونفوره من الافصاح عن دوافعه الحقيقية ، فيلجأ أحياناً إلى الكذب والتزييف في إجابته على بنود الاستفتاء .

٣ ـ إذا وزع الاستفتاء عن طريق البريد فعودته إلى الباحث عملية قد تكون غير مضمونة .

أنــواع الاســتفتاءات :

هناك نوعان من الاستفتاءات هما :

١ ـ الاستفتاء مفتوح الطرف Open-end Questionnaire

هذا النوع يحتاج إلى إجابات مطولة ، فهو يتيح للمفحوص أن يعبر في حرية عن رأيه كيف يشاء . لذلك فإن هذا النوع من الاستفتاءات صعب التفريغ والتبويب والتفسير .

وعادة ما يخدم هذا النوع من الاستفتاءات في بناء النوع الثاني المقيد .

٢ ـ الاستفتاء المقفل (المقيد) Closed-end Questionnaire :

وهو الذي يتقضي الاجابة عليه « بنعم أو لا » ، لذلك يعتبر هذا النوع أكثر موضوعية لأن الاجابة « بنعم أو لا » لا تحتمل تفسيراً أو تأويلاً ، كما أن عرضها بطريقة كمية عددية لا مجال فيها للعوامل الذاتية ، كما هو الحال في الاستفتاء مفتوح الطرف .

٦ ـ الاختبــارات النفســية Psychological Tests :

تعتبر الاختبارات النفسية سمة وعلامة بارزة من علامات القرن العشرين . فقد تميز هذا القرن بنجاح حركة القياس النفسي نجاحاً كبيراً . كما أنها تعد من أهم عوامل التقدم العلمي لعلم النفس .

وقد كثرت الاختبارات وتنوعت طرائقها تنوعاً شاملاً لجميع قطاعات النفس البشرية . فهناك إختبارات للذكاء العام والقدرات العقلية الخاصة والطائفية واختبارات خاصة بالتحصيل الدراسي . كما إتسع مجال الاختبارات النفسية حتى شمل مختلف نواحي الشخصية المزاجية منها والخلقية والنفسية .

والاختبارات النفسية تتشابه في صورتها مع الاستفتاءات بوجه عام في كونها مجموعة من الأسئلة أو المثيرات التي تقيس بطريقة كمية أو كيفية بعض العوامل العقلية أو السمات أو الخصائص النفسية . إلا أن الاختبارات النفسية تمتاز بكونها مقننة ، أي سبق تجربتها على مجموعة من الأفراد وثبت صدقها وصلاحيتها لقياس ما وضعت من أجله .

هذا وتتنوع الاختبارات وتختلف تبعاً لمجالاتها ، أي لما تتعرض لقياسه ، كما تختلف باختلاف طبيعة الاستجابة المطلوبة . وهناك بعض الأسس التي تقسم على أساسها الاختبارات النفسية نذكرها فيما يلي :

أولاً ــ طريقة الاجراء :

١ ــ **إختبارات فردية** : وهي الاختبارات التي تطبق بصورة فردية مثل إختبار بينية للذكاء أو إختبار رورشاح لبقع الحبر وغير ذلك من الاختبارات التي تطبق على حالات فردية .

٢ ــ **إختبارات جمعية** : وهي الاختبارات التي يمكن تطبيها على مجموعة من الأفراد في وقت واحد مثل إختبارات القدرات العقلية والميول المهنية واللامهنية وغير ذلك من الاختبارات الجمعية .

ثانياً ــ ميدان القياس :

١ ــ **الاختبارات المعرفية** : وتقيس هذه الاختبارات الذكاء ومختلف القدرات العقلية وتشمل كذلك الاختبارات التحصيلية .

٢ ــ **الاختبارات الانفعالية** : مثل إختبارات الميول المهنية واللامهنية وكذلك مختلف الاختبارات الاسقاطية .

ثالثاً ــ بنــود الاختبــار :

١ ــ **إختبارات لفظية (ورقة وقلم)** : وهي الاختبارات الورقية والتي تحتاج إلى ورقة وقلم للاجابة على بنودها .

٢ ــ **إختبارات عملية** : في هذا النوع من الاختبارات لا تتطلب الورقة والقلم في الاجابة عليها ، وإنما يطلب إلى المفحوص أن يستخدم المهارة اليدوية في إجراء الاختبار .

رابعاً ــ زمــن التطبيــق :

١ ــ **إختبارات سرعة (موقوتة)** : في هذا النوع من الاختبارات يدخل عامل الزمن كشرط أساسي لاجرائها مثل إختبارات الذكاء والقدرات وكذلك الاختبارات التحصيلية .

٢ ــ **إختبارات دقة (غير موقوتة)** : حيث لا يدخل الزمن كعامل في الاجابة عليها مثل إختبارات الشخصية والميول والاتجاهات إلى غير ذلك من الاختبارات التي لا تشترط عامل الزمن عند تطبيقها .

مـــدارس علـــم النفـــس

علم النفس كما ذكرنا سابقاً علم حديث نسبياً بالمقارنة بالعلوم الأخرى . ولقد كان من جراء حداثته وتعدد مناهجه أن قامت فيه مدارس عديدة وهي كلها وليدة القرن الحالي .

ويقصد بالمدرسة في علم النفس ، مجموعة من علماء النفس لهم أفكار خاصة أو وجهة نظر معينة في مفهوم علم النفس . وفيما يلي عرض موجز لأهم مدارس علم النفس المعاصرة :

المدرسة الاستبطانية (التأمل الباطن)

Imtrospectiv School

يمكن القول بأن المدرسة الاستبطانية بدأت على يد العالم الألماني فونت الذي أنار الطريق لِمَ جاء بعده من العلماء مثل العالم الأمريكي وليم جيمس الذي إتفق معه في أن علم النفس يختص بدراسة الشعور . وكان الغرض الرئيسي من دراسة السلوك ، طبقاً لآراء أنصار هذه المدرسة ، هو دراسة ما يحدث فعلاً للعقل البشري عندما يستجيب للمؤثرات التي تدور حوله ، كأن يُسئل الشخص موضوع الملاحظة أن يصف لنا ما يسمع أو ما يرى أو مايشعر إزاء بعض المؤثرات الخارجية . ورغم ما يوجه إلى هذه المدرسة من إنتقادات إلا أن عملية الاستبطان تعتبر المصدر الوحيد لدراسة بعض الظواهر النفسية كأحلام اليقظة وما شابه ذلك من العوامل النفسية الداخلية .

كما يفيد الاستبطان أيضاً في تفسير الفوارق في السلوك عندما يقع شخصان تحت تأثير منبه واحد ، أو تفسير إستجابات شخص واحد لمنبه واحد في ظروف مختلفة . لذلك يتشدد أصحاب هذه المدرسة بأهمية عملية الاستبطان .

المدرســـة الســلوكيــة

Behaviorist School

يعتبر واطسن Watson مؤسس المدرسة السلوكية في أمريكا . كما يعتبر ثورنديك أيضاً من دعاة المدرسة السلوكية . هذه المدرسة نظر إلى الانسان نظرتها إلى آلة ميكانيكية معقدة . كما أنها إقتصرت موضوع علم النفس على دراسة السلوك الحركي فقط عن طريق الملاحظة البحتة ودون الاشارة إلى ما يخبره الفرد من حالات شعورية أثناء ملاحظته . لذا فهي ترفض رفضاً صريحاً منهج التأمل الباطني أو الاستبطان .

ومن أهم ما يوجه إلى هذه المدرسة من نقد هو إعتمادها في تفسير السلوك الانساني على أساس الأفعال المنعكسة الشرطية الآلية ، وهذا السلوك الميكانيكي لا دخل للارادة فيه كضيق حدقة العين عند تعرضها لضوء شديد أو تحرك العضو الذي وخز بدبوس أو إنتفاضة الجسم كرد فعل لسماع صوت قوي ومفاجئ أو السعال إذا ما دخل جسم غريب القصبةالهوائية إلى غير ذلك من الأفعال المنعكسة . لذلك فقد عجزت المدرسة السلوكية عن تقديم شرح وافٍ للسلوك الانساني . ومع ذلك فقد أسهمت المدرسة السلوكية بنصيب في تطور علم النفس .

المدرســـة الغرضيـــة

Purposive School

يعتبر مكدوجل McDogall الاسكتلندي قائد هذه المدرسة . لا تنظر هذه المدرسة إلى الانسان النظرة الآلية المكيانيكية المجردة عن الغرض أو القصد ، وهي بذلك تخالف المدرسة السلوكية مخالفة تامة . فترى هذه

المدرسة أن الغرض يقوم بدور هام في تحديد سلوك الكائن الحي وتوجيهه . فكل سلوك يصدر عن الكائن الحي ، لابد وأن يهدف إلى غاية معينة ، كما لابد وأن يتجه نحو غرض معين .

وهكذا ينظر إلى السلوك على أنه وحدة واحدة ترمي إلى تحقيق غرض معين من هنا كانت المدرسة الغرضية .

مدرسة التحليل النفسي

Psychoanalysis School

مؤسس هذه المدرسة الطبيب النمسوي سيجموند فرويد S. Freud وتشترك هذه المدرسة مع المدرسة الغرضية في أن هناك دوافع أولية فطرية غائية ، بمعنى أن لها غاية تصبو إليها وتسعى إلى تحقيقها . هذه الدوافع الأولية هي أساس السلوك البشري . إلا أنها تختلف مع المدرسة الغرضية ومع بقية المدارس الأخرى في أن هناك جانباً خفياً من العقل الانساني يؤثر على الحياة العقلية الظاهرة للفرد دون شعور منه ، هذا الجانب الخفي أطلق عليه فرويد إسم اللاشعور . فتؤمن هذه المدرسة بمبدأ الحتمية النفسية ، بمعنى أنه ليس في دنيا النفس مجال للمصادفة . فكل سلوك ظاهر أو باطن يصدر عن الانسان مقيد بما سبقه من ظروف وأحداث ودوافع ، حتى تلك الأفعال التي تصدر عن الانسان أحياناً دون قصد ، كفلتات اللسان وزلات القلم إلى غير ذلك من ألوان السلوك العفوي لا يمكن أن يقع مصادفة ، بل نتيجة ظروف وخبرات سابقة .

المدرسة الجشتالتية

Gestalt School

تنتسب هذه المدرسة إلى مجموعو من العلماء الألمان وعلى رأسهم ماكس فرتيمر وكورت كوفكا وكذلك كورت ليفين الذي أسهم في بناء نظرية المجال[1] والمعروفة خاصة في علم النفس الاجتماعي . وتقوم هذه المدرسة على أساس إعتبار السلوك وحدة كلية وليست مجرد أجزاء متصلة ببعضها في تسلسل آلي . فهم يصرون على وجوب دراسة السلوك كاملاً وبشكله الكلي باعتبار أن السلوك وحدة كلية لا تتجزأ .

المدرسة الاسلامية

Islamic School

«للاسلام نظرة مستقلة في النفس الانسانية تختلف عن غيرها إختلافاً أساسياً وإن كانت ـــ في الفروع والتفصيلات ـــ قد تلتقي في بعض الأحيان بغيرها من النظريات . ونظرة الاسلام في تكاملها وتناسقها ، وشمولها لكل جوانب النفس والحياة معاً ، غير مسبوقة من الوجهة التاريخية . وما تزال حتى اليوم بعد كل ما ظهر من النظريات ، تنفرد وحدها بالشمول والعمق والاتزان »[2] .

فالانسان من المنظور الاسلامي جسم وعقل وروح . الجسم يختص بإشباع الدوافع الفطرية الملحة كالأكل والشرب إلى غير ذلك من الدوافع الأولية إشباعاً إجتماعياً يتفق مع عرف وتقاليد وقيم الجماعة التي يعيش معها . والعقل

---

(١) د . طلعت منصور وآخرين : أسس علم النفس العام (مرجع سابق) ، ص ٣٤ .

(٢) محمد قطب : الانسان بين المادية والاسلام ، بيروت : دار الشروق ١٩٧٧ م ، ص ٦٩ .

فمهمته الأولى معاونة الانسان في الوصول إلى أفضل الطرق والوسائل لاشباع تلك الدوافع الفطرية ، وكذلك التغلب على العقبات والمشكلات التي قد تقف حائلاً دون الاشباع عن طريق التدبر والتفكر . أما الروح ﴿ ونفخنا فيه من روحنا ﴾ فهي الطاقة النورانية الربانية التي تساعد الانسان على تحقيق هدفه الأسمى في الحياة من الارتفاع بروحه إلى مستوى الملائكة من الطُهر .

وهكذا يهتم الاسلام بالفرد كما هو جسم وعقل وروح ، كما يهتم أيضاً بإيجاد التوازن بين الجميع . فيعترف الاسلام بالنشاط الحيوي للانسان، بل يعترف بحق الفرد في أن يزاول هذا النشاط الحيوي في الحدود التي لا تؤذي الفرد ذاته كما لا تؤذي المجتمع في نفس الوقت . وبذلك يوصي الاسلام دائما بالتوسط والاعتدال في السلوك ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ... ﴾

(البقرة : ١٤٣)

﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾

(الأعراف : ٣١)

﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾

(الاسراء : ٢٩)

﴿ ... ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾

(الاسراء : ١١٠)

﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾

(الفرقان : ٦٧)

الفصـل الرابـع

أبعاد السلوك الانساني

الوراثة والبيئة

مقـدمـــة :

حيث أن علم النفس هو علم دراسة سلوك الانسان ، فإن هذا السلوك في الحقيقة لا يقف قائماً بذاته ، بل لابد وأن يتصل إتصالاً وظيفياً بكل من التكوين العضوي الذي يقوم بهذا السلوك من جهة ، والبيئة التي يعيشها الانسان من جهة أخرى . فكل ما يصدر عن الانسان من سلوك ليس مجرد إستجابات أو ردود أفعال آلية ميكانيكية ، وإنما يعبر سلوك الانسان عن نشاط راق هادف .

هذا ويكمن وراء السلوك الانساني بعدان :

أولاً : بعد داخلي « المحددات الوراثية » .

ثانياً : بعد خارجي « المحددات البيئية » .

وفيما يلي سوف نتناول بشيء من التفصيل هذين البعدين من حيث علاقتهما بالسلوك الانساني .

أولاً : البعد الداخلي

الوراثة Heredity

يقصد بالوراثة « جميع العوامل الموجودة في الكائن الحي من اللحظة التي تتم فيها عملية تلقيح الخلية الأنثية بالخلية الذكرية »[1] . وتبدأ الحياة فور إتمام عملية الاخصاب هذه ، وبعدها تبدأ هذه الخلية الحية في النمو مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فسكونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾

(المؤمنون : ١٢ ـــ ١٤)

فالوحدة الأولى للحياة إذن تنشأ من إخصاب البويضة الأنثية من الحيوان المنوي الذكري ، من هنا يأخذ الجسم البشري في التكوين وتحدد أعضاء الجسم المختلفة من الانقسام والتمايز المستمرين لهذه الخلية المخصبة .

ناقلات الوراثة (المورثات) :

تحتوي نواة الحيوان المنوي الذكري على ٢٤ خيطاً يشبه كل خيط فيها العقد تسمى بالصبغيات أو الكروموسومات Chromosomes ، في داخلها تكمن وحدات أصغر تعرف بالمورثات أو الجينات Genes . وكذلك تحتوي نواة البويضة على ٢٤ صبغياً . هذه الصبغيات هي حاملات الصفات والخصائص الوراثية .

---

(١) د . عبد العزيزالقوصي : أسس الصحة النفسية ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٥ ، ص ١٥ .

﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾

(الحديد : ٢٣)

وهكذا فالاسلام يدعوا إلى التوسط والاعتدال ، فلا يهتم بالجسد ودوافعه الفطرية على حساب العقل أو الروح ، كما لا يهتم بالعقل على حساب الجسد أو الروح ، كما لا يهتم بالروح على حساب الجسد أو العقل . ولكنه يهتم في المقام الأول بإيجاد التوازن بين كل من الجسد والعقل والروح .

وقد تميز هذا العصر بإتجاه بعض المؤلفات والأبحاث والمقالات إلى الاهتمام بالمنظور الاسلامي في تفسير السلوك الإنساني .

الفصل الرابع
أبعاد السلوك الانساني

﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾

(الاسراء : ٨٤)

- مقدمة .
- أولاً البعد الداخلي (الوراثة) .
- الأسس الفسيولوجية للنشاط الانساني .
- الجهاز العصبي .
- الجهاز الغدي .
- الاسلام والاهتمام بالوراثة .
- ثانياً البعد الخارجي (البيئة) .
- مؤثرات جغرافية .
- مؤثرات تاريخية .
- مؤثرات إجتماعية .
- مؤثرات ثقافية .
- مؤثرات نفسية .
- الاسلام والاهتمام بالبيئة .

وبعد إخصاب البويضة بالحيوان المنوي تحتوي نواة البويضة المخصبة على ٤٨ صبغياً منها ٢٤ صبغياً من الأب و ٢٤ صبغياً من الأم . هذه الصبغيات هي حاملات الصفات الوراثية فتشكل الجنين طبقاً للحاملات الوراثية .

وهكذا تعمل الوراثة على المحافظة على الصفات العامة للنوع ، وذلك بنقل هذه الصفات الوراثية من جيل إلى جيل وفق الناموس التي وضعها لها الله سبحانه وتعالى ، فالانسان لا يلد إلا إنساناً والحيوان لا يلد إلا حيواناً من نفس نوعه .

وهناك بعض الأسس الفسيولوجية التي تساهم في فهم وتفسير السلوك الانساني ، وفيما يلي سوف نتناول هذه الأسس الفسيولوجية بشيء من التفصيل .

الأسس الفسيولوجية للنشاط الانساني

١ ـ الجهاز العصبي

تحتاج دراسة الظواهر النفسية إلى معرفة المزيد من الامكانيات الفسيولوجية التي منحها الله سبحانه وتعالى إلى الانسان ، والتي تعد من الأسس الفسيولوجية الهامة في تفسير السلوك البشري . ولعل من أهم تلك الميكانزمات الفسيولوجية التي وهبها الله للانسان ذلك الجهاز الذي يعد مسؤولاً عن إستقبال تلك المنبهات أو المثيرات ويحولها إلى إستجابات أو تصرفات ، ألا وهو الجهاز العصبي .

ويمثل الجهاز العصبي ذلك النظام الداخلي في الكائن الحي الذي يتحكم في أعضاء وأجهزة الجسم جميعها . فيقوم بضبط وظائفها وتنظيم عملها

وتوجيه نشاطاتها وتحريك فاعليتها . فبمساعدة هذا الجهاز يتفاعل الانسان ككل مع العالم الخارجي . كما يعمل داخلياً على تنظيم العمليات الحيوية المختلفة الارادية منها واللاإرادية فيقوم كل عضو من أعضاء الجسم بوظائفه كاملة وفي الوقت المناسب .

وقبل تناول الجهاز العصبي لدى الانسان وعرض أجزائه والعلاقات التشريحية والوظيفية بينها ، يتعين الحديث عن الوحدة المكونة لذلك الجهاز العصبي وهي الخلية العصبية .

الخليـــة العصبيـــة :

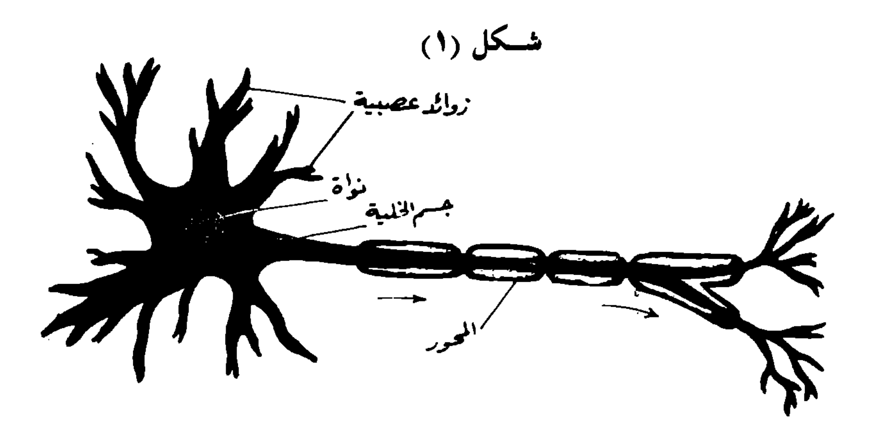
يتكون الجهاز العصبي في الانسان من عدد كبير من خلايا متميزة في شكلها ووظيفتها عن باقي الخلايا التي تكوّن بقية أنسجة الجسم . هذه الخلايا تسمى الخلايا العصبية . وتتركب الخلية العصبية من ثلاثة أجزاء رئيسية هي :

١ ــ جسم الخلية الذي يحتوي على النواة .

٢ ــ محـــور الخليـــة .

٣ ــ والزوائد العصبية (شعيرات) وتحتوي على خيوط سيتوبلازمية تتفرع من جسم الخلية وهي تكون قصيرة في غالب الأحيان ، ويتفرع عن جسم الخلية أيضاً المحور وهو على شكل خيط طويل (انظر شكل ١) .

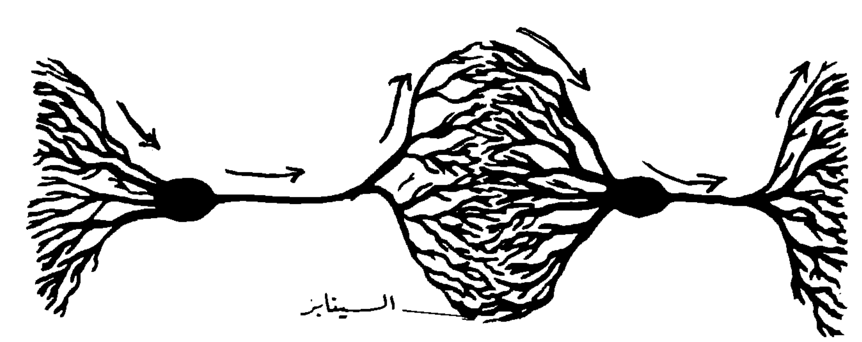
شـكل (١)



وتختلف الخلايا العصبية في الشكل كما تختلف في السمك والطول . وقد يصل طول بعضها إلى أكثر من متر . وتتغطى محاور بعض الخلايا العصبية بغشاء يسمى الغشاء العصبي ، الذي يفرز إلى الداخل مادة دهنية تسمى مايلين Myelin ، فتشكل غطاء إضافي حول محور الخلية .

هذه المادة (المايلين) لها أهميتها في سرعة نقل السيالات العصبية . فمحاور الخلايا المغطاة بهذه المادة تستطيع نقل السيالات العصبية بسرعة فائقة تصل حوالي ١٢٠ متراً في الثانية الواحدة . بينما محاور الخلايا العصبية التي لا تكون مغطاة بهذه المادة ، فإنها تنقل السيالات العصبية بسرعة بطيئة تصل حوالى ١٢ متراً في الثانية ، أي عشر السرعة السابقة . هذا وتتصل كل خلية عصبية بالأخرى عن طريق الامتدادات أو الزوائد أو التشعبات التي تمتد من الخلية العصبية . وعند الميلاد تكون بعض تلك الخلايا العصبية غير تامة النمو حيث تكون إمتداداتها قصيرة أو لم تظهر بعد ، ومع إستمرار عملية النمو ينمو من الخلايا العصبية إمتدادات ومحاور تمتد بحيث تقترب محور خلية لشعيرات أو زوائد الخلية المجاورة (انظر شكل ٢) ، ولكن هذا الاقتراب لا يصل إلى حد الالتصاق أبداً ، بحيث يوجد فراغ ضئيل جداً بين كل محور خلية والزوائد الممتدة من الخلية المجاورة ، هذا الفراغ الضئيل يسمى بالوصلة العصبية التي تسمح بإنتقال الشحنة العصبية . هذا ويسير التيار العصبي في إتجاه واحد لا ينعكس ، فعند إثارة خلية عصبية تنقل هذه الخلية شحنتها إلى محورها الذي يوصله بدوره إلى الزوائد الشجرية للخلية المجاورة ، حيث تقوم هي بتوصيلها إلى محورها تمهيداً لنقلها إلى زوائد الخلية المجاورة . وهكذا يسير التيار العصبي في إتجاه واحد فقط من محور الخلية العصبية إلى إتجاه جسم الخلية إلى الزوائد العصبية للخلية العصبية المجاورة كما هو موضح بالأسهم بالشكل (٢) .

شــكل (٢)



العصـــــب :

هو عبارة عن حزمة من المحاور يضمها نسيج ضام يعزلها عن حزم عصبية أخرى مجاورة . فمثلاً العصب البصري عبارة عن مجموعة من المحاور الصادرة عن العين والمتجهة إلى الجهاز العصبي . وما يجدر قوله أن كل عصب ينقل عدداً محدوداً من التأثيرات العصبية ، بمعنى أن العصب البصري يقوم بوظيفته التي تختلف عن عصب السمع وهكذا يعتبر كل عصب مستقل عن الآخر .

ويمكن تشبيه العصب بكابل الهاتف الذي يضم عدداً كبيراً من الخطوط المنعزلة بعضها عن بعض حتى لا يحدث تداخل بينها . هذا وتنقسم الأعصاب إلى نوعين :

١ ـــ **أعصاب موردة :** وهي التي تقوم بتحويل المثيرات الصوتية كانت أو سمعية أو البصرية وفقاً لطبيعة تخصص العصب إلى تيار كهربي يصل عبرها إلى مركز المخ ، والذي يصدر بدوره تيارات أخرى تسير في الأعصاب المصدرة .

٢ ـــ **أعصاب موردة :** وهي التي تقوم بنقل التيارات العصبية من المخ إلى أعضاء الحركة حيث تترجم إلى إستجابات .

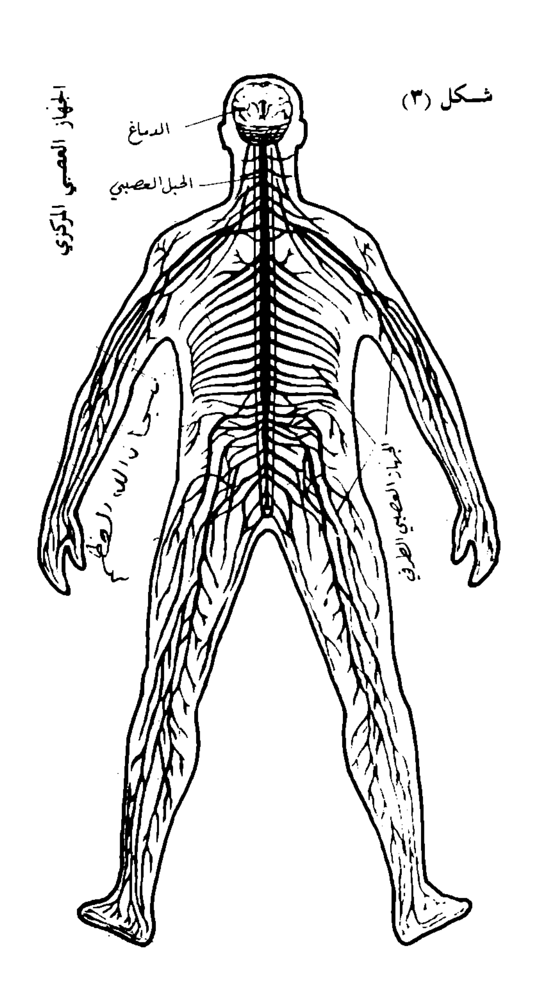
مكونات الجهاز العصبي

يتكون الجهاز العصبي (انظر شكل ٣) من قسمين رئيسيين هما :

١ ـــ الجهاز العصبي المركزي — Central nervous system

٢ ـــ الجهاز العصبي الطرفي (الفرعي) — Peripheral nervous system

يتكون الجهاز العصبي المركزي من :



شكل (٣)

١ ــ الدمــــاغ :

ويوجد داخل الجمجمة ، ويتكون من ثلاثة أقسام رئيسية هي : المخ والمخيخ والنخاع المستطيل (انظر شكلي ٤ ، ٥) .

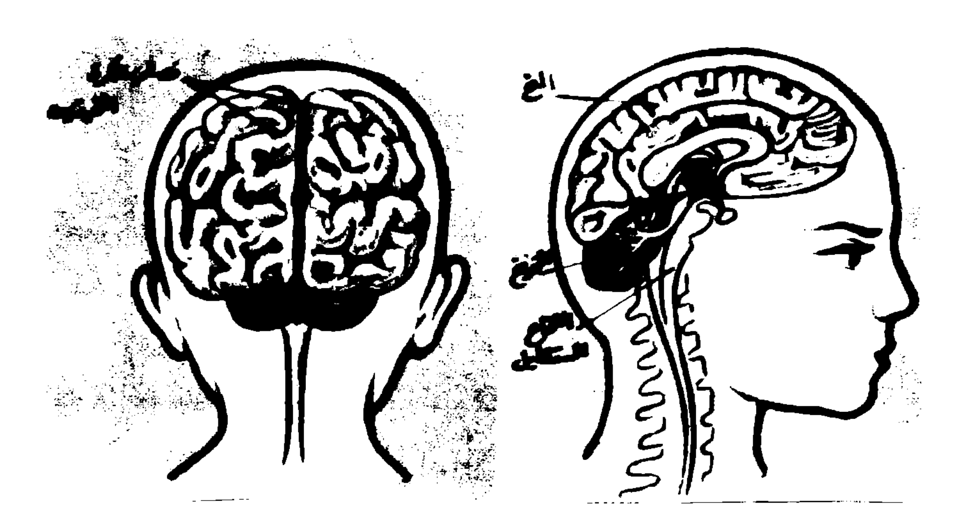
(أ) المـــخ : هو أكبر أجزاء الدماغ ، وينقسم إلى نصفي الكرة المخيين ، الأيمن والأيسر (انظر شكل ٥) ويحتوي المخ على مراكز الحواس الخمسة التي تستقبل الاحساسات الشعورية من مختلف أعضاء الحس في الجسم (انظر شكل ٦) . ويقوم المخ بإرسال السيالات العصبية على شكل أوامر إلى العضلات الارادية في الجسم فتحدث الاستجابة . هذا بالاضافة إلى أن المخ يلعب دوراً قيادياً هاماً في بعض العمليات الحيوية في جسم الانسان ، كالعمليات العقلية العليا مثل التذكر والتخيل والتفكير .

(ب) المخيــخ : وهو الجزء الثاني من الدماغ ويقع خلف المخ مباشرة . ويقوم باستقبال الاشارات الحسية ، كما يقوم بإرسال الأوامر إلى العضلات الارادية لتقوم بالعمل في الوقت المناسب . فهو بمثابة مركز التوازن في جسم الانسان .

(جـ) النخاع المستطيل : وهو الجزء الثالث من الدماغ ، ويقع بين المخ والحبل الشوكي ، ويحتوي النخاع على المركزين اللذين ينظمان عمليات التنفس وضربات القلب . فهو إذن يعتبر مركز للحركات الارادية في جسم الانسان .

٢ ــ الحبــل الشــوكي :

وهو عبارة عن أنبوب أسطواني الشكل يبلغ قطره سنتيمتراً ونصف وطوله ٤٥ سنتيمتراً ، ويمتد من قاعدة الجمجمة إلى نهاية الظهر السفلي تقريباً .



شكل (٤) منظر جانبي للدماغ

شكل (٥) منظر خلفي للدماغ

سبحان الله العظيم وبحمده

الاحساس
الاستجابة
الحركة
الكلام
حركه العين
النظر
حركة العين
الكلام
الشم
التذوق
السمع

شكل (٦) يبين فصوص المخ ومقاطعه الحسية والحركية

وتخرج الأعصاب الشوكية من الحبل الشوكي على شكل أزواج يبلغ عددها ٣١ زوجاً . وينقسم كل عصب إلى فرعين ؛ أحدهما يسمى بالعصب الحسي ويقوم بنقل الاحساس من الجسم إلى الحبل الشوكي ، والفرع الآخر يسمى بالعصب الحركي ويقوم بنقل الأوامر من الحبل الشوكي إلى مختلف أعضاء الجسم .

وهكذا يمثل الحبل الشوكي الجذع الرئيسي الذي يقوم بتوصيل الرسائل العصبية وتتابعها ، وبذلك يؤدي إلى تنظيم الحركة . ومن ناحية أخرى يمثل الحبل الشوكي مركزاً رئيسياً للأفعال المنعكسة اللا إرادية (القوس الانعكاسي) . فعندما يلامس جسم الانسان مادة ساخنة يبتعد العضو الملامس بسرعة فائقة بدون تدخل من الانسان . هذه الاستجابة الانعكاسية تتم عبر الحبل الشوكي دون أن تصعد إلى المستويات العليا للجهاز العصبي .

الجهاز العصبي الطرفي (الفرعي)

وهو عبارة عن حزم من الألياف العصبية التي تتفرع عن الجهاز العصبي المركزي وتنتشر على جانبا الحبل الشوكي إلى جميع أجزاء الجسم (إرجع إلى شكل ٣) .

وتنتشر في جميع أجزاء الجسم مراكز عصبية صغيرة تربطها بالجهاز العصبي الفرعي ، حيث تتشعب منها الألياف إلى الأحشاء والغدد التابعة للجهاز الهضمي . كما تمتد الألياف إلى الأوعية الدموية الدقيقة المنتشرة في جميع أنحاء الجسم .

والوظيفة العامة والأساسية لهذا الجهاز هي الاشراف على النشاط الحيوي اللا إرادي في الانسان كعملية النمو وعملي الأيض Metabolism الهدم والبناء) .

٢ ــ الغــدة الدرقيــة Thyoid :

توجد هذه الغدة في الرقبة على جانبي القصبة الهوائية ومن أهم وظائفها هي الاشراف على عملية الأيض (الهدم والبناء) . وزيادة إفرازها يؤدي إلى زيادة معدلات الهدم في الجسم مما يشعر الفرد بالارهاق وتصلب العضلات وزيادة مفرطة في النشاط . أما نقصان إفرازها فيؤدي إلى بطء عملية الهدم بزيادة عملية البناء مما يصاحبه بطء الحركات وضعف المهارات الحركية وفقدان الذاكرة وتعطل النمو الجسمي والعقلي لدى الأطفال الذي يصل إلى حد العِتة Idiocy .

٣ ــ الغدة الجانب الدرقية Parathyroid :

وهي عبارة عن زوجين من الغدد الصغيرة داخل غشاء دهني تقع خلف الغدة الدرقية . وإفرازاتها هي المسؤولة عن إتزان معدل الكالسيوم في الجسم وهو ضروري لاتزان النشاط العصبي .

٤ ــ الغدة جار كلوية Adrenals :

توجد فوق كل كلية غدة تتألف من جزء داخلي يدعى النخاع وآخر خارجي يدعى القشرة . وتفرز القشرة هرمون الكورتين وهو ضروري لاستمرار الحياة . ويؤدي نقص إفرازه إلى إنخفاض ضغط الدم وضعف العضلات وإضطراب الهضم وتناقص مقاومة الجسم للأمراض .

ويفرز النخاع هرمون الادرينالين . ولهذا الهرمون أهمية خاصة في علم النفس نظراً لعلاقته المباشرة بالانفعال . هذا الهرمون يوجد في الدم في الأحوال العادية ، ولكن كميته تتزايد في حالات الانفعال أو التهيج أو الضيق ، حيث تزداد ضربات القلب ويرتفع ضغط الدم وتزداد سرعة تخثره ، أما العمليات الهضمية فإنها توقف .

٥ ــ الغــدة البنكرياســية Pancreas :

يتميز البنكرياس بأنه غدة مزدوجة لها إفراز خارجي يصب في المعدة ليؤدي وظيفة في عملية الهضم ، كما له إفراز آخر هرموني يصب مباشرة في الدم ، هذا الهرمون هو الأنسولين Insulin . ووظيفته يزيد من قابلية الأنسجة لامتصاص السكر الموجود في الدم . فعندما يقل إفراز الأنسولين في الدم تقوم الأنسجة باستهلاك قدر كبير من السكر ، فيحدث ما يسمى بغيبوبة الأنسولين Insulin Coma حيث لا تجد الخلايا العصبية رصيداً من السكر لتستهلكه في نشاطها الحيوي .

٦ ــ الغــدد الصنوبريــة :

تقوم هذه الغدد بأداء وظائفها خلال مرحلة الطفولة فقط ثم تذبل بسرعة بعد مرحلة البلوغ . ولذلك يعتقد بوجود صلة قوية لها بالنمو الجنسي فهي تعمل على تأخير النضج الجنسي حتى يصل الفرد لمرحلة المراهقة .

٧ ــ الغــدد الجنســية Gonades :

للغدد الجنسية وظيفة رئيسية هي إنتاج الخلايا التناسلية . والهرمونات التي تفرزها غدد الرجل التناسلية تعتبر مسؤولة عن ظهور السمات الجنسية الثانوية مثل خشونة الصوت وظهور الشعر في الوجه وكذلك في بقية أجزاء الجسم . كما أن الهرمونات التي تفرزها غدد المرأة تعد مسؤولة عن ظهور الخصائص الجنسية الثانوية للمرأة . وبطبيعة الحال أي خلل يحدث لتلك الغدد التناسلية يعتبر سبب مباشر لعدم ظهور السمات الثانوية التي تميز كلا الجنسين .

لاشك أن الجهاز الغدي كإرث بيولوجي يزود به الفرد منذ البداية يؤثر بطريقة مباشرة في النشاط الحيوي . فالهرمونات المختلفة التي يفرزها الجهاز

وبالرغم من تمايز مراكز الجهاز العصبي في مكونات وحداته ، إلا أن المخ لا يعمل على أساس وظائف مستقلة أو منفردة بذاتها ، ولكنه يعمل ككل مركب . فالمخ إذا لا يعمل كرد فعل حيال موضوع منفرد بذاته ، ولكنه يعمل في إطار من الاتساق والترابط والفاعلية بين مكوناته المختلفة ، لذا يطلق على أعمال الجهاز العصبي في الانسان النشاط العصبي الراقي ، فهو غاية في الاعجاز الالهي سبحانه وتعالى حيث يقول وقوله الحق :

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾

(فصلت : ٥٣)

٢ ــ الجهــاز الغــدي

غدد الجسم عبارة عن أجهزة للاستجابة ، أما وظائفها الخاصة فهى إفراز محاليل كيميائية معينة . وتكمن الأهمية الرئيسية للغدد في الآثار التي تتركها إفرازاتها على معظم العمليات الحيوية التي تقوم بها أجهزة الجسم المختلفة . فالافرازات الغدية على سبيل المثال مسئولة إلى حد كبير عن هضم الطعام وتنظيم حرارة الجسم . كما تشترك في عمليات أخرى مثل تنظيم ضربات القلب والدورة الدموية والاخراج والنشاط الجنسي ونمو الجسم عامة . هذا فضلاً عن أن الغدد تترك آثاراً كبيرة على التكيف الكلي للفرد وكذلك على أنماط سلوكية معينة . كما تلعب إفرازات الغدد الصماء على وجه الخصوص دوراً بارزاً في تكوين الشخصية . يضاف إلى ذلك أن هذه الغدد تسهم بصورة غير مباشرة في عمليات نفسية معينة كالانفعال والدافعية الى غير ذلك من المظاهر النفسية . فكل منا يدرك إدركاً تاماً العلاقة بين العرق والدموع وبين الخوف والحزن . كما أن الضيق الانفعالي المستديم يؤثر في العمليات الهضمية وخاصة في إفرازات الكبد .

والغدد داخل جسم الانسان نوعان ، غدد صماء (غير مقناة) وأخرى مقناة . وسميت الغدد المقناة بهذا الاسم لأنها تصب بإفرازاتها عن طريق قنوات خاصة بها . أما الغدد الصماء فتصب بإفرازاتها في مجرى الدم مباشرة ، أي بدون إستعمال قنوات . ويطلق على إفرازات الغدد الصماء بالهرمونات Hormons . وفيما يلي عرض لأهم الغدد الصماء الموجودة في جسم الانسان ..

١ ــ الغــدة النخاميــة Pitutary :

وتقع هذه الغدة قرب وسط الرأس في قاع الدماغ داخل تجويف عظمي يعلو سقف الفم . وتعد هذه الغدة من أخطر الغدد الصماء سواء بإفرازاته أو بتأثير هذه الافرازات على الغدد الأخرى . لذلك تعتبر الغدة النخامية قائدة الغدد الصماء جميعاً . وتتكون هذه الغدة من جزئين رئيسيين يعرفان بالفص الأمامي والفص الخلفي . يفرز الفص الأمامي عدة هرومونات من بينها هرمون النمو الذي يتحكم في نمو الجسم . وتؤدي زيادة إفرازها في المراحل الأولى من الحياة إلى العملقة التي تمتاز بازدياد الطول ، وكذلك النمو المفرط في العظام خصوصاً في اليدين والرجلين .

أما الزيادة في إفرازها بعد مرحلة المراهقة فتؤدي إلى ظهور تغيرات واضحة في شكل الرأس حيث يزداد حجم الأنف والفك . هذا وقد تصاحب هذه التغيرات الجسمية حالات عقلية معينة مثل الشعور بالكسل وفقدان الذاكرة وسرعة الاهتياج .

وفي حالة نقص إفراز الهرمون في المراحل الأولى من الحياة ينتج عن ذلك القزمة ، حيث تكون جميع أجزاء الجسم في هذه الحالة أصغر مما هو مألوف . هذا ويفرز الفص الخلفي عدداً من الهرمونات التي قد يؤدي فقدانها إلى الموت .

الغدي تعطي إمكانية النشاطات الضرورية لاحداث الاستجابة . فبدون تقدير أثر الجهاز الغدي في السلوك الانساني فإننا قد نخطئ في تفسير وتقويم الاستجابات السلوكية . ومن جهة أخرى فإن كثير من الظروف والمواقف التي يمر بها الفرد في حياته قد تكون لها فاعليتها على جهازه الغدي والذي يقوم في هذه الحالة بدور فعال في تهيئة الفرد فسيولوجياً لمواجهة تلك الظروف أو المواقف . من هنا جاءت أهمية ودور الجهاز الغدي في تفسير السلوك الانساني .

الاسلام والاهتمام بالوراثة :

يتمثل إهتمام الاسلام بالعوامل الوراثية في الحث على حسن إختيار المحضن الخير عن طريق إختيار الزوجة الصالحة والتي يخبرنا عنها الرسول الكريم في قوله ﷺ : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك »[١] . فالناس عادة يقصدون في الزوجة هذه الخصال الأربع ، ولكن الاسلام يحرص على ذات الدين حرصاً منه على طهارة النسل .

كذلك يحدثنا الرسول ﷺ عن ضرورة حسن إختيار الزوج الصالح لقوله ﷺ : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض »[٢] .

هكذا يحثنا الاسلام على حسن إختيار كل من الزوج والزوجة من أجل نسل طيب صالح ، مصداقاً لقوله ﷺ : « تخيروا لنطفكم ، وانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم »[٣] .

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الترمذي وأحمد .

(٣) رواه ابن ماجه والدارقطني والحاكم والبيهقي .

هذا ويتضح لنا دور الوراثة في تحديد النسل من قوله تعالى في شأن مريم رضى الله عنها : ﴿ فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً * يٰأخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً ﴾

(مريم : ٢٧ ، ٢٨)

ومن أجل ذلك فقد نهى الاسلام عن زواج المشركين ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ﴾

(البقرة : ٢٢١)

كل هذا يوضح لنا إلى أي مدى إهتم الاسلام بموضوع الوراثة من أجل نسل طيب يدعو إلى الله تعالى .

ثانياً : البعد الخارجي

البيئة Enviroment

لاشك أن الوظائف العقلية والخصائص النفسية للانسان ليست محتومة بوراثته البيولوجية فحسب ، ولكنها تتكون وتتشكل أيضاً وفق ما يتعرض له الفرد من عوامل بيئية . ويقصد بمصطلح البيئة : « جميع العوامل الخارجية التي تؤثر في الشخص من بدء نموه »[١] فما قد يتمتع به الفرد من إستعدادات بيولوجية وراثية يمثل إمكانات كامنة لا يمكن لها أن تظهر في واقع حياة الفرد إلا إذا توافرت الظروف البيئية المناسبة ، وبالتالي قد تظل كامنة بعيدة عن الواقع إن لم تكن شروط وظروف البيئة التي يعيشها الفرد مواتية لذلك ، بل وربما يتحقق منها

---

(١) د . عبد العزيز القوص : أسس الصحة النفسية (مرجع سابق) ص ١٥

في واقع شخصية الفرد ماهو أكبر بكثير من إمكاناته واستعداداته البيولوجية .

وعندما يتحدث العامة عن البيئة يقصرون مفهومهم على المحيط الاجتماعي أو المؤثرات الاجتماعية للسلوك الانساني . ولكن هذا التحديد خاطئ وقاصر في نفس الوقت ، فمفهوم البيئة أكبر من أن تكون مجموعة العوامل أو المؤثرات الاجتماعية ، وعليه فإنه يمكن تقسيم المؤثرات البيئية على النحو التالي :

١ ــ مؤثــرات جغرافيـــة :

تتوقف المؤثرات الجغرافية التي تؤثر في سلوك الأفراد على :

الموقع والتضاريس : من حيث موقع ساحلي أم غير ساحلي ، منطقة سهول أم جبال .

المناخ : من حيث مناخاً حاراً أو معتدلاً أو بارداً أو جليدياً .

الثروات الطبيعية : من حيث وجود معادن أو بترول أو أراض زراعية . فلاشك أن تلك العوامل الجغرافية لابد وأن تؤثر في النشاط المادي للسكان وكذلك ظروف العمل المتاحة من ثم تؤثر في تشكيل الانسان وبناء شخصيته .

٢ ــ مؤثــرات تاريخيـــة :

السلوك الانساني محكوم بظروف العصر الذي يعيش فيه ، وكذلك بمستوى التطور الحضاري الذي أحرزه الانسان في سياق العملية التاريخية . فلا شك أن مستويات تفتح الشخصية وخصائص نشاطها النفسي تختلف لدى إنسان هذا القرن عما كانت عليه في القرون السابقة . هذا من وجهة النظر المعاصرة ، ولكن الأمر يختلف من المنظور الاسلامي . فالتاريخ الاسلامي القديم كان يحظى بالعديد والعديد من الشخصيات الاسلامية الفذة والتي من

النادر أن تجد مثيلاتها في عالمنا المعاصر . وسواء كانت وجهة النظر الأولى أو الثانية فإنها تؤكد على دور العوامل التاريخية في تشكيل السلوك الانساني ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾

(الأحزاب : ٢١)

٣ ــ مؤثـرات اجتماعيـة :

يؤثر نمط الحياة الاجتماعية من حيث أشكال العلاقات بين أفراد المجتمع وما يشيع بينهم من عادات وتقاليد وقيم ونظم وقوانين ، يؤثر في تشكيل بعض الخصائص العامة للشخصية . فالانسان الألماني على سبيل المثال كان يتسم بنزعة إستعلائية عدوانية في ظل الحكم النازي . كما قد تفرض البيئة الاجتماعية إتجاهات تعصبية عنصرية ضد جماعات معينة ، مثل التعصب ضد الملونين في أمريكا . مثل هذا وذاك لا يوجد في ظل المجتمع الاسلامي حيث الناس جميعاً سواسية كأسنان المشط فلا فرق بين عربي وعجمي ولا أبيض وأسود إلا بالتقوى والعمل الصالح . من هنا تؤثر العوامل الاجتماعية فيتشكل السلوك الانساني وفق القيم والعادات والتقاليد الذي يدين بها المجتمع .

٤ ــ مؤثـرات ثقافيـة :

تمثل الثقافة الارث الاجتماعي التي يشب عليها الفرد وينشأ فيها . وتسعى الثقافة إلى تكوين عادات معينة وأساليب للتفكير لدى أفرادها ، بحيث أن إنتظام شخصية الفرد في إطار من العادات والاتجاهات والقيم مشروط بالنموذج الذي تمليه الثقافة المعينة التي ينشأ فيها الفرد ويتشربها .

٥ ـ مؤثـرات نفســـية :

يؤثر الجو النفسي الذي يشيع في الوسط المحيط بالفرد في بناء شخصيته . فما قد يسود من عوامل الدكتاتورية أو الشورى ، الضغط أو التسامح ، القمع أو الحرية ، التسيب أو الانضباط ، اللامبالاة أو المسؤولية ، الشعور بالأمان أو التهديد ، كل هذا ينعكس بصورة مباشرة على حياة الأفراد النفسية .

هكذا يخضع الانسان في سلوكياته لمحصلة تلك المؤثرات مجتمعة معاً . هذا مما يعقد الظاهرة السلوكية ، ومما يزيدها تعقيداً أن تفاعل هذه المؤثرات ليست بنسبة ثابتة ومستقرة في مختلف المواقف السلوكية ، وإنما تختلف نسب التداخل بين هذه المؤثرات باختلاف طبيعة المواقف السلوكية بمعنى أنه في موقف سلوكي معين قد يظهر أثر العوامل الثقافية أوضح من غيرها من المؤثرات الأخرى ، بينما قد يظهر أثر العوامل الاجتماعية بشكل أوضح من غيره عن المؤثرات الأخرى في موقف سلوكي آخر . وهكذا تتشابك تلك المؤثرات المختلفة بنسب تختلف باختلاف طبيعة المواقف السلوكية .

مما سبق ذكره يمكن القول بأن النشاط النفسي وخصائص الشخصية محكومة في تشكيلها وبنائها بالتفاعل النسبي بين المعطيات الوراثية الداخلية للكائن الحي من جهة وبين المؤثرات البيئية الخارجية بمختلف أشكالها من جهة أخرى . هذا مما يؤكد دور كل من الوراثة والبيئة في السلوك الانساني .

الاسلام والاهتمام بالبيئة :

لا شك أن البذرة الصالحة لكي تنبت نباتاً صالحاً لابد لها من تربة طيبة ، مصداقاً لقول الله تعالى في حق مريم :

﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً ... ﴾

(آل عمران : ٣٧)

فقد اهتم الاسلام بالبيئة على اختلاف أنواعها ، نوجز الحديث عنها فيما يلي :

أولاً ـ الجانب الاجتماعي للبيئة :

ويتجلى إهتمام الاسلام بالبيئة الاجتماعية ، في إهتمامه الكبير بالأسرة ، التي هي الوحدة الأساسية الأولى في بناء المجتمع الاسلامي الكبير . لذلك نجد الاسلام يحافظ على بقاء الأسرة واستمرارها ، لأن استمرارها وبقائها هو إستمرار وبقاء لأفرادها ، والذي هو بالتبعية إستقرار وإستمرار لبقاء المجتمع الأم . لذلك نجد الاسلام يوصي كل من الزوج والزوجة بحسن المعاشرة ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ ... ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف .... ﴾

(البقرة : ٢٢٨)

وقوله عز وجل :

﴿ ... فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ... ﴾

(البقرة : ٢٢٩)

حتى أن أبغض الحلال عند الله الطلاق ، وذلك حرصاً على كيان الأسرة وإستمرار بقائها .

كما يوصي الاسلام أيضاً الانسان المسلم بوالديه حسناً ، مصداقاً لقوله عز من قائل :

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب إرحمهما كما ربياني صغيراً ﴾

(الاسراء : ٢٣ ، ٢٤)

وقوله تعالى :

﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصباله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير ﴾

(لقمان : ١٤)

وفي نفس الوقت يدعوا الاسلام إلى الرحمة والرأفة بالأبناء وعدم قتلهم خشية الفقر ، وأن رزقهم على الله مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ ... ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذالكم وصاكم به لعلكم تعقلون ﴾

(الأنعام : ١٥١)

وعن الرسول الكريم ﷺ أنه قال :

« من لا يَرحم لا يُرحم »[1]

وفي نفس الوقت يوصي الاسلام الانسان المسلم بوالديه وتقديره لهما ، لقوله عز وجل :

﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير ﴾

(لقمان : ١٤)

كما يحث الاسلام أيضاً المسلم على تقدير الأخوة والأقارب ، ومواساة الاخوان ومساعدتهم ، والقيام بحقوق أهله إذا كان متزوجاً ويربي أولاده ويهذب أخلاقهم ، ولا يؤذي جاره في نفس ولا عرض ولا مال ، ولا يغتاب ولا ينم ولا يكذب إذا حدث ، ولا يخلف إذا وعد ولا يخون إذا أؤتمن ، ولا يغش إذا باع أو إشترى ، ولا يبخس الناس أشيائهم ، ولا يماطل في حق عليه ، وإذا عهد إليه عمل أداه على أكمل وجه في غير تسويف ولا تأخير ، وإذا تولى أمر

الناس نظر في مصالحهم ، وعدل فيهم ، ولم يكن لغير الحق سلطان على نفسه . هذه المسؤولية التي يقول تعالى في حقها :

﴿ فوربك لنسئلنهم أجمعين * عما كانوا يعملون ﴾

(الحجر : ٩٢ ، ٩٣)

ومن أجل حماية الانسان وبقاء المجتمع شرع تعالى تعاليم الدين الاسلامي الحنيف ، لقوله عز وجل :

﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾

(المائدة : ٤٨)

ومن أجل بقاء البيئة الاسلامية وطهارتها شرع الله تعالى العقوبات التالية لمن يتعد حدود الله وهي سبع جرائم نوجزها فيما يلي :

١ ــ حد الزنا ، لقوله تعالى :

﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهدوا عذابهما طائفة من المؤمنين * الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾

(النور : ٢ ، ٣)

٢ ــ حد القذف ، لقوله تعالى :

﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتون بأربعة شهداء فاجلدوهم

---

(١) متفق عليه .

ثمانين جلده ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون * إلا الذين تابوا بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم * والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين * والخامسة أنه لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين * ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾

(النور : ٤ : ٩)

٣ ــ حد شرب الخمر ، لقوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾

(المائدة : ٩٠ ، ٩١)

٤ ــ حد السرقة ، لقوله تعالى :

﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم * فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم ﴾

(المائدة : ٣٨ ، ٣٩)

٥ ــ حد قطاع الطريق ، لقوله تعالى :

﴿ إنما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من

الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم * إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ﴾

(المائدة : ٣٣ : ٣٤)

٦ ـــ حد الردّة ، لقوله تعالى :

﴿ .... ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾

(البقرة : ٢١٧)

٧ ـــ حد البغي ، لقوله تعالى :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاىٔ ذي القربىٰ وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾

(النحل : ٩٠)

هذا بالاضافة إلى القصاص الذي شرعه الله تعالى ، لقوله عز وجل :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم * ولكم في القصاص حيوٰة يـٰأولى الألباب لعلكم تتقون .

(البقرة : ١٧٨ ، ١٧٩)

وما كل هذا إلا تأكيداً لاهتمام الاسلام بالبيئة الاجتماعية والتي تتمثل في هذه القوانين والشرائع والحدود الاسلامية التي تحقق أولاً وقبل كل شئ صالح الفرد وصالح المجتمع ، كما تحقق السعادة الاجتماعية في الحياة الدنيا ، والسعادة الخالدة في الحياة الأخرى ، مما ينتج عنه نفس سوية متزنة تتصف بالثبات والاتزان الانفعالي ، ويتمثل ذلك في العلاقات الانسانية الطيبة التي تسود بين الناس في ظل المجتمع الاسلامي .

ثانياً : الجانب الاقتصادي للبيئة :

زين للانسان حب شهوة جمع المال ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾

(آل عمران : ١٤)

ولقوله عز وجل :

﴿ وتأكلون التراث أكلاً لماً * وتحبون المال حباً جماً ﴾

(الفجر : ١٩ ، ٢٠)

من أجل ذلك شرع الاسلام القوانين التي تحمي نزاهة وطهارة هذا المال ، فأحل الله البيع وحرم الربا ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ الذين يأكلون الربٰوا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربٰوا وأحل الله البيع وحرم الربٰوا فمن جاءه موعظة من ربه فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأُولئك أُصحاب النار هم فيها خالدون * يمحق الله الربٰوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ﴾

(البقرة : ٢٧٥ ، ٢٧٦)

كما فرض الله تعالى الزكاة في مال الغني سداً لحاجة الفقير المحتاج ، مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها .. ﴾

(التوبة : ١٠٣)

هذه الصدقات التي فرضها الله تعالى في مال الغني ، هي سد لحاجة الفقير المحتاج وتفريج لكربة الغارم وتيسير لابن السبيل ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي

الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾
(التوبة : ٦)

كذلك أوصى الاسلام بالاتزان والاعتدال في الانفاق لقوله تعالى :
﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾
(الفرقان : ٦٧)

وقوله عز وجل :
﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾
(الاسراء : ٢٩)

كما يدعو الاسلام على العمل والكسب ، واعتبار العمل ضرورة واجبة على كل قادر ، فالعمل من سنة الأنبياء ، مصداقاً لقول الرسول ﷺ :
« ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده »[1]

هكذا حث الاسلام على العمل وجعله قيمة من القيم الفاضلة ، وذلك تدعيماً للناحية الاقتصادية لأفراد المجتمع .

أما في شأن الملكية الفردية ، فقد قرر الاسلام إحترام الملكية الفردية طالما أنها لا تتعارض مع المصلحة العامة . وفي ذلك يقول الرسول ﷺ :
« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »[2] . كما يقول ﷺ « لاضرر ولا ضرار »[3].

---

(١) رواه البخـاري .

(٢) رواه أصحاب السنن عن أبي هريرة .

(٣) أخرجه ابن ماجه ومالك وأحمد .

تلك هي روح النظام الاقتصادي في الاسلام الذي يحقق الاستقرار والأمن والأمان والطمأنينة لكل من الفرد والمجتمع على حد سواء . وهذا يعتبر أساس هام من أسس الصحة النفسية لأفراد المجتمع .

ثالثا : الجانب الثقافي للبيئة :

لا غرو فنحن أول أمة استهل دستورها ب « إقرأ » ، هذا يبين لنا إلى أي مدى يدعوا الاسلام إلى العلم والتعلم . فالاسلام دين العلم ، جاء به ، ونزل بترسيخ أسسه وأصوله ، ودفع الناس إلى طلبه . وقد وردت آيات كريمة في كتاب الله تعالى ترفع الذين يعلمون ، مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ .... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾

(المجادلة : ١١)

فلا شك أن التعليم والثقافة تهذب سلوك الانسان . والانسان المسلم يجب عليه تعلم الآداب الاسلامية التي أقرها الاسلام ، وعليه كذلك أن يتعلم أساليب السلوك السوي الذي يتفق مع شرع الله تعالى . فيتعلم بذلك ما هو خير وما هو شر ، ما هو طيب وما هو خبيث ، ما هو حلال وما هو حرام .

كما يقدم العلم يد العون للبشرية ، وينير لهم طريق الخير والسعادة .

رابعاً : الجانب السياسي للبيئة :

اهتم الاسلام أيضاً بأمر السياسة واستتباب الأمن والأمان بين أبناء المجتمع الاسلامي ، ويتمثل هذا الاهتمام في :

١ ــ **الشوري** ، لقوله عز وجل :

﴿ .. فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل

على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾

(آل عمران : ١٥٩)

٢ ـ **المسؤولية** ، لقوله تعالى :

﴿ فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين ﴾

(الأعراف : ٦)

٣ ـ **العدالة** ، لقوله عز من قائل :

﴿ ... وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل .. ﴾

(النساء : ٥٨)

٤ ـ **حرية الاختيار** ، لقوله تعالى :

﴿ فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر ﴾

(الغاشية : ٢١ ، ٢٢)

٥ ـ **المساواة** ، لقوله تعالى :

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم .... ﴾

(الكهف : ١١١)

هكذا يتضح لنا إلى أي مدى إهتم الاسلام بالبيئة بمختلف جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية كل هذا الاهتمام الذي تحظى به الوراثة والبيئة من قِبَل الاسلام هو في المقام الأول والأخير من أجل الانسان وخيره وسعادته .

الفصل الخامس

الـدوافـــع

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾

(البقرة : ٢٥١)

- مقـدمـــة .
- تعريـف الدوافـع .
- الوظائف الأساسية للدافع .
- أنـواعَ الدوافـــع .
- الدوافع الأولية الفطرية .
- الدوافع المكتسبة الشعورية .
- الدوافع المكتسبة اللاشعورية .
- الحـيل االلاشـعورية .
- الاسلام وتوجيه الدوافع .

الفصل الخامس

الدوافع

مقدمة :

يمتاز السلوك الانساني بكونه سلوكاً غرضياً ينبع عن دوافعنا وحاجاتنا الملحة .. وما البحث عن الطعام والشراب وطلب الأمن والسعي وراء المطامع العالية إلا أمثلة على الدوافع المستثارة لمختلف النشاطات البشرية . لذلك لا يمكن بحال من الأحوال الاستغناء عن الفهم الشامل للدوافع إذا ما أريد تكوين صورة واضحة عن عملياتنا العقلية .

لذلك يعتبر موضوع الدوافع من أكثر موضوعات علم النفس أهمية وإثارة لاهتمامات الكثير من الناس . فموضوع الدوافع محل إهتمام الأب في المنزل ، الذي يريد أن يتعرف على الأسباب التي تدفع إبنه إلى الكذب مثلا أو سرعة الانفعال أو التخريب أو الانطواء على نفسه أو الاستسلام لأحلام اليقظة لفترات طويلة . كما يهتم به أيضاً المعلم الذي يحتاج إلى التعرف على ميول ودوافع تلاميذه ليتسنى له حسن إستغلالها فيما يعود بالنفع على تلاميذه من خلال حفزهم على التعلم . والتعلم لا يكون مثمراً حتى يشبع دوافع المتعلم . وكثيراً ما يكون تقصير بعض التلاميذ لا إلى نقص في ذكائهم أو قدراتهم وإنما يرجع إلى إنعدام ميلهم لما يدرسون . من هنا احتل موضوع الدوافع مركزاً مرموقاً في المجال التربوي . كذلك يمثل مركز الصدارة في ميدان الصناعة . فصاحب العمل يهمه أن يعرف ما يدفع العمال ويحفزهم على رفع مستوى الكفاية الانتاجية . والطبيب النفسي يتطلع إلى التعرف على الدوافع

النفسية التي تكمن وراء هذيان المجنون وتشنج الهستيري والتردد الشاذ عند المريض بالوسواس . كما يهم رجل القانون أيضاً أن يتعرف على الأسباب والدوافع الكامنة وراء إرتكاب الجرائم .

يضاف إلى ذلك أن جهل الفرد بدوافعه الحقيقية يعتبر مصدراً لكثير من متاعبه ومشاكله وأزماته النفسية . بل إن كثيراً من ألوان السخط والشقاء فيما يكابده الانسان يرجع إلى عجزه عن تحديد الأغراض والبواعث التي تحرك سلوكه تحديداً واضحاً . فلاشك أن معرفة الانسان بدوافعه الحقيقية تعينه على ضبط تلك الدوافع والتحكم فيها وتوجيهها الوجهة السوية السليمة .

وما هو جدير بالذكر أن موضوع الدوافع لا تقتصر أهميته في تلك النواحي فحسب ، بل إنه يتصل بجميع موضوعات علم النفس عموماً ، فهو وثيق الصلة بعمليات الادراك والتذكر والتخيل والتفكير والتعلم فضلاً عن أنه أساس دراسة الشخصية وخلاصة القول إن الدوافع لابد منها لتفسير السلوك الذي يصدر عن الانسان ، إذ لا سلوك بدون دافع .

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن :

ما هو ذلك الدافع ؟

تعريف الدافع Motive :

يعرف الدكتور أحمد عزت راجح[1] الدافع بأنه « حالة داخلية ــ جسمية أو نفسية ــ تثير السلوك في ظروف معينة ، وتواصله حتى ينتهي إلى غاية معينة »

والدافع كما يعرفه د . أحمد زكي صالح « هو أي عامل داخلي في الكائن الحي يدفعه إلى عمل معين والاستمرار في هذا العمل مدة معينة من

(١) دكتور أحمد عزت راجح : أصول علم النفس (مرجع سابق) ، ص ٧٣ .

الزمن حتى يشبع هذا الدافع »[1]

أما الدافعية من وجهة نظر الدكور طلعت منصور وآخرون تعرف على أنها « مجموعة القوى التي تحرك السلوك وتوجهه وتعضده نحو هدف من الأهداف »[2]

والدوافع في واقع الأمر مصطلح عام وشامل ، فتحتوي اللغة على ألفاظ أخرى قد تحمل معنى الدافع من بين هذه المصطلحات[3] الباعث ، والحافز والحاجة . وبعض هذه الألفاظ يكاد يكون مرادفاً للآخر ، كما يحتاج بعضها إلى تحديد وتمييز نحدده فيما يلي :

الدافع والباعث Incentive

الدافع حالة داخلية ، أما الباعث فهو حالة خارجية مادية كانت أو إجتماعية ، يستجيب لها الدافع . فرؤية الطعام مثلاً باعث يستجيب له دافع الجوع . ورؤية الماء باعث يستجيب له دافع العطش . وبالتالي فالدافع قوة داخل الفرد أما الباعث فهو قوة خارجية .

الدافع والحافز Drive :

الدافع عبارة عن استعداد ذو وجهين ، وجه داخلي محرك للسلوك ووجه خارجي هو الغاية أو الهدف الذي يتجه إليه السلوك الصادر أصلاً عن الدافع . يسمى الوجه الداخلي للدافع بالحافز . وهذا الفارق الجوهري بين الدافع كمنشط وموجه للسلوك في نفس الوقت وبين الحافز كمنشط فقط وليست له خاصية التوجيه .

---

(١) دكتور أحمد زكي صالح : علم النفس التربوي ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٩ ، ص ٧٩١ .

(٢) دكتور طلعت منصور وآخرون : أسس علم النفس العام (مرجع سابق) ص ١١٠

(٣) دكتور أحمد عزت راجح : أصول علم النفس (مرجع سابق) ، ص ٧٩ .

الدافع والحاجة Need :

الحاجة « هي حالة لدى الكائن الحي تنشأ عن إنحراف أو حيد العوامل البيئة عن الشروط البيولوجية (الحيوية) المثلى اللازمة لحفظ بقائه »[1] . إذن فالحاجة هي حالة من النقص والعوز والافتقار واختلال التوازن يقترن بنوع من التوتر لا يلبث أن يزول متى قضيت الحاجة . وكثير من علماء النفس يستخدمون مصطلح الحاجة على أنه مرادف لمصطلح الدافع ، فالحاجة إذن مرادفة للدافع غير المشبع .

الدافع والهدف Aim :

الدافع كما ذكرنا سابقاً داخلي أما الهدف فهو ما يشبع الدافع وإليه يتجه السلوك ، ويكون في العادة شيئاً خارجياً .

الوظائف الأساسية للدافع :

تؤكد التعريفات السابقة الوظائف الأساسية التالية :

١ ـ تحرير الطاقة :

تزداد فاعلية الدافعية بازدياد مقدار الطاقة المبذولة في موقف معين . فالفرد مثلاً الذي لم يذق الطعام لمدة يوم كامل فإنه ينشط في السعي للحصول عليه حتى يشبع دافع الجوع . وبالطبع فإن نشاط هذا الفرد يختلف عن نشاط فرد آخر كان قد تناول طعامه قبل ساعات قليلة .. هذه هي الوظيفة التنشيطية أو التحريكية للدافع .

---

(١) دكتور أحمد زكي صالح : علم النفس التربوي (مرجع سابق) ، ص ٤٢٣ .

٢ ـ توجيه السـلوك :

يقوم الدافع بوظيفته التنظيمية في توجيه السلوك الوجهة الصحيحة لاشباعه . فالفرد الجائع يبحث عن الطعام والظمآن يبحث عن الماء ، إلى غير ذلك من الوظائف التوجيهية للدافع .

٣ ـ المثابـرة :

الفرد الذي تتوفر لديه الدافعية لا يتقاعس عن تحقيق هدفه بسهوله . أما الشخص الذي تعوزه الدافعية قد يتقبل الفشل بسهولة وسرعان ما يتخلى عن تحقيق أهدافه .

٤ ـ القابليـة للتغيـر :

هذه الوظيفة متعلقة بالوظيفة السابقة . فالفرد الذي يثابر كي يحقق لنفسه هدفاً معيناً له في الحياة ، نجد أنه يأتي بوسائل وأساليب جديدة بغية الوصول إلى الهدف الذي يصبو إليه . على سبيل المثال الطالب الذي يسعى للحصول على الاحترام والتقدير في المدرسة فإنه قد يحاول تحقيق هذا الهدف عن طريق التفوق الدراسي . وقد يؤدي به الفشل في التفوق الدراسي إلى الاتجاه نحو التفوق الرياضي . وإذا لم يكتب له التوفيق في هذه المضمار فإنه قد يمتثل السلوك الطيب والأخلاق الحميدة . صحيح أن هذا الطالب قد نوّع من أساليب سلوكه التي انتهجها ولكنه ظل طيلة الوقت يسعى وراء الهدف الذي يصبو إليه .

أنـواع الـدوافــع

إذا نظرنا إلى السلوك الانساني لوجدنا أنه مدفوع بدوافع معينة بعضها

فطري وبعضها مكتسب . فالانسان يولد وهو مزود ببعض الدوافع الفطرية الأولية اللازمة لحفظ بقائه مثل دافع التنفس ودافع البحث عن الطعام ودافع العطش ودافع الاخراج إلى غير ذلك من الدوافع الفطرية الموروثة .

ولكن الانسان يولد في بيئة إجتماعية ، يتفاعل معها وتتفاعل معه فتضطره هذه البيئة الاجتماعية إلى التعديل من بعض دوافعه الفطرية فضلاً عن تكوين بعض العادات الانفعالية والتي تكوّن ما نسميه بالدوافع المكتسبة أي الدوافع الاجتماعية المتعلمة . إذن فالدوافع الفطرية الموروثة هي الدوافع التي يولد الانسان مزوداً بها . أما الدوافع المكتسبة فهي التي يتعلمها الانسان أثناء تفاعله مع المجتمع الذي يعيشه . وللدوافع سواء كانت فطرية أو مكتسبة تأثير كبير في تشكيل السلوك الانساني .

من ذلك نستطيع أن نخلص إلى أن هناك نوعين من الدوافع الرئيسية :

١ ــ الدوافع الفطرية (الأولية) .

٢ ــ الدوافع المكتسبة (الثانوية) .

الدوافع الفطرية

يقصد بالدوافع الأولية « تلك الدوافع التي لم يكتسبها الفرد من بيئته عن طريق الخبرة والمران والتعلم ، وإنما هي عبارة عن إستعداد يولد الفرد مزوداً به ، ولهذا فهي تسمى أحياناً بالدوافع الفطرية »[1] . فالطفل يولد مزود بمجموعة من الدوافع التي تدفعه إلى الاحتفاظ بكيانه وتتميز هذه الدوافع بأنها بيولوجية فطرية أولية عامة لدى جميع أفراد الجنس البشري على حد سواء . فالناس متفقون في دوافعهم الفطرية مهما اختلفت الحضارات أو الثقافات أو المجتمعات . ومن

(١) دكتور مصطفى فهمي : في علم النفس (مرجع سابق) ص ٤٨ .

هذه الدوافع ، الدوافع المرتبطة بالطعام والماء والأكسجين والراحة والنوم والحاجة إلى المحافظة على درجة حرارة متوسطة والحاجة إلى الاشباع الجنسي وهذه الدوافع البيولوجية[1] تنبثق من البناء الوراثي للانسان . هذه الدوافع الفطرية تعتبر الأساس الأول للسلوك على وجه العموم .

وقد درس علماء النفس هذه الدوافع الأولية من نواح ثلاث :

١ ـ **الناحية الفسيولوجية** : ونعنى بها التغيرات الكيميائية التي تحدث داخل جسم الانسان من تقلصات للمعدة في حالة الجوع وجفاف البطانة المخاطية في فم الضمآن إلى غير ذلك من التغيرات الفسيولوجية التي تنتهى عادة بإشباع الدافع .

٢ ـ **الناحية الشعورية** : فإذا طلب إلى إنسان جائع أن يصف شعوره ، فإنه قد يعبر عن شعوره بالجوع بقوله أنه يحس بفراغ في معدته وأنها في حركة دائمة . وهذه تمثل الحالة النفسية لدى الجائع .

٣ ـ **الناحية النزوعية أو السلوكية** : وهذا يتمثل في النشاط الذي يقوم به الفرد لشعوره بالعطش أو بالجوع والذي ينتهي بالاشباع المباشر للدافع . فإذا ما راقبنا تصرفات طفل منع عنه الطعام لفترة طويلة ، لرأينا في جلاء كيف تستبد به الحيرة والضجر .وكيف أنه لا يهدأ بحثاً هنا وهناك عن الطعام . فإذا ما وقعت عيناه على الطعام لانكب عليه وأخذ يلتهمه إلتهاماً ولا يزال على ذلك حتى تراه يقل حماسة لاشباع دافع الجوع .

وفيما يلي عرض لبعض الدوافع الفطرية :

---

(١) دكتور عبد الله النافع وآخرون : علم النفس العام (مرجع سابق) ص ١٩٤

١ ـ دافـع الجـوع :

يعتبر هذا الدافع من أهم الدوافع البيولوجية الأولية الضرورية لحياة الانسان ، لذلك فلقد خضعت لخضم هائل من الدراسات العلمية ومن البحوث[١] التي أجريت لتبيان أثر إفتقار الجسم إلى الطعام . بحث أجرى على مجموعة من الشبان الأصحاء . فقد غذي أفراد المجموعة تغذية جيدة لمدة ثلاثة أشهر ، أعقبها فترة ستة أشهر من الصوم اعتمدوا فيها على أقل القليل من الطعام الذي يكاد يسد رمقهم . وقد وصفوا حالاتهم أثناء فترة الستة أشهر من الصوم بعدم القدرة على ضبط النفس وكبح جماح الغضب والتردد والقلق والحساسية الزائدة وعدم القدرة على تركيز الانتباه .

يتضح من ذلك أثر إفتقار الدم إلى المواد الغذائية في دافع الجوع ، ومن ثم يضعف الجسم ولا يستطيع القيام بوظائفه الحيوية المعتادة .. وليس أدل على أهمية هذا الدافع من قوله تعالى :

﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾
(قريش : ٣ ـ ٤)

فإشباع دافع الجوع يعطي الجسم الطاقة التي تلزمه للقيام بمختلف وظائفه الحيوية . حتى أن صوم يوم عرفة غير مستحب لحجاج بيت الله الحرام حتى يتمكنوا من أداء المناسك وعبادة الله حق عبادته . أما عن وسيلة إشباع هذا الدافع فلابد وأن تكون في حدود طاعة الله لقوله تعالى :

﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾

(طه : ٨١)

---

(١) دكتور مختار حمزة : مبادئ علم النفس (مرجع سابق) ص ٧٣

كما يجب أن نمتثل لأوامر الله ونحن بصدد إشباع هذا الدافع لقوله تعالى :

﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ..... ﴾

(الأنعام : ١٢١)

كما يوضح لنا الله ما حرم علينا من الطعام في قوله تعالى :

﴿ قل لا أجد في ما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم ﴾

(الأنعام : ١٤٥)

هكذا أباح لنا الله سبحانه وتعالى إشباع دافع الجوع وهو من أقوى الدوافع البيولوجية بالطريقة السوية السليمة التي تتفق مع شرع الله تعالى .

٢ ــ دافــع العطــش :

لاشك أن حاجة الجسم إلى الماء أقوى من حاجته إلى الطعام . فالانسان قد يستطيع أن يعيش عدة أسابيع بدون طعام ولكنه لا يستطيع أن يعيش بدون ماء إلا أيام قلائل .

ويقوم دافع العطش بعملية تنظيم وضبط دخول الماء إلى جسم الانسان بحيث تحافظ على نسبة ثابتة منه . فكلما انخفضت نسبة الماء في جسم الانسان جفت أنسجة الفم والحلق ، وهذا الجفاف ينبه الأطراف العصبية الذي يؤدي إلى الاحساس بالعطش . وليس أدل على أهمية الماء لجسم الانسان مما أثبتته الدراسات العلمية ، فالماء يشكل حوالي ثلثي وزن الجسم ، ويدخل في تركيب أنسجة الجسم بما فيها العظام ، كما أنه ضروري لحدوث العمليات الحيوية في الجسم كالهضم والامتصاص ، ويساعد أيضاً في تخلص الجسم من الفضلات الزائدة عن حاجته على شكل عرق أو بول . فضلاً عن أن الماء

يلعب دوراً هاماً في ثبوت درجة حرارة الجسم . فيعمل بمثابة مكيف للجسم لتثبيت درجة حرارته صيفاً وشتاءً عند ٣٧ درجة مئوية . إذن باختصار شديد الماء يعني الحياة لقوله تعالى :

﴿ وجعلنا من الماء كل شئ حي ﴾

(الأنبياء : ٣٠)

وقوله عز من قائل :

﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾

(النحل : ١٠ ــ ١١)

وقد دعانا الله سبحانه وتعالى لاشباع هذا الدافع بقوله تعالى :

﴿ .... كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾

(البقرة : ٦٠)

وهكذا أحل الله لنا مختلف ألوان الشراب فيما عدا الخمر لقوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلٰم رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾

(المائدة : ٩٠)

ويوضح لنا سبحانه وتعالى أسباب هذا التحريم بقوله عز وجل :

﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوٰة فهل أنتم منتهون ﴾

(المائدة : ٩١)

٣ ــ دافــع التنفــس :

يعتبر دافع التنفس من أهم الدوافع البيولوجية الأولية على الاطلاق لأن من

أهم إحتياجات الجسم حاجته إلى الأكسجين ، فنقص نسبة الأكسجين في الجسم لدمة قصيرة قد تصل إلى ٣ دقائق يؤدي إلى تلف حقيقي في المخ[١] ، كما أن نقص نسبة الأكسجين بجسم الانسان يفقده السيطرة على نفسه وتتعطل الذاكرة وتضعف الحواس وقد يحدث الشلل وبخاصة في الأرجل .

ويتضح لنا الأهمية الكبرى للأكسجين بالنسبة للانسان من قوله عز وجل :

﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ... ﴾

(الأنعام : ١٢٥)

هكذا من يرد الله تعالى شقاوته وإضلاله يجعل صدره للايمان ضيقاً حرجاً ، ويشبه تعالى هذا الضيق في الصدر كالذي يصعد إلى الطبقات العليا من الجو حيث تقل نسبة الأكسجين حتى تنعدم تماماً ، مما أثبتته الأبحاث العلمية الحديثة ، وهناك يكون الصدر ضيقاً لا يستطيع التنفس لعدم توافر الاكسجين .

٤ ـــ دافع النوم والراحة :

يعتبر هذا الدافع أيضاً من الدوافع الأولية الضرورية للابقاء على الكائن الحي . فكل فرد منا يشعر من حين إلى آخر بحاجته إلى الراحة وإلى النوم . وكل الكائنات الحية تقريباً تنام بغية الراحة ، حتى السمك في الماء ينام طلباً للراحة والسكينة . والطفل حديث الميلاد يميل ميلاً شديداً إلى النوم خصوصاً في أيامه الأولى . وكلما زاد عمره الزمني قل نومه عما كان سابقاً .

ومن الدراسات الطبية العديدة يتضح لنا أن متوسط ساعات النوم التي

---

(١) دكتور عبد الله النافع وآخرين : علم النفس العام (مرجع سابق) ص ٢٠٠ .

يحتاجها الانسان العادي يومياً سبع ساعات[1] . لذلك فإنه خلق الله سبحانه وتعالى لليل آية من آياته الكبرى مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وجعلنا اليل والنهار ءَايتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم .... ﴾

(الاسراء : ١٢)

وما خلق الله تعالى الليل إلا ليكون راحةً وسكينةً بعد مشقة وتعب وعناء السعي وراء الرزق في النهار ، لقوله عز من قائل :

﴿ وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً ﴾

(الفرقان : ٤٧)

لذلك فإن الله بحكمته وقدرته جعل لنا الليل وتفضل به على خلقه مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾

(غافر : ٦١)

دافـع الاخـراج :

الاخراج من الدوافع البيولوجية الأولية الملحة ، والذي عدم إشباعه قد يضر بالانسان ضرراً بالغاً ، بل وربما يؤدي به إلى الهلاك . « والدافع إلى الاخراج من الأمور التي تنشط منذ بدء الحياة ويترابط مع عملية الأكل والشرب والتنفس »[2] ونتيجة تفاعل عناصر الطاقة مع الاكسجين تتراكم نتائج أكسدتها في الجسم ، من هنا تنشأ الحاجة إلى إفراز الفضلات كالتبول والتبرز والعرق .

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٠١ .

(٢) د . أحمد فائق وآخرين : مدخل إلى علم النفس العام ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ٣٠٣ .

وهناك بعض الآداب العامة التي يوصى بها الاسلام أثناء إشباع هذا الدافع ، خصوصاً عند قضاء الحاجة ، من عدم وجوب استقبال أو استدبار القبلة ، إلى عملية الاستنجاء إلى عملية الاستجمار من حيث وسائله ودواعيه .

٦ ـ الدافع الجنسي :

إن الدافع الجنسي من الدوافع الأولية التي لها أهمية خاصة في حياتنا الاجتماعية . ذلك لأن هذا الدافع يقوم بوظيفة بيولوجية حيوية إذ يعمل على بقاء النوع . فلولا التناسل لانقرضت الكائنات الحية من الوجود .

ولاشك أن من آيات الله الدالة على عظمته وكمال قدرته أن خلق لكم من نوعكم أزواجاً آدميات لتزداد بينكم المودة والرحمة والائتلاف مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾

(الروم : ٢١)

ولم يشأ الله أن يجعل الانسان كغيره من سائر المخلوقات الأخرى الحيوانية منها والنباتية ، فيدفع غرائزه تنطلق دون وعي أو ضابط وفي ذلك يقول عز من قائل :

﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً * حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم الـتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم الـتي في حجوركم من نسائكم الـتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً * والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن

تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم من بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً ﴾

(النساء : ٢٢ : ٢٤)

وبهذا وضع الله للدافع الجنسي سبيله المأمون . ولكي يحمي الله النسل من الضياع وضع نواة الأسرة المؤمنة التي تحوطها حنان الأمومة وترعاها عاطفة الأبوة فتنبت نباتاً حسناً وتثمر ثمارها اليانعة ، فقد أمرنا عز وجل باجتنباب نكاح المشركين والمشركات بقوله تعالى :

﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ﴾

(البقرة : ٢٢١)

مما تقدم في موضوع الدوافع الأولية يتضح لنا أنها ذات خصائص معينة نوردها فيما يلي :

١ ــ أنها دوافع أولية أي أن إشباعها يأتي في المقام الأول لأن عدم إشباعها قد يؤدي بحياة الكائن الحي ، وأنها فطرية أي أنها موروثة غير مكتسبة أو متعلمة . وأنها عامة أي توجد لدى جميع أفراد الجنس البشري بصفة عامة .

٢ ــ أنها دوافع ضرورية لا غنى للانسان عنها ولا غنى له عن إحداها ولا يمكنه إستبدال واحد منها بالآخر أو بأي دافع آخر جديد .

٣ ــ لا تتحكم في شدتها أو فاعليتها عوامل خارجية ، بل تختلف تلك الشدة والفاعلية وفق العجز أو الزيادة في إشباعها .

ولكن الملاحظ للسلوك الانساني يجد أن الدوافع الأولية لا تؤثر في استجابات الفرد بصورة شاملة ، بل أنها تلعب دوراً معيناً إلى جانب دوافع أخرى تمتزج بها . فاستجابات الفرد تكون عادة مدفوعة بمزيج من الدوافع الأولى ودفع من نوع آخر . فكثيراً ما نجد استجابة الانسان لمثيرات تبدو على غير صلة بالجوانب البيولوجية ، وهي الدوافع الثانوية المكتسبة .

الدوافع الثانوية

الانسان في مجتمعه الذي يعيشه لا يستطيع أن يسلك تبعاً لما تمليه عليه دوافعه الأولية الفطرية ، بل لابد وأن يعدل من هذا السلوك الفطري بما يتفق ونظم وقوانين وعادات وتقاليد وقيم وعُرف ذلك المجتمع الذي يعيشه . من هنا كان لابد على الفرد من أن يعدل من دوافعه الأولية لكي تتلاءم مع نظم المجتمع . إذن سلوك الانسان ما هو إلا محاولة للتكيف مع المجتمع ، ومن خلال إشباع الدوافع الفطرية وتكيفها مع نظم المجتمع تنشأ الدوافع المكتسبة أو المتعلمة . وعليه يمكن القول بأن الدوافع المكتسبة لا تنشأ من عدم بل تقوم على أكتاف الدوافع الفطرية وتنبت في ثناياها تحت تأثير العوامل الاجتماعية[1] .

إذن فالدوافع المكتسبة تنشأ كنتيجة لوجود الفرد في البيئة التي يعيشها ، ومحاولته التكيف مع نظمها ، فيعدل بالتبعية من دوافعه الفطرية وينظمها تنظيماً خاصاً فتتكون الدوافع المكتسبة الشعورية . وأحياناً قد يصطدم الفرد بالبيئة وهو بصدد إشباع دوافعه وعندئذ يحدث صراع بينه وبين بيئته ، هذا الصراع قد يؤدي به إلى كبت دوافعه في اللاشعور ، ومن هنا تتكون الدوافع المكتسبة اللاشعورية .

---

(١) دكتور أحمد عزت راجح : أصول علم النفس (مرجع سابق) ص ١٠٩ .

إذن هناك نوعان[1] من الدوافع المكتسبة هما :

١ — الدوافع المكتسبة الشعورية .

٢ — الدوافع المكتسبة اللاشعورية .

الدوافع المكتسبة الشعورية

وهي عبارة عن حاجات نفسية يحتاجها الانسان لحفظ بقائه السيكولوجي ، بمعنى أن صلتها بالتكوين النفسي أوثق من صلتها بالتكوين العضوي . وهناك العديد من الدوافع النفسية المكتسبة . وهناك العديد من الدوافع النفسية المكتسبة نذكر منها ما يلي :

١ — الدافع إلى الحب والحنان :

إن الدافع إلى الحب ذات جذور عميقة في حياة الانسان . فإذا قارنا الانسان بغيره من الكائنات الأخرى لوجدنا أن الوليد البشري يولد عاجزاً عن التكيف بنفسه مع البيئة الاجتماعية أو الطبيعية التي يعيشها ، بعكس الوليد غير البشري الذي لا يكاد يمضي على ولادته أيام قلائل بل أحياناً ساعات ويقف علي قدميه ويستقل بنفسه . بينما الطفل البشري يظل ولمدة طويلة يحتاج إلى رعاية الوالدين والاعتماد عليهما . والأم هي أول من يحرص الطفل على جذب إنتباهها والحصول على حبها ، لأنها أول إنسان يتعرف عليه من خلال رعايتها له فتصبح بالنسبة له مصدراً للراحة والأمان والعطف والحب فتتكون بذلك الحاجة لها .

هذا ويؤكد علماء النفس الأهمية البالغة لهذه العاطفة المتبادلة بين الطفل وأمه على مستقبل شخصيته وصحته النفسية . « فقد دلت ملاحظاتهم على

---

(١) د . عبد الله عبد الحي موسى : المدخل إلى علم النفس (مرجع سابق) ص ٢٤٨ .

أن كثيراً من حالات إنحراف الأحداث والكبار أيضاً مرجعه إلى افتقار الحب والأمن في الطفولة . كما ثبت أن أطفال الملاجئ والمؤسسات الذين حرموا الأم ، لا يكونون في مستقبلهم في سوية الأطفال الذين تمتعوا بحنان الأم وعطفها »[1]

ولكي يشبع الطفل دافع الحب والعطف والحنان ، « ينصح رجال الصحة النفسية بألا يحرم الطفل من ثدي أمه ومن حمله إلى صدرها »[2] . لذلك يوصينا القرآن الكريم بإتمام الرضاعة عامين كاملين تأكيداً لاشباع الدافع إلى الحب والحنان للطفل الرضيع . لقوله تعالى :
﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عاملين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير ﴾

(لقمان : ١٤)

لذلك يعظم الاسلام مكانة المرأة ، فيحكى أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أبوك[3] .

هذا يؤكد لنا مقدار قوة العلاقة العاطفية بين الأم وأطفالها وما هو جدير بالذكر أن الاسراف في الحنو يتطلب منا إشارة خاصة « إن الاسراف في الحنو معناه التصاق الطفل بأمه أو بأبيه أكثر مما ينبغي . ويؤدي ذلك في وقع الأمر إلى إنكار لشخصية الطفل وتسويف لفطامه النفسي ولاعتماده على نفسه »[4] .

---

(١) دكتور صموئيل مغاريوس : الصحة النفسية والعمل المدرسي ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٧٤ ، ص ٢٨ .

(٢) دكتور سيد خيري : رعاية الطفل وتطور الحب ، القاهرة : دار المعارف ١٩٧٩ ، ص ٢٩ .

(٣) متفــق عليــه .

(٤) د . صموئيل مغاريوس : الصحة النفسية والعمل المدرسي (مرجع سابق) ص ٣١ .

فلا شك أن مثل هذا الفرد يصعب عليه تحمل المسئولية وبالتالي فإنه كثيراً ما يصطدم مع واقع الحياة .

وعلى ذلك وجب الاعتدال والتوسط فلا يغدق على الطفل بالحب والعطف أكثر مما ينبغي ، كما لا يحرم الطفل منه أكثر مما ينبغي ، فخير الأمور أوسطها كما كان يدعوا الرسول ﷺ .

٢ ـ الدافع إلى الانتماء :

من الدوافع الهامة أن يشعر الفرد بأنه ينتمي إلى أسرة وينتمي إلى جماعة من الأصدقاء ، وينتمي إلى جماعة مهنية معينة ، وينتمي إلى وطن معين ، وينتمي إلى قومية معينة ، وأن يعتز بإنتمائه لهذه الجماعات ، كما تعتز الجماعة بانتمائه إليها .

ودافع الانتماء هذا يعتبر من الدوافع الأساسية للنمو النفسي والنمو الاجتماعي السوي السليم ، وخاصة في السنوات الأولى من حياة الطفل . إلا أن في بعض الأحيان يلجأ بعض الآباء في الأسرة إلى أنماط من السلوك تدفع الأبناء إلى الشعور بأنهم غير مرغوب فيهم سواء عن طريق إهمال مطالبهم أو نبذهم أو تفضيل بعض الأخوة على الآخرين . وإذا شعر الطفل أو الفرد بعدم إنتمائه للأسرة أو الجماعة لاعتراه القلق والضيق والحزن ، لأن الانسان اجتماعي بطبيعته ويفضل أن يعيش مع الجماعة . وهذا ما يفسر الانهيار العصبي الذي قد يتعرض له بعض أعضاء البعثات الدراسية بالخارج لشعورهم بعدم الانتماء إلى المجتمعات الجديدة التي انتقلوا إليها بقصد الدراسة من جهة وإحساسهم الشديد بالحنين للوطن من جهة أخرى .

والاسلام يؤكد لنا هذا الدافع إلى الانتماء ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

ويقيمون الصلوٰة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾

(التوبة : ٧١)

وعن الرسول ﷺ أنه قال :

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[١] . هذا التشبيه البليغ يصور لنا قوة إنتماء المسلم لأخيه المسلم ، وشدة الحساسية وسرعة الاستجابة بين المؤمنين كما يحدث بين أجهزة الجسم المختلفة من ترابط وتعاون .

وعنه ﷺ أنه قال :

« المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن ، يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه »[٢] .

وهكذا يوضح لنا الرسول ﷺ كيف أن الانتماء إلى أسرة الاسلام تجعل المؤمن مسئولا مسئولية كاملة عن أمن أخيه المؤمن وسلامته كما يدفع عنه الغيبة ، وهذا هو جوهر ما يهدف إليه الدافع إلى الانتماء .

٣ ــ الدافع إلى تحمل المسئولية :

يميل الطفل منذ سنواته الأولى إلى الاستقلال وتحمل المسئولية . وعلى الوالدين والقائمين على التربية الاهتمام بإشباع تلك الحاجة لدى أبنائهم وحتى تنمو شخصياتهم الذاتية المستقلة منذ الصغر . وهذا من شأنه بناء شخصيات إيجابية في تحملها لمسئولياتها كاملة في المجتمع . والاسلام جاء ليؤكد تلك

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه أبو داود .

المسئولية الفردية ، خاصة وأن الله سبحانه وتعالى لا يكلف أحداً فوق طاقاته التي منحها له ، لذلك فإن كل نفس مسئولة مسئولية كاملة عما قدمت من خير وما اقترفت من شر مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .. ﴾

(البقرة : ٢٨٦)

وعن الرسول ﷺ قال :

« يا فاطمة بنت محمد ، لا أغني عنك من الله شيئاً »[١]. بهذا التحذير المحمدي لأقرب المقربين إليه ، لفلذة كبده فاطمة ، يقرر الرسول الكريم ﷺ مبدأ من أهم المبادئ الاسلامية ، وأساساً من أسس العقيدة الالهية ، لا يغني أحد عن أحد شيئاً، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله ﴾

(الانفطار : ١٩)

والرسول الكريم ﷺ يقول :

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الأمير راع ، والرجل راع في بيته على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته »[٢] .

فلا معوّل بعد ذلك إلا على العقيدة الشخصية ولا إعتماد إلا على السلوك الفردي ، حيث لا محاباه ، ولا محسوبية ، واستثناء . فكل فرد إذن مسئول عن ذاتيته وعقيدته وسلوكه الفردي .

---

(١) محمود بن الشريف : الأمثال في القرآن ، دار عكاظ ، الطبعة الثانية ، ص ١١٩ .

(٢) متفق عليه .

٤ ــ الدافع إلى التقدير الاجتماعي :

يسعى الطفل منذ سنوات طفولته الأولى إلى الحصول على شيء من التقدير والاهتمام ممن هم حوله في المنزل . وعندما يكبر الطفل يزداد ميله للتقدير ممن حوله في المدرسة من أقرانه ومدرسيه وتجده يبذل الكثير والكثير من الجهد ليحظى بهذا التقدير . فنجده يعمل ويجتهد في مجالات الدراسة أو في الأنشطة الرياضية أو الأنشطة الاجتماعية أو الثقافية سعياً وراء التقدير الاجتماعي . كما نجد هذا الدافع أيضاً لدى الراشدين حيث يميل الفرد إلى أن يثاب على عمل أجاده إثابة مادية في صورة المكافآت المالية أو في صورة معنوية عن طريق شهادات التقدير التي يقرها المجتمع .

والاسلام يقدر حق تقديره كل من يعمل عملاً صالحاً طيباً خالصاً لوجه الله ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ .... إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ﴾

(الكهف : ٣٠)

كما يقدر الله المؤمن العالم فوق المؤمن الذي ليس بعالم فيرفعه إلى أعلى الدرجات لقوله عز من قائل :

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾

(المجادلة : ١١)

والله لا يساوي في حكمه وتقديره يوم القيامة ، من كان مؤمناً بآياته متبعاً لرسله ، بمن كان فاسقاً خارجاً عن طاعة الله ومكذباً بكتبه ورسله لقوله تعالى :

﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون ﴾

(السجدة : ١٨)

ولقوله عز وجل :

﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾

(القلم : ٣٥)

وتصل قيمة التقدير والتقييم للسلوك الانساني في قوله تعالى :

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾

(الزلزلة : ٧ : ٨)

٥ ــ الدافع إلى الأمن :

ويظهر هذا الدافع في مظاهر عدة ، والخوف هو أهم تلك المظاهر على الاطلاق ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾

(قريش : ٣ : ٤)

والطفل الصغير منذ نشأته وهو يشعر بحاجته إلى الأمن والرعاية والعناية من قبل والديه ، بل وكل من حوله من الأخوة والأخوات والأقارب .. ويستمر هذا الدافع مع الراشدين . فالانسان دائماً يخشى المجهول ويريد أن يطمئن على يومه وغده ، ومما يؤكد أهمية هذا الدافع قول الرسول الكريم ﷺ :

« من أصبح أمناً في سربه معافاً في بدنه ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها »[1]

ولكن في واقع الأمر لن تسكن القلوب وتطمئن وتستأنس إلا بذكر الله تعالى وتوحيده مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾

(الرعد : ٢٨)

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه .

أما عن الرزق وانشغال العباد به ، فهو ليس في يد مخلوق وإنما هو في يد الخالق سبحانه وتعالى المتكفل بأرزاق المخلوقات لقوله عز وجل :

﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾

(الزاريات : ٥٨)

ويلخص الرسول الكريم ﷺ إشباع هذا الدافع بمختلف مظاهره في كلمات جامعة مانعة بقوله :

« احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، فإذا سألت فسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لن ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشئ لن يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفت الصحف »[١]

وهذا نعم الأمن والأمان والاطمئنان .

٦ ـ الدافع إلى المعرفة وحب الاستطلاع :

كثيراً ما نلاحظ طفل يحاول أن يقبض على أشياء بيديه ويتفحصها ، وكثيراً ما نراه يتطلع إلى أشياء فيتتبعها بعينيه طلباً للمعرفة وحباً للاستطلاع .

والله سبحانه وتعالى خلق لنا الحواس التي بها نسمع ونبصر ونعقل ، لقوله تعالى :

﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾

(النحل : ٧٨)

فمن خلال تلك الحواس يشبع الطفل الدافع إلى المعرفة وحسب الاستطلاع ، فيتعرف الطفل على العالم الخارجي ، ومن ثم تنمو استعداداته

---

(١) رواه الترمـذي .

وقدراته العقلية .

ويمكن للطفل إشباع هذه الحاجة عن طريق :

١ ــ **اللعب (النشاط الذاتي)** : وهو النشاط الذي يبذله الطفل من جانبه لكي يتعرف على البيئة التي يعيش فيها . وإن كان من الأفضل أن يكون هذا النشاط الذاتي نشاطاً موجهاً لما يحقق أكبر استفادة للطفل .

٢ ــ **الأسئلة** : وهي من أهم ما يلجأ اليه الطفل طلباً للمعرفة وحب الاستطلاع . فنجده كثيراً ما يطرح العديد من الأسئلة بقصد استكشاف العالم الذي يعيشه . غير أن الوالدين قد يقفان من تساؤلات الطفل موقفاً غير صحيح ، كإهمال أسئلته أو الاجابة عليها بجفاف وحدة مما قد ينتج عنه شعور الطفل بالاحباط . وأحياناً قد يجيب الآباء عن الاسئلة إجابات مزيفة خاطئة مضللة مما قد يملأ حياة الطفل بالقلق والاضطراب ، وقد يكتشف الطفل الحقيقة من مصادر أخرى غير والديه مما يفقده الثقة بهم . لذلك فإنه من الأهمية الكبرى أن يهتم الوالدان وكذلك القائمون على التربية بالاجابة عن تساؤلات الأطفل بما يتناسب ومستويات إدراكهم .

الدوافع المكتسبة اللاشعورية

تنشأ الدوافع المكتسبة كما أشرنا سابقاً نتيجة إحتكاك الفرد وتفاعله مع البيئة الت يعيشها . فيعدل من دوافعه الفطرية وينظمها تنظيماً خاصاً فتتكون الدوافع الشعورية . وقد يصطدم الانسان بالبيئة وعند ئذ يحدث صراع بينه وبين البيئة مما قد يضطره أحياناً إلى كبت دوافعه الفطرية في اللاشعور فتصبح بذلك

دوافع لا شعورية[1] . وتؤثر هذه الدوافع اللاشعورية في سلوك الانسان بطريقة خفية ، فيكون في أغلب الأحيان غير واعي للدوافع المحركة لسلوكه ، فكم من أناني لا يشعر بأنانيته ، وكم من بخيل لا يفطن إلى بخله ، وكم من متكبر لا يدرك غروره ، لذلك يعرف الدافع اللا شعوري على النحو التالي :

تعريف الدافع اللا شعوري[2]

الدافع اللاشعوري بوجه عام هو الذي لا يشعر الفرد بوجوده وطبيعته أثناء قيامه بالسلوك . أو هو الدافع الذي يدفع الفرد إلى سلوك لا يكون هدفه واضحاً في ذهن الفرد .

مظاهر التعبير اللاشعوري :

الظاهرة اللاشعورية ظاهرة إنسانية بحتة ، بمعنى أنه لا يعتقد وجودها عند أي كائن حي آخر سوى الانسان فهي ظاهرة إنسانية وقاصرة على الجنس البشري فحسب .

وفيما يلي نتناول بعض الحيل الدفاعية اللاشعورية التي قد يلجأ إليها الانسان دفاعاً عن نفسه وهو في صراعه مع البيئة التي يعيشها .

الحيــل اللا شــعورية

Unconsious Mechanisms

قد يعجز الفرد أحياناً عن مواجهة المشكلات التي تقابله في حياته اليومية في شجاعة واقتدار . مما قد يدفعه ذلك إلى إتخاذ أساليب مختلفة وغير سوية

---

(١) دكتور أحمد زكي صالح : علم النفس التربوي (مرجع سابق) ص ٨١٤ .

(٢) دكتور . أحمد عزت راجح : أصول علم النفس (مرجع سابق) ص ١٤٠ .

من التكيف سواء مع نفسه أو مع بيئته التي يعيشها بقصد التخفيف من حدة التوتر الناتج عن فشله في مواجهة تلك المشكلات . هذه الأساليب المتعددة التي قد يلجأ إليها الفرد ، رغم تنوعها إلا أنها تشترك في أنها نوع من تشويه الحقيقة ، لذلك يطلق عليها أحياناً « بالحيل الدفاعية »[1]

أهمية الحيل الدفاعية للانسان :

١ ـــ تساعد الفرد على الاحتفاظ بثقته في نفسه . فأكثر ما يثير قلق الفرد فقدانه للثقة في نفسه أو شعوره بالنقص أو الدونيه .

٢ ـــ تساعد الفرد على تخفيض حدة التوتر والقلق والاضطراب الذي يعانيه من جراء الاحباط أو الفشل الذي ألَّم به .

٣ ـــ كما أنها تسمح بالتنفيس عن نفسه والتخفيف من الضغوط الواقعة عليه ، كما أنها تتيح له مشكلات من أشكال الاشباع لبعض دوافعه المحيطة .

وفيما يلي نستعرض لبعض هذه الحيل اللاشعورية :

١ ـــ التبريـــر Rationalization :

هي عملية دفاعية لا شعورية ، يقصد منها الفرد تقديم تعليلات قد تبدو للعقل منطقية ولكنها ليست في واقع الأمر هي الأسباب الحقيقية . فكثيراً ما نحاول تبرير بعض الأمور الصادرة منا ، والتي تعبر في أساسها عن رغبات مكبوتة . لهذا فإن الفرد عندما يخرج في تصرفاته عن الحد المعقول والمرغوب إجتماعياً فإنه يلجأ إلى هذه الحيلة حتى يبين لنفسه وللناس أن سلوكه مقبول لا غبار عليه ، بمعنى تبرير سلوكه حتى تبدو في نظره ونظر الآخرين معقولة

---

(١) د . مصطفى فهمي : الصحة النفسية دراسات في سيكلوجية التكيف ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ص ٢١٨ .

مثال ذلك التلميذ المتخلف دراسياً الذي يتعذر بأن المعلم غير كفء أو بصعوبة المناهج الدراسية أو بأن الامتحانات كانت غير مطابقة للمقررات الدراسية إلى غير ذلك من الأسباب التي يعلق عليها تبعة فشله .

ويختلف التبرير عن الكذب على أساس أن التبرير عملية لا شعورية لا إرادية بينما الكذب عملية تزييف شعورية إرادية يشوه بها الفرد وجه الحقيقة وهو على علم تام بما يفعل .

هكذا برر المخلفون من الأعراب للرسول ﷺ أسباباً مزيفة تبرر عدم خروجهم معه عام الحديبية ، ولكن الله سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، لذلك قال الله تعالى في حقهم :

﴿ سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً ﴾

(الفتح : ١٠)

٢ ــ الاســـقاط Projection :

هي حيلة عقلية دفاعية لا شعورية يرمي الفرد فيها غيره بصفاته الممقوتة ، فنجده يصف الآخرين بما في داخل نفسه من صفات غير محببة إليه . ولا شك أن لكل إنسان خلة مذمومة أو صفة ممقوتة أو خلق غير كريم ، ولا يرضيه الاعتراف بذلك فيلجأ إلى الاسقاط ، فينسب ما في نفسه من صفات غير مقبولة إجتماعياً إلى غيره من الناس . فكثيراً ما نجد البخيل يصف سلوك الآخرين بالبخل ، والأناني يصف سلوك من يتعامل معهم بالأنانية ، والمنافق يصف سلوك الناس بالرياء ، إلى غير ذلك من الصفات المكروهة بالنسبة للفرد فيعمد إلى إلصاقها بالآخرين ليريح نفسه من تلك الصفات المزمومة . والاسقاط عملية عرفها العرب في الجاهلية مصداقاً للمثل العربي القائل : « رمتني بدائها وانسلت » .

والاسلام لا يقبل بحال من الأحوال هذا اللون من السلوك ، بل يرفضه ويدحضه . فلا يقبل إلا القول الطيب الحسن ، والله سبحانه وتعالى يأمرنا بذلك في قوله عز من قائل :

﴿ ... وقولوا للناس حسناً ... ﴾

(البقرة : ٨٣)

كما أن الله لا يحب الفحش في القول وإيذاء الآخرين باللسان لقوله تعالى :

﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ﴾

(النساء : ١٤٨)

وبالتالي فإن أحق للانسان وأولى به أن يقاوم نفسه وأن يحاسبها ويقومها بدلاً من أن يلجأ إلى مثل هذا الأسلوب الاسقاطي

٣ ـ التقمص Identification :

قد يميل الفرد أحياناً وبطريقة لا شعورية إلى إدماج شخصيته إدماجاً كاملاً في شخصية فرد آخر ، وبذلك ينتحل الفرد لنفسه شخصية من يحب ويعجب به .

والتقمص بذلك عكس الاسقاط فإذا كان الفرد ينسب في الاسقاط صفاته غير المحببة إلى غيره من الناس فإنه في عملية التقمص يتخذ لنفسه بعض ما يجد عند غيره من حميد الخصال . ويجدر بنا أن نوضح الفرق الجوهري بين التقمص والتقليد . فالتقمص عملية لا شعورية يأتي بها الفرد لا إرادياً ، بينما التقليد عملية شعورية بحتة يقوم بها الانسان عن كامل الوعي والادراك .

ولاشك في أهمية المثل والقدوة في بناء الشخصية السوية السليمة . ولدينا والحمد لله المثل الأعلى والقدوة الحسنة في الاقتداء بسيدي رسول الله ﷺ ،

مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾

(الأحزاب : ٢١)

٤ ــ الابدال Substitution :

الابدال نوعان[١] إعلاء Sublimation ، وتعويض Compencation . الاعلاء هو التعبير عن الدوافع التي لا يقبلها المجتمع بوسائل يقرها المجتمع بعاداته وقيمه وتقاليده . فالدافع الجنسي كدافع أولي فطري إلا إن المجتمع الاسلامي لا يقبل إشباعه إلا عن طريق الزواج ، وفي هذا الصدد يقول الرسول ﷺ :

« يا معشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فالصوم له وجاء »[٢]

وفي هذا إعلاء للدافع الجنسي عن طريق الصوم لكل من لم يستطع الباءة .

أما التعويض فهو « الظهور بصفة ما بقصد تغطية صفة أخرى . والصفة الظاهرة هي في العادة صفة طيبة مقبولة عند الشخص . وأما الصفة المستترة فإنها صفة غير مقبولة »[٣] بمعنى محاولة الفرد النجاح في ميدان آخر بعيداً عن المجال الذي سبق أن فشل فيه فالطالب الذي يفشل مثلاً في التفوق الدراسي ، قد يعوض فشله هذا بالتفوق في الأنشطة الرياضية أو الثقافية أو الاجتماعية ، ليحقق من التقدير خارج الفصل مالم يستطيع تحقيقه داخل الفصل . ومن

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٨ .

(٢) رواه الجماعة .

(٣) دكتور عبد العزيز القوصي : أسس الصحة النفسية (مرجع سابق) ص ١٣٨ .

الواضح أن التعويض هنا قد تم في مجال مخالف للميدان الذي فشل فيه سابقاً .

هذا ويتمثل التعويض كظاهرة نفسية ضرورية ، في قول الله عز وجل :

﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ﴾

(النساء : ٩٧)

حيث توبخ الملائكة أولئك المستضعفين في الأرض والذين تتوفاهم حال كونهم ظالمي أنفسهم بالاقامة في دار الشرك وترك الهجرة إلى دار الايمان ، قائلة لهم الملائكة أليست أرض الله واسعة فتهاجروا إلى دار الايمان حيث تقدرون فيها على النجاح في إقامة شعائر دين الله . كما يتمثل التعويض أيضاً في قول الرسول ﷺ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال :

« جاء الفقراء إلي النبي ﷺ فقالوا : ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم المِقيم ؛ يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نَصوم ، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون ، ويجاهدون ويتصدقون . قال : ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من سبقكم ، ولم يدرككم أحد بعدكم ، وكنتم خيراً من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله : تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين »[1]

النكــوص (النكــوس) : Regression

ويقصد بالنكوص الرجوع إلى الماضي ، فإذا اصطدم الفرد بمشكلة يصعب عليه حلها ، فإنه قد يفقد إطمئنانه واتزانه ، فيرجع إلى أسلوب سلوك أولى كان قد اعتاد عليه في طفولته ليحصل بذلك على الطمأنينة . ويلاحظ أحياناً

---

(١) رواه البخاري .

أن بعض الكبار عندما تواجههم مشكلات يصعب عليهم حلها فإنهم قد يواجهونها بالبكاء كالأطفال الصغار .

كذلك إذا شعر الطفل بالغيرة من وليد جديد في الأسرة ، فإنه يعود أحياناً إلى الرجوع إلى الوراء فيقوم بألوان من السلوك الأولي ، كأن يعود مرة أخرى إلى مرحلة الحبو ، أو عدم القدرة على ضبط نفسه في التبول والتبرز ، إلى غير ذلك من ألوان السلوك الأولي . وقد ظهر هذا النوع من النكوص لدى أبناء الأمهات اللاتي يعملن . مما يستوجب ذلك ضرورة رعاية الأم لأبنائها وعدم الابتعاد عنهم لفترات طويلة بقدر الامكان ، طالما أن هذا الابتعاد سوف يؤثر في عدم سوية سلوكيات أطفالهم .

هذا ويتضح لنا مفهوم النكوص على أنه تراجع وتقهقر إلى الوراء من قوله تعالى :

﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ﴾

(الأنفال : ٤٨)

هكذا تراجع الشيطان وولى الأدبار حينما تلاقى الفريقان ، وعاد إلى حجمه الحقير كما يوضح لنا الله سبحانه وتعالى معنى النكوص ، بقوله عز وجل :

﴿ ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون ﴾

(يــس : ٦٨)

أي فمن نطل له في عمره نقلبه في أطوار منتكساً في الخلق فيصير كالطفل .

قد يعاني الفرد أحياناً من الآحباط الشديد ما يعاني ، ومع ذلك لا يستطيع توجيه عدوانه إلى مصدر الأحباط لأسباب يراها هو منطقية . كأن يكون مصدر الاحباط شخص مهم يخشى الفرد مواجهته ، أو لأنه رئيسه في العمل . وهنا يوجه الفرد عدوانه إلى شئ أو شخص آخر غير الذي سبب له الاحباط . ومن أمثلة نقل العدوان الأم مثلاً التي تكسر شيئاً غالي الثمن ، فتوجه كل غضبها إلى طفلها الذي كان يكلمها وقت كسر هذا الشئ الثمين فتتهمه بأنه بكلامه لها حدث ما حدث . وكذلك الموظف الذي حرم علاوة تشجيعية ، فبدلاً من أن يواجه نفسه ليقوم نقاط الضعف فيه ، نجده يوجه عدوانه إلى أفراد آخرين ليس لهم علاقة بموضوع مشكلته .

ويعتبر نقل العدوان هذا أسلوباً ملتوياً للدفاع عن النفس . لذلك يرفض الاسلام ذلك الأسلوب الملتوي في نقل العدوان والله سبحانه وتعالى لا يحب المعتدين لقوله عز وجل :

﴿ ... ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾

(البقرة : ١٩٠)

أي أن الله سبحانه وتعالى لا يحب من ظلم وبدأ بالعدوان . أما رد عدوان فهو مباح ، ولكن إذا عفوتم وتركتم القصاص فهو خير لكم وأفضل عند الله ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾

(النحل : ١٢٦)

الاسـلام وتوجيه الدوافع[1] :

يتضح لنا مما تقدم أن الاسلام لم يترك الدوافع سواء الفطرية أم المكتسبة

---

(١) دكتور فائز محمد على الحاج : بحوث في علم النفس العام (مرجع سابق) ص ١٥٠ — ١٥١ .

بدون تهذيب أوضبط ، بل جمعها تحت لواء عاطفة كريمة هي التدين والخشوع والخضوع لطاعة الله سبحانه وتعالى . فقد أعد الاسلام للعبد المؤمن أجراً وثواباً كبيراً جزاء تهذيبه لدوافعه وإشباعها بالطرق الشرعية السوية التي ترضي الله تعالى ورسوله الكريم . حتى أن الدوافع الفطرية الأولية الموروثة فقد هذبها الاسلام وشرع لها المنهج الصحيح لاشباعها . فليس هناك أقوى من دافع الجوع ومع ذلك فقد شرع الاسلام إشباع هذا الدافع عن طريق الحلال لا الحرام ، ومن ثم فقد حث الإسلام على العمل والكسب من عمل اليد لقوله تعالى :

﴿ ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ﴾

(يس : ٣٥)

وعن الرسول ﷺ قال :

« إن أشرف الكسب ، كسب الرجل من يده »[١]

كما هذب الاسلام أيضاً الدافع الجنسي فأوصى بالزواج من المؤمن أو المؤمنة وليس من المشرك أو المشركة لقوله تعالى :

﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ﴾

(البقرة : ٢٢١)

ومن لم يستطع الباءة سن له الاسلام الصوم كوسيلة للاعلاء بالدافع الجنسي .

---

(١) رواه أحمـــد .

وكذلك كان الرسول ﷺ له أسلوبه التربوي في تعديل الدوافع من فردية دنياوية إلى دوافع سامية خالصة لوجه الله تعالى . فقد وجد الرسول ﷺ سراقة ابن مالك يهوى المال ويحبه فاستغل عنده هذا الدافع وبين له ما سوف يصل إليه الاسلام من عز ومجد وغنى ، ووعده بأنه سيلبس سواري كسرى . ومضت السنوات ونادى عمر بن الخطاب سراقة ليحقق له نبوءة رسول الله ﷺ ، وهكذا تعدل وتحول حب سراقة للمال إلى حب الله سبحانه وتعالى خالق المال ومصرفه في أيدي العباد .

هكذا يعمل الاسلام على تهذيب دوافع الانسان ليستقيم حاله ومن ثم يستقيم حال المجتمع بأسره .

الفصل السادس

الانفعـالات والعواطـف

أولاً : الانفعـالات

﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليماً ﴾

(الفتح : ٢٦)

- مقـدمـــة .
- تعريف الانفعال .
- التغيرات المصاحبة للانفعال .
- طـرق تعلـم الانفعـالات .
- أمثلة لبعض الانفعـالات .
- إنفعـال الغضـــب .
- إنفعـال الخـــوف .
- إنفعـال الحســـد .

الانفعـــالات

Emotions

مقـدمـــة :

الانفعال ضرب من السلوك الخارجي ، من المحال أن يخطئه الملاحظ لِمَ ينجم عن الانفعال من تغيرات في ملامح الوجه والحركات والتعبيرات اللغوية . فالانفعال حالة بارزة تسهل ملاحظته لأنه يعقب حالة من الهدوء والاتزان والسكون ، وتكون فيه ملامح الوجه منسجمة والحركات عادية والتفكير هادئ . هذا يعني أن الانفعال دليل واضح على التوافق والتكيف الذي كان قائماً بين الفرد وبيئته قبل حدوث الانفعال الذي يخل ميزان التوافق للفرد . وانفعالات مثل الغضب أو الخوف أو الحزن أو الفرح كلها إنفعالات مرت بخبراتنا ، وإن كان ملاحظاتها تكون أوضح عند حدوثها للآخرين .

تعريـف الانفعــال :

« الانفعال تغير مفاجئ يشمل الفرد كله نفساً وجسماً »[1] وعلى ذلك فإن الانفعال يؤثر في الانسان ككل ، فيؤثر في سلوكه الخارجي كما يؤثر أيضاً في تكويناته الفسيولوجية الداخلية . وعلى ذلك فالانفعال كحالة وجدانية تتسم بسمات ثلاث[2] :

١ ـــ فهو حالة قوية مصحوبة باضطرابات فسيولوجية حشوية بارزة تغشى

(١) دكتور عبد الله عبد الحي موسى : المدخل إلى علم النفس (مرجع سابق) ص ٢٨٢ .

(٢) دكتور أحمد عزت راجح : أصول علم النفس (مرجع سابق) ض ١٥٣ .

أجهزة التنفس والدورة الدموية والهضم والجهاز العضلي والجهاز الغدي الهرموني .

٢ ــ وهو حالة تبدو على الفرد بصورة مفاجئة ، أي بصورة لا تتيح له الفرصة على الاحتفاظ بتوازنه وتكيفه .

٣ ــ كما تتخذ صورة أزمة عابرة طارئة فلا تبقى وقتاً طويلاً .

التغيرات المصاحبة للانفعال :

أولاً ــ التغيرات الفسيولوجية :

أجريت عدة بحوث في هذا المجال منها بحث أجراه دولارد[1] Dollard في الحرب العالمية الثانية لدراسة المظاهر المصاحبة للخوف بين الجنود أثناء القتال . والجدول التالي يوضح بعض الأعراض التي بدت على الجنود كما يبين أيضاً النسبة المئوية لتكرار بكل من هذه الأعراض :

جدول (١)

الأعراض	النسبة المئوية
خفقان القلب وسرعة النبض	٦٩
الشعور بالتوتر	٤٥
الشعور بالهبوط	٤٤
جفاف الفم والحلق	٣٣
القشعريرة	٢٥
عرق راحة اليد	٢٢

(١) ادكتور مختار حمزة : مبادئ علم النفس (مرجع سابق) ص ١٠٠ ــ ١٠١ .

كما قام مجموعة من علماء النفس بدراسة التغيرات المختلفة التي تطرأ على الانسان في حالات الانفعال الشديد فلاحظوا حدوث التغيرات التالية[1] :

١ ــ إستجابة الجلد للتوصيل الكهربائي :

عندما ينفعل الانسان يزداد إفراز جسمه للعرق ، بما يقلل من مقاومة الجلد للتيار الكهربي وبالتالي تزداد قوة التيار الكهربي . ويمكن معرفة ذلك باستخدام الجلفانومتر ، وهو جهاز يقيس قوة التيار الكهربائي .

٢ ــ ضغط الدم :

عندما يمر الانسان بحالة إنفعالية شديدة يحدث تغير في ضغط الدم وفي توزيعه على سطح الجسم . ومن الأمور المألوفة إحمرار الوجه في حالات الغضب والخجل والارتباك . ويأتي على النقيض من ذلك شحوب الوجه في حالات الخوف .

٣ ــ تركيب الدم :

أثبتت التحاليل الكيميائية وجود تغيرات تطرأ على تكوين الدم . ومن الأمثلة على ذلك حدوث تغير في كمية السكر الموجود بالدم ، وكذلك تغير كمية الادرينالين وهو الهرمون الذي تفرزه الغدة الادرينالية ويعتبر عامل هام في إحداث التهيج الانفعالي .

٤ ــ ضربات القلب :

فلقد أصبح خفقان القلب في الحالات الانفعالية أمراً مألوفاً لدرجة

---

(١) عبد الرحمن صالح عبد الله : مطالعات في علم النفس (مرجع سابق) ، ص ١٨٧ ــ ١٨٩ .

أن القلب أصبح رمزاً للانفعال .

٥ ــ التنفــس :

تعتبر سرعة التنفس وعمقه وكذلك الوقت النسبي الذي يستغرقه الشهيق مع الزفير مؤشرات مفيدة خاصة في حالات الانفعال . فاللهاث والتنهد أمثلة واضحة على التنفس المغاير تماماً للتنفس العادي .

٦ ــ إستجابة إنسان العين (البؤبؤ) :

يميل إلى الاتساع في حالات الغضب . كما أنه يميل إلى التقلص عندما يكون الفرد هادئاً .

٧ ــ الافــرازات اللعابيــة :

تتوقف الغدد اللعابية عن الافراز أثناء الاستجابات الانفعالية مما يؤدي إلى جفاف الفم ، كما يحدث في حالات الخوف .

٨ ــ وقــوف الشــعر :

ويحدث هذا عادة عندما يمر الفرد بمواقف إنفعالية مروعة

٩ ــ المعــدة والأمعــاء :

تتأثر حركة المعدة والأمعاء بالحالات الانفعالية الشديدة التي يمر بها الفرد . وقد يتسبب التهيج الانفعالي في الغثيان أو الاسهال . كما أن الحالات الانفعالية قد تكون أحياناً مسئولة عن القرحة التي قد يصاب بها بعض الأفراد عندما يعملون في ظل ظروف بالغة التوتر .

١٠ ــ التوتر العضلي والارتجاف :

التوتر العضلي والارتجاف مظهران من مظاهر الانفعال .

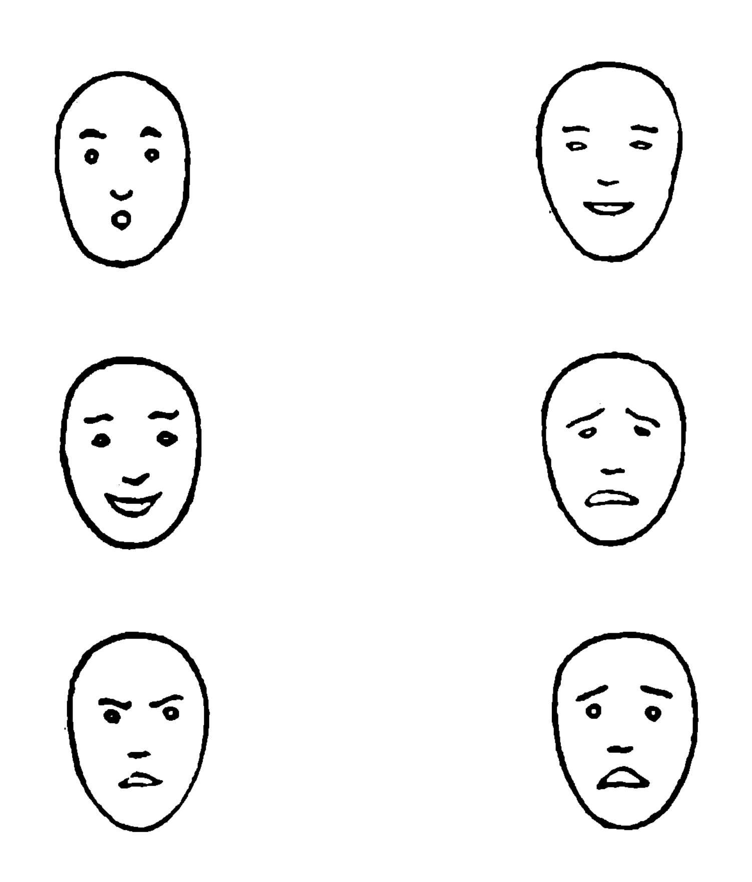
ثانياً ــ التغيرات السلوكية :

في الواقع لم يستطع علماء النفس التمييز بين الانفعالات المختلفة التي قد تحدث للفرد مثل الخوف والغضب والدهشة والاشمئزاز إلى غير ذلك من الصور المختلفة للانفعال بالاعتماد على التغيرات الفسيولوجية وحدها . لأن تلك التغيرات الفسيولوجية تتميز بثبات عال بين تلك الحالات الانفعالية المختلفة ، ومن ثم يصعب الاستناد إلى التغيرات الفسيولوجية كوسيلة للتمييز بين الاستجابات الانفعالية المتعددة

فقد يكون تعبيرات الوجه من أهم المظاهر السلوكية البارزة في التعبير الصادق عن مختلف الاستجابات الانفعالية . فعن طريق تعبيرات الوجه نستطيع أن نتعرف على مدى إنفعال الفرد ، وكذلك نوع هذا الانفعال من التعبيرات التي ترتسم على الوجه . هذا ويوضح الشكل التالي[٧] التعبيرات المختلفة للوجه أثناء الاستجابات الانفعالية المختلفة .

ومما هو جدير بالذكر أن تعبيرات الوجه ليست فقط هي المظهر الوحيد التي توضح الحالة الانفعالية التي يمر بها الفرد ، بل إن كلام الفرد وتعبيراته اللفظية ونبرات صوته تعتبر كذلك من مظاهر الاستجابة الانفعالية .

وهناك جانب ثالث من التغيرات المصاحبة للانفعال بجانب التغيرات الفسيولوجية والسلوكية ألا وهو الجانب الشعوري .



شكل (٧) ملامح الوجه عند بعض الانفعالات

٣ ـ الجانب الشعوري كمتغير للانفعال :

هذا الجانب يختلف بين إنفعال إلى آخر تبعاً لكيفية وكمية هذا الانفعال . كذلك يختص هذا الجانب بالناحية الذاتية الشعورية الذي يحس بها صاحب الانفعال . فالفرد الذي يمر بحالة غضب قد يشعر بحمو في قلبه وغليان في دمه وبروز عينيه إلى غير ذلك من النواحي الشعورية التي يحسها الفرد وهو بصدد الحالة الانفعالية .

الانفعال وأثره في بعض الظواهر السلوكية :

الانفعال وأثره في الدافع :

هناك صلة وثيقة بين الانفعال والدافع . فمن الملاحظ أن مختلف الدوافع تصاحبها إنفعالات معينة مميزة لكل دافع على حدة ، فالدافع إلى الطعام مثلاً يقترن بانفعال الجوع ، والدافع إلى الأمن يقترن بانفعال الخوف ، والدافع الجنسي يقترن بانفعال الشهوة .. هكذا يكون لكل دافع إنفعال خاص به ، وبدون هذا الانفعال يكون الدافع خامداً لا أثر له .. وكأن الانفعال هو القوة المحركة للدافع ، فيتولد الدافع كنتيجة مباشرة للانفعال .

الانفعال وأثره في العمليات العقلية :

الانفعالات الشديدة تؤثر تأثيراً بالغ الضرر على مختلف الوظائف والعمليات العقلية للفرد كالادراك والتذكر والتفكير ، يتضح ذلك فيما يلي :

١ ـ **الانفعال والادراك** : الانفعال الشديد يشوه الادراك مما يجعل الفرد الذي يمر بحالة إنفعالية شديدة لا يكون موضوعياً ولا منطقياً في حكمه على الآخرين ، فلا يرى إلا عيوب خصمه ولا يسمع من كلامه إلا إهانات موجهة إليه .

٢ ـ **الانفعال والتذكر** : وهذا يبدو بجلاء في نسيان التلميذ مقطوعة الأناشيد التي قد حفظها عندما يطلب إليه المعلم مراجعة تلك القصيدة . وكلنا يعرف أن بعض الطلاب يعجزون عن تذكر الأجوبة الصحيحة لشدة إنفعالهم من رهبة الامتحان ، والعجيب أنهم يتذكرونها بعد خروجهم من الامتحان .

٣ ـ **الانفعال والتفكير** : فالانفعال الشديد يقتل التفكير الهادئ المنظم ،

ذلك لأن الانفعال الشديد يعمي الفرد عن رؤية كثير من الحقائق الواضحة أمام عينيه ، ولكنه يغفل عينه عنها بسبب هذا الانفعال الشديد .

الانفعال وعلاقته بالأمراض النفسية :

قد يصاب الفرد بصدمة إنفعالية شديدة لوقوع خسارة مالية فادحة ، أو موت عزيز أو فقدان مركز إجتماعي مرموق ، وما شابه ذلك من الصدمات الانفعالية التي تعد من أهم الأسباب التي قد تصيب الفرد بالانهيار « العصبي أو العقلي »[1] . لأن الانفعال الهائج الذي يصيب الفرد لابد له من مخرج يظهر في صورة أمراض جسمية غير عضوية (نفسية) .

وقد دلت البحوث التي أجريت على عدد كبير من المصابين بضغط الدم ، على أنهم يعانون من أزمات إنفعالية عنيفة قوامها الحقد والغل والحسد ، وأنهم لم يجدوا مخرجاً أو متنفساً يخفف ما لديهم من توتر واضطراب . كالفرد الذي لا يستطيع الهرب في حالة الخوف ، أو الدفاع في حالة الغضب . هذه من الأسباب المثيرة للانفعال والذي يؤدي في آخر الأمر إلى بعض الأمراض المزمنة كارتفاع ضغط الدم أو الربو أو قرحة المعدة إلى غير ذلك من الأمراض الجسمية النفسية المنشأ والتي تعرف بالأمراض السيكوسوماتية .

وخلاصة القول إذا لم تمكن انفعالاتنا من التعبير الظاهر عن نفسها بصورة مناسبة لتولت أجسامنا التعبير عنها ظاهرياً في صورة الأمراض النفسية .

طرق تعلم الانفعالات :

هناك ثلاث طرق يتم عن طريقها تعلم الاستجابات الانفعالية وهي :

---

(١) دكتور أحمد عزت راجح : أصول علم النفس (مرجع سابق) ص ١٦٧ .

١ ـ التقليد :

يلجأ معظم الأطفال إلى تقليد السلوك وخصوصاً الوالدين والأخوة والأخوات وكذلك الأفراد المحيطين بهم . فعن طريق المحاكاة يتعلم الأطفال بسرعة الحالات الانفعالية البادية على المحيطين بهم . فمثلا عندما تعاقب الأم أحد أبنائها الكبار لاتيانه بسلوك غير مرغوب أو مقبول منه ، فنلاحظ أن الطفل الصغير ينظر إلى أخيه ويشير إليه في غضب ويأتي بنفس الكلمات ونبرة الصوت . وبالتالي يتعلم الطفل عن طريق المحاكاة الاستجابات الانفعالية .

٢ ـ الاقتران الشرطي :

وتقوم هذه الطريقة على نظرية الاشتراط البسيط[١] Simple Conditioning التي قال بها العالم الروسي إيفان بافلوف وأساس هذه الطريقة هو اقتران ظهور مثير شرطي « محايد » مع مثير آخر طبيعي لديه بالفعل قوة استدعاء الاستجابة الانفعالية الطبيعية وبتكرار ظهور المثير الشرطي المحايد مع المثير الطبيعي ، يكتسب المثير الشرطي صفة المثير الطبيعي في استدعاء نفس الاستجابة .

ولتوضيح هذه الطريقة الشرطية في تعلم الانفعالات ، قام كل من « واطسن » و « راينر »[٢] بالتجربة التالية :

فقد أجلسا طفلاً على منضدة ووضعا أمامه فأراً أبيضاً . ولم يبد الطفل أي خوف حيال هذا الفأر وأخذ يهم بمسكه ، وفي تلك اللحظة أحدثا صوتاً عالياً بدرجة تكفي الطفل إلى حد الصياح . ثم أخذا في تقديم الفأر مقروناً بتلك الصوت العالي ، وبعد مرات قليلة أبدى الطفل عدم رغبته تماماً في الاقتراب من الفأر مرة أخرى . بل لوحظ أن هذا الطفل بدأ يخاف من بعض الحيوانات

---

(١) د . أحمد زكي صالح : علم النفس التربوي (مرجع سابق) ص ٣٩٦

(٢) د . طلعت منصور وآخرين : أسس علم النفس العام (مرجع سابق) ص ١٥٢ .

الأخرى المشابهة مثل الأرانب والقطط والكلاب ، كنوع من التعميم على المثيرات المشابهة .

٣ ــ الفهـــم :

إن معرفة وفهم ما قد يترتب على موقف معين من نتائج قد تكفي لاستدعاء الاستجابة الانفعالية . فالخوف من أسلاك التيار الكهربي قد يكون بناء على الفهم العاقل وإدراك لخطورتها رغم عدم تعرض الفرد لخبرة سابقة مؤلمة في هذا المجال . وهكذا يكتسب الفرد بعض الاستجابات الانفعالية كنتيجة للفهم العاقل للنتائج والمترتبات .

وفيما يلي سوف نتناول بعض أنواع الانفعالات التي قد نمر بها في حياتنا اليومية .

انفعـال الغضـب

الغضب حالة نفسية يشعر بها كل إنسان ، الصغير والكبير ، ولكن هناك فروقاً واضحة بين الأفراد ، « فالمريض أسرع غضباً من الصحيح ، والمرأة أسرع غضباً من الرجل ، والصبي أسرع غضباً من الرجل الكبير ، والشيخ الضعيف أسرع غضباً من الكهل ، وذو الخلق السيئ والرذائل القبيحة أسرع غضباً من صاحب الفضائل »[1] . كما تختلف أيضاً أساليب التعبير عن الغضب من فرد إلى آخر اختلافات واضحاً ، فالطفل يختلف عن الرجل ويختلف عن المرأة من حيث وسيلة التعبير عن الغضب . هذا فضلاً عن أن المواقف المثيرة للغضب تختلف من فرد إلى آخر . كما تختلف في شدتها اختلافات بينه .

---

(١) الامام الغزالي : إحياء علوم الدين ، بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ، الجزء الثالث ، ص ١٧٢ .

ونظراً لفطرية إنفعال الغضب فإنه يخضع غالباً لقوانين الوراثة ، ولكن لأنه صفة نفسية ، فإنه يخضع في نفس الوقت لأثر العوامل البيئية كالتقاليد والعادات والمثل والمعاملة ودرجة حرارة الجو ونوع التغذية وإلى ذلك من العوامل البيئية .

وفي تعريف الغضب يقول الامام الغزالي :

« الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ، وأنها لمستكنة في طي الفؤاد »[1] .

وفي بيان ذم الغضب يقول تعالى :

﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين .... ﴾

(الفتح : ٢٦)

في هذه الآية الكريمة ذم للكفار بما تظاهروا به من الحميه الصادرة عن الغضب عن باطل ، ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة . ولاشك أن الافراط في الغضب يخرج الانسان عن العقل والحكمة والدين ، ولا يبقى للانسان بصيرة وإدراك وفكر وحسن تصرف ، فيغلب عليه إنفعال الغضب الذي هو قوة في النفس الامارة بالسوء ، فينزع الانسان إلى الانتقام والتشفي ، فمهما وعظ لا يسمع ولا يدرك لأنه عمى عن كل نصح وموعظة وتسوّد الدنيا أمامه ، فلا يستطيع أن يراجع نفسه ، فيسلك مسلك الحيوان الهائج . وصدق النبي ﷺ حيث يقول : « إن الغضب جمرة توقد في القلب »[2] وفي ذم الغضب يقول ﷺ : « الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل »[3] ، وعن

---

(١) الامام الغزالي : إحياء علوم الدين (مرجع سابق) الجزء الرابع ، ص ١٦٤ .

(٢) أخرجه الترمذي .

(٣) أخرجه الطبراني .

ابن مسعود قال : قال النبي ﷺ : « ما تعدون الصرعة منكم » قلنا : الذي لا تصرعه الرجال ، قال : « ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب »[1] .

وللغضب جانبان أحدهما إيجابي والآخر سلبي ، فالمؤمن يغضب لنصرة دين الله تعالى ، كما يغضب حينما يخرق حد من حدود الله ، فهذا الغضب محمود من قبل الله تعالى . أما الغضب السلبي فهو الغضب من أجل إشباع شهوات وملزات النفس البشرية والتي تولد في قلب الانسان الحقد والغل والحسد وإضمار السوء والشماتة إلى غير ذلك من ألوان السلوك اللا سوي ، لذا فإن هذا النوع من الغضب مذموم وغير مقبول على الاطلاق .

علاج الغضب :

قد يكون من الصعب استئصال إنفعال الغضب لأنه لازمة ضرورية لكل إنسان . ولكن عن طريق الرياضة النفسية يضعف الغضب ويخفف من هيجان الغاضب . وفي هذا الشأن أمر الرسول ﷺ أن يقال[2] : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » عند الغيظ . كما أوصى النبي ﷺ بالتوضوء عند الاحساس بالغضب لقوله ﷺ : « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فإنما الغضب من النار »[3] . وعنه ﷺ أنه قال : « وإذا غضبت فاسكت »[4] ، لأن في السكوت كسر حدة وشوكة الغضب . وقال أبو هريرة : كان رسول الله ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه[5]

---

(١) رواه مسلم .

(٢) متفق عليه .

(٣) أخرجه أبو داود .

(٤) أخرجه أحمد .

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا .

وبذلك يستطيع الفرد معالجة الغضب في يسر وسهولة وحكمة بالغة فيذهب عنه الغضب ولا يعود إليه بأمر الله تعالى . وفي بيان فضيلة كظم الغيظ والعفو والحلم والتسامح يقول عز من قائل :

﴿ ... الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾

(آل عمران : ١٣٤)

وقوله تعالى :

﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾

(الأعراف : ١٩٩)

وقوله عز من قائل :

﴿ ... وإن الساعة لأتية فاصفح الصفح الجميل ﴾

(الحجر : ٨٥)

وقوله تعالى :

﴿ ... وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾

(النور : ٢٢)

وعن الرسول ﷺ أنه قال : « ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد إلا ملأ الله قلبه إيماناً »[١] . وعنه أنه قال : « من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق ويخيره من أي الحور شاء »[٢] .

وهكذا هذب الاسلام من إنفعال الغضب الذي قد يخرج بالفرد عن العقل والحكمة والدين .

---

(١) حديث ابن عباس .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا .

الغضب عند الأطفال :

إن إنفعال الغضب أكثر شيوعاً في حياة الأطفال الصغار من إنفعال الخوف ، وذلك لأن المواقف التي قد تثير غضبهم أكثر من تلك التي تثير خوفهم . فضلاً عن أن الغضب مرغوب بالنسبة للطفل ، نظراً لمميزاته العديدة ، ومن ثم يلجأ إليه الطفل كوسيلة لتحقيق ما يريد . وفيما يلي عرض لأهم أسباب الغضب .

أسباب الغضب عند الأطفال :

١ ــ قد يكون الغضب عند الأطفال صورة من الغضب عند الآباء . قد تحدث هذه الصورة إما عن طريق التقليد أو كرد فعل على غضب الوالدين .

٢ ــ كثرة مشاجرات الوالدين مما يهز ثقة الطفل بالجو المنزلي وبذلك يصبح غاضباً ناقماً على هذا الجو المنزلي ، وقد تنتقل معه هذه النقمة إلى الجو الخارجي في علاقاته بالمجتمع عامة .

٣ ــ حالة الطفل الجسمية قد تساعده على سرعة تهيجه وتعرضه بسهولة لنوبات الغضب ، مثل مختلف التهديدات الجسمية التي تضر به فتجعله في حالة توثب واستعداد للغضب .

٤ ــ مشاجرات الأخوة والأخوات التي قد تحدث أحياناً في الأسرة كأن يقوم أخ بتعيير أخيه أو أخته ، أو حصول أحد الأخوة في الأسرة على إمتياز معين دون غيره ، أو فرض الأخ الكبير سيطرته وقيادته لأخوته الأصغر منه ، إلى غير ذلك من الأسباب التي تبعث على الغضب .

٥ ــ الاعتداء على الممتلكات الخاصة للطفل . فالطفل قد يتشاجر مع أخيه أو زميله إذا عبث في كتبه أو أدواته أو حتى بملابسه .

لذلك يوصي علماء التربية وعلم النفس مراعاة ما يأتي :[1]

١ ــ لا يجوز الاكثار من التدخل في أعمال الأطفال ، أو تحديد حركتهم ، أو إرغامهم على الطاعة لمجرد الطاعة ، وإنما يكون التدخل بقصد الاصلاح والتوجيه .

٢ ــ لا يجوز إظهار الأطفال بمظهر العجز أو الاستهزاء بهم ، والسخرية منهم ، أو إذلالهم أو تخويفهم بقصد تهدئتهم . فالسماح لهم بالتعبير عن إنفعالاتهم أمر صحي .

٣ ــ لا يجوز اغتصاب ممتلكات الأطفال ، أو تخريب أدواتهم خصوصاً وهم في ساعة الغضب .

٤ ــ لا يجوز الظهور أمام الأطفال بمظهر الغضب ، ولا بمظهر الاهمال لهم ، وعدم الاهتمام بهم .

٥ ــ لا يصح أن يسمح للطفل أن يحصل على ما يريده عن طريق الصراخ ، ولا يجوز محايلته أو تدليله في هذه الحالة .

٦ ــ يحسن عدم توجيه الانتباه للطفل إذا قام بثورة غضب لسبب غير معقول .

٧ ــ يجب أن نضبط أنفسنا قدر الامكان أمام الأطفال ، بل يجب أن يتعود الآباء الانشراح لاسيما عند عودتهم من العمل .

٨ ــ لا يجوز إستثارة الأطفال لتسلية أنفسنا ، كما لا يجوز إثارة غضبهم بمنع إمتياز معين دون مبرر .

٩ ــ لا يجوز مناقشة سلوك الطفل مع غيره على مسمع منه .

١٠ــ لا يجوز إثارة الغيرة بين الأطفال ، ولا يجوز أيضاً الاكثار من الموازنات العلنية بينهم ولا خلق جو يشعرهم بالتفريق بينهم .

---

(١) د . عبد العزيز القوصي : أسس الصحة النفسية (مرجع سابق) ص ٣٨٣ ــ ٣٨٥

١١ــ يجب أن يكون الطفل مشغولاً في وقت فراغه بنشاط منتج ، بقصد استغلال وقت الفراغ إستغلالاً حسناً .

١٢ــ يجب أن يكون جو المنزل جو عطف وهدوء وتقدير وعدل وثبات في المعاملة .

١٣ــ يجب أن يوجه نشاط الناشئ لخدمة المجموعة التي ينتمي إليها وللنواحي الخلقية والدينية .

١٤ــ وأخيراً يجب على الآباء والمربين أن يتريثوا قليلاً ، فلا يقابلوا غضباً بغضب ، إذ يحتمل أن يكونوا هم أنفسهم مصدر المشكلة كلها .

إنفعـــال الخـــوف

يقرر الامام الغزالي[1] « إن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال » . ثم تفيض أثر الحرقة من القلب على البدن والجوارح وعلى الصفات . وفيما يلي نتناول آثار الخوف على كل من[2] :

١ ــ **البــدن** : يظهر آثار الخوف على البدن بالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء ، وقد تنشق به الحرارة فيفضي إلى الموت ، أو يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل ، أو يقوى فيورث القنوط واليأس .

٢ ــ **الجــوارح** : أما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافياً لما فرط ، واستعداداً للمستقبل ، لذلك يقال ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه .

٣ ــ **الصفــات** : وأما آثار الخوف في الصفات فبأن يقمع الفرد الشهوات

---

(١) الامام الغزالي : إحياء علوم الدين (مرجع سابق) الجزء الرابع ، ص ١٥٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبه عنده مكروهة . كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سماً .

وفي بيان فضيلة الخوف يقول تعالى :

﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾

(الرحمن : ٤٦)

وقوله عز من قائل :

﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوي * فإن الجنة هي المأوى ﴾
(النازعات : ٤٠ — ٤١)

فالله سبحانه وتعالى يكافئ العبد الذي يخاف قيامه بين يديه للحساب بالجنة ونعيمها . لذلك فقد جعل الله الورع والتقوى مخصوصاً للخائفين من حساب الله يوم القيامة لقوله عز وجل :

﴿ سيذكر من يخشى ﴾

(الأعلى : ١٠)

وعن النبي ﷺ أنه قال : « رأس الحكمة مخافة الله » .

ويذكر الامام الغزالي فضيلة الخوف بقوله :

« فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ، ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ، ويفارقه الكبر والحقد والحسد ، بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالأنفاس واللحظات ومؤاخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات »[1]

---

(١) المرجع السابق ص : ١٥٦ .

مخـاوف الأطفـال :

هناك نوعان من مخاوف الأطفال ، مخاوف حسية وأخرى غير حسية .

١ ــ **مخاوف حسية** : والتي يمكن للطفل إدراكها بحواسه المختلفة مثل الخوف من شخصية معينة (الشحاذ مثلاً أو رجل الشرطة أو الحرامي إلى غير ذلك) ، أو خوفه من بعض الحيوانات (كالفأر مثلاً أو القط أو الكلب إلى غير ذلك) .

٢ ــ **مخاوف غير حسية** : في هذا النوع من المخاوف لا يمكن للطفل إدراك حقيقتها ، كخوف الطفل مثلاً من الموت أو العفاريت أو الظلام أو الوحدة إلى غير ذلك من المخاوف الغير حسية .

مصادر تكوين الخوف لدى الأطفال :

١ ــ قد يكتشف بعض الآباء أو المربين خوف أطفالهم من أمر معين كخوفهم من القطط مثلاً ، فيستغلون ذلك إما للتسلية ، (فخوف الطفل من القطط قد يكون مثاراً لضحك الوالدين أو الأخوة الكبار) ، ويكون ذلك بالطبع على حساب تألم الأطفال وإنزعاجهم . وإما يستغلونه لتخويف الطفل وإرغامه للقيام بعمل معين أو إكراهه على الاحجام عن عمل معين . ولاشك أن لهذه المواقف آثارها السيئة على تكوين شخصية الطفل بل وفي سلوكه بوجه عام .

٢ ــ كما أن تشاجر الوالدين وكثرة صخب الأب وغضبه المستمر له تأثيره السيئ لأنه قد يزعزع ثقة الطفل بوالديه وبالتالي تظهر عليه حالات الاضطراب العصبي في الكبر .

٣ ــ وقد ينتقل الخوف من الكبار إلى الصغار عن طريق الايحاء والمشاركة الوجدانية ، حيث أن عالم الأطفال عالم رقيق الحس سريع التأثر ، شديد الانفعال ، قليل الادراك ، نادر الخبرة ، ضئيل الحيلة .

علاج الخوف لدى الأطفال :

١ ــ حينما يدرك الوالدان أن أحد أطفالهم يخاف من شئ معين فعليهم ألا يقابلوا ذلك بالسخرية أو الاستهزاء ، بل عليهم محاولة توضيح ذلك الأمر على حقيقته ، ومحاولة تكوين عاطفة طيبة نحو هذا الشئ المخيف .

٢ ــ كما لا يجب على الوالدين أو المربين كثرة إستثارة إنفعال الخوف لدى الأطفال عن طريق إكراههم على فعل معين أو إحجامهم عن أمر معين .

٣ ــ كما يجب ألا يتشاجر الآباء أو يظهر الأب غضبه أمام الأطفال لأن ذلك يثير فيهم إنفعال الخوف .

٤ ــ لاشك أن إيحاء السلوك أقوى من إيحاء الألفاظ ، وطالما أن الخوف قد ينتقل إلى الصغار عن طريق الايحاء أو التقليد ، لذلك وجب على الكبار ألا يظهروا أمام الصغار أي نوع من أنواع المخاوف .

إنفعـــال الحســـــد

قال بعض السلف : « أو خطيئة هي الحسد ، حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله على الحسد والمعصية »[1] .
والحسد من نتائج الحقد ، والحقد من نتائج الغضب لذلك فإن الحسد من الأمراض الخطيرة للقلوب . وغاية الحاسد أن يزول عن غيره ما لديه من نعمة هي من فضل الله عليه ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾

(النساء : ٥٤)

(١) الامام الغزالي : إحياء علوم الدين (مرجع سابق) المجلد الثالث ، ص ١٨٨ .

والحاسد تسؤه استمرار نعم الله تعالى على الغير ، كما يشمت ويفرح عند زوال النعمة من غيره لقوله عز وجل :

﴿ ان تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ﴾

(آل عمران : ١٢٠)

وعن النبي ﷺ أنه قال في ذم الحسد : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »[١] .

فالحسد لا شك آفة تقضي على ما في القلب من حب وود وقيم ومثل فتؤدي بالحاسد إلى الجنوح عن الرشد والصواب فيتطاول بالأذى على صاحب النعمة ، كما فعل أخوة يوسف عليه السلام به ، لقوله عز من قائل :

﴿ إذ قالوا لَيوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين * أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين ﴾

(يوسف : ٨ : ٩)

ذلك هو الجانب السلبي والمذموم من الحسد الذي هو نتاج الحقد والبغضاء والكبر .

وهناك جانب آخر للحسد وهو الجانب الايجابي المرادف للمنافسة الشريفة الحقة ، كالمنافسة على حب الله تعالى وحب التقرب إليه بالطاعة وفعل الخير والبر والأعمال الصالحة والاكثار من النوافل من صلاة وصوم وتصدق تقرباً إلى الله تعالى وفي هذا يقول عز وجل :

﴿ ... وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾

(المطففين : ٢٦)

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس .

وهنا يكون الحسد محموداً ممدوحاً طالما أنه في حب الله وطاعته عز وجل .

الغيرة عند الأطفال :

لاشك أن الاستعداد للغيرة والحسد ينشأ في سني الطفولة الأولى ويظهر في حياة صغار الأطفال في خلال سنواتهم الخمس الأولى عن طريق :

١ ـ إستحواذ مولود جديد في الأسرة على كل العطف والحب والاهتمام قد يترتب عليه فقدان الطفل الأكبر ثقته في بيئته ولا سيما فقدان ثقته في أمه بل وفي نفسه تبعاً لذلك . حيث يشعر بأنه غير مرغوب فيه وبذلك يبدأ شعوره بالحقد والكراهية لبيئته مما قد يجعله يقدم على الانتقام لنفسه .

٢ ـ كلما زادت الامتيازات التي تعطى لطفل ما دون الآخرين ، كلما زاد الحقد والميل إلى الانتقام .

٣ ـ كما يحدث الحقد والحسد كذلك من الموازنة الصريحة بين الأطفال بتفضيل طفل على آخر ، وتؤدي هذه الموازنات سواء في المنزل أو المدرسة إلى الاشعار بالنقص والدونية وإضعاف الثقة بالنفس .

وخلاصة القول أن الحسد أو الغيرة شعور مؤلم يجعل صاحبه قلقاً ، ناقماً ، حاقداً ، حاسداً ، متعباً لا يستريح لنجاح غيره ، ولا يرتاح بالثناء على الآخرين ، ولا يميل إلى التعاون مع من حوله ، مما يجعله يشب أنانياً يهتم بحقوقه أكثر مما يلتفت لواجباته .

وحتى لا يستفحل الحقد والحسد بقلوب أطفالنا نوصي بمراعاة الآتي :

١ ـ في حالة استقبال مولود جديد في الأسرة يجب تهيئة عقل الطفل إلى حادث الولادة كما يجب فطامه فطاماً وجدانياً تدريجياً بقدر الامكان فلا تتحول فجأة الامتيازات التي كان ينعم بها إلى المولود الجديد .

٢ ــ يجب على الوالدين المساواة بين الأبناء في الحقوق والواجبات حتى يحس الأبناء بعدالة الوالدين في معاملتهم . فلا يصح أن يغدق الوالدين الحب والحنان والاهتمام الزائد على طفل معين دون الآخرين ، لأن ذلك يولد في نفوسهم الحقد والغل والضغينة من الصغر ، مما قد يحفزهم على الانتقام ، ولنا في قصة سيدنا يوسف عليه السلام العبرة والعظة .

٣ ــ كما يجب على الوالدين والمربين أن يقلعوا عن الموازنات الصريحة ، بل يجب اعتبار كل طفل بشخصيته المستقلة بما لها من قدرات واستعدادات خاصة ، مما يزيل الشعور بالحقد والحسد والضغينة بين الأطفال .

ثانياً : العواطـــف

Sentiments

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم .... ﴾

(الفتح : ٢٩)

- مقدمـــة .
- تعريـف العواطـــف .
- تكويـن العواطـــف .
- أهميـة العواطـــف .
- أنـواع العواطـــف .
- الاسـلام والعاطفـة .

العواطف

مقدمة :

ذكرنا سابقاً أن الانسان لا يعيش في فراغ ، وإنما يعيش في بيئة ، هذه البيئة تمثل المجال السلوكي الذي يتفاعل معه الانسان ، سواء كانت البيئة الاجتماعية أو الثقافية أو الطبيعية أو المناخية أو البيئة النفسية للفرد . هذه البيئة بمتغيراتها العديدة لا تترك الفرد يعبر عن دوافعه الفطرية الأولية بالطريقة التي تعجبه ، بل لابد وأن يعبر عنها بالأسلوب الذي يتلاءم مع نظم وعادات وتقاليد وقيم وعرف وقوانين هذه البيئة التي يعيشها . وهذه هي عملية التكيف الاجتماعي التي يحتمها كل مجتمع على أفراده . لذلك فالانسان يقوم بتعديل دوافعه الفطرية فتتكون ما يسمى بالعواطف . وهكذا تنتظم الدوافع حول أمور معينة نتيجة احتكاكنا بمواقف معينة في مجالنا السلوكي . ولاشك أن هذا الموقف يعتمد إلى حد كبير على نوع الخبرة الناتجة من إحتكاك الانسان بهذا الموقف . فإن كانت نتيجة الاحتكاك خبرات سارة أقبل على هذا الموقف ومال إليه ، وإذا كانت نتيجة الاحتكاك خبرات غير سارة ابتعد الانسان عن هذا الموقف وتجنبه .

تعريف العاطفة :

تعريف الدكتور عبد الله عبد الحي موسى :

« العاطفة تنظيم مركب من عدة إنفعالات ركزت حول موضوع معين وصوحبت بنوع من الخبرات السارة أو المؤلمة »[1]

---

(١) د . عبد الله عبد الحي موسى : المدخل إلى علم النفس (مرجع سابق) ص ٢٧٣ .

تعريف الدكتور مصطفى فهمي :

« العاطفة إتجاه نفسي ينشأ عن تركيز مجموعة من الانفعالات حول موضوع معين »[1]

تعريف الدكتور عبد العزيز القوصي :

« إن العاطفة هي إستعداد مكتسب ناتج عن تنظيم النواحي الانفعالية والنزوعية نحو موضوع معين »[2] .

تعريف د . طلعت منصور وآخرين :

« العاطفة إستعداد وجداني مركب وتنظيم مكتسب لبعض الانفعالات نحو موقف معين تدفع صاحبها للقيام بسلوك خاص »[3]

تعريف د . مختار حمزة :

« العاطفة هي تنظيم مركب من عدة إنفعالات ركزت حول موضوع معين وصوحبت بنوع معين من الخبرات السارة ، أو غير السارة »[4]

مما يتقدم يتضح لنا أن العاطفة صفة مزاجية ، مكتسبة ، وخاصة ، فهي مزاجية لأنها تتكون عن طريق تنظيم الدوافع الفطرية الأولية حول موضوع معين ، وهي مكتسبة لأنها تتكون نتيجة احتكاك وتفاعل الفرد مع البيئة التي يعيشها ، وهي خاصة لأنها لا تتدخل في جميع أساليب النشاط الانفعالي بل في جزء منه ، وهو ذلك الجزء الذي يتعلق بموضوع العاطفة .

---

(١) د . مصطفى فهمي : الانسان وصحته النفسية ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ٤٢ .

(٢) دكتور عبد العزيز القوصي : علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية (مرجع سابق) ص ٧٠ ، ٧١ .

(٣) دكتور طلعت منصور وآخرين : أسس علم النفس العام (مرجع سابق) ، ص ١٥٥ .

(٤) دكتور مختار حمزة : مبادئ علم النفس (مرجع سابق) ، ص ٨٩ .

تكويـن العـواطـــف :

تتكون العواطف كنتيجة مباشرة لاحتكاك الفرد ببيئته التي يعيشها وينشأ من هذا الاحتكاك والتفاعل مجموعة من الانفعالات تجاه موضوع معين . لنأخذ مثالاً يوضح لنا كيفية تكوين العاطفة بينك وبين فرد معين تقابله لأول مرة في حياتك . هب أن هذا الفرد كان معك على جانب كبير من الأدب والأخلاق والكرم ، وكان ميالاً إلى خدمتك ومعاونتك فإن تكرار وجود هذا الفرد في مجال حياتك يبعث فيك إنفعالات سارة . وهكذا تشعر دائماً بالارتياح كلما قابلته . كأن عاطفة الحب قد تكونت نتيجة تكرار الخبرات الانفعالية السارة ، وهكذا يقال أنه قد تكونت لديك عاطفة الحب نحو شخص معين .

وكذلك بالنسبة لعاطفة الكراهية . فإذا قابلت شخصاً لأول مرة ولم تشعر نحوه بمشاعر طيبة لأنه كثير التهكم عليك وميال إلى التحدث عن عيوبك دون محاسنك وشديد الجفاء ومعدوم المجاملة . مما يثير فيك إنفعالات في مجموعها مؤلمة لك ومنفره منه ، من هنا تتكون عاطفة الكراهية .

وهكذا تتشابه الطريقة التي تتكون بها عاطفة الحب تلك التي تتكون بها عاطفة الكراهية ، غير أن الاختلاف الوحيد في نوعية الخبرات التي يمر بها الفرد فإن كانت سارة تكونت عاطفة الحب وإن كانت غير سارة تكونت عاطفة الكراهية .

مما تقدم يتضح لنا أن التكرارية أو الاستمرارية لنوع معين من الخبرات هي الأساس في تكوين العاطفة .

أهميـة العواطـف :

لاشك أن العاطفة تكسب الفرد قسطاً كبيراً من الثبات والاستقرار ، وتجعلنا قادرين على التنبؤ بسلوكه . فالتلميذ الذي يعاقبه أحد مدرسيه ، فإن

طريقة مقابلته لهذا العقاب يتحدد إتجاهها بنوع عاطفته نحو المدرس ، فإن كان يحب مدرسه تقبل هذا العقاب بصدر رحب ميقناً بأن ذلك في مصلحته الشخصية ، وأما إن كان يكره مدرسه هذا ، فإنه يغضب ويتذمر من العقاب ، وربما قد يثور في وجه مدرسه . « ومن الطبيعي يمكننا التنبؤ بموقف التمليذ متى عرفنا عواطفه نحو مدرسه »[1] . وعلى ذلك يمكننا أن نتنبأ بسلوك فرد معين في موقف معين إذا عرفنا نوع عاطفته .

كما تلعب العاطفة دوراً كبيراً في تسيير حياتنا والتحكم في أساليب سلوكنا فكثيراً ما عشقنا مواد دراسية لا لشئ إلا لعلاقة مدرسيها الطيبة بنا ، والعكس صحيح ، فكثيراً ما حدث لنا تأخر دراسي في بعض المواد ، لأن علاقتنا بمدرسي هذه المواد كانت غير طيبة . مما يوضح لنا الدور الذي تقوم به العاطفة في توجيه السلوك الانساني .

وهكذا كان للخُلق الطيب الكريم الذي تحلى به المعلم الأول النبي ﷺ دوراً كبيراً في نشر الدعوة الاسلامية ، لقوله عز من قائل :

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ... ﴾

(آل عمران : ١٥٩)

أنـواع العواطــف :

تنقسم العواطف إلى قمسين رئيسيين :

أولا ــ من حيث نوعية العاطفة :

١ ــ **عاطفة الحب** : وهي التي تدعوا صاحبها إلى الاقدام على موضوعها .

٢ ــ **عاطفة الكراهية** : وهي التي تدعوا صاحبها إلى الاحجام عن موضوعها والنفور منه .

---

(١) دكتور عبد العزيز القوصي : علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية (مرجع سابق) ، ص ٢٧٤

ثانياً ــ من حيث الموضوع الموجه إليه العاطفة :

١ ــ **عواطف تتعلق بالمثل العليا** : وهي التي تتخذ من المثل العليا موضوعاً لها كحب العدل والخير وكراهية الظلم والرزيلة إلى غير ذلك من المثل العليا .

٢ ــ **عواطف جمعية** : وهي التي تدور موضوعاتها حول جماعة معينة ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم .. ﴾
(الفتح : ٢٩)

٣ ــ **عواطف فردية** : وهي التي تتجه نحو فرد معين ، مثل حب الأم لطفلها ، أو حب الطفل لأمه ، أو حب التلميذ للمدرس ، أو حب المؤمن لأخيه المؤمن .

٤ ــ **عواطف تتجه نحو نوع معين من الحيوانات** : كالفرد الذي يحب تربية الخيل مثلاً ، فيكون عاطفة حب تجاهها .

العاطفــة الســائـدة :

قد يغلب على فرد معين عاطفة معينة هي التي تسود على جميع العواطف الأخرى ، وهي التي تسيطر على جميع سلوكه وتصرفاته ومن ثم يسهل التنبؤ بسلوكه وفق هذه العاطفة . تسمى هذه العاطفة باسم « العاطفة السائدة » .

ويمكن أن ندعم ونعزز في نفوس أبنائنا كثيراً من تلك العواطف المرغوبة ، كحب الله تعالى وحب رسوله ﷺ وحب الوطن وحب الآخرين وحب الخير ، إلى غير ذلك من العواطف المرغوبة . ولاشك أن مثل هذه العواطف ذات أهمية كبرى لأنها تنظم حياتنا الوجدانية والنزوعية ، وبانعدام العواطف تصبح حياتنا ضرباً من الفوضى .

الاســلام والعاطفــة :

يهتم الاسلام بتكوين العواطف الطيبة المرغوبة والتي تتعلق بالمثل العليا والخُلق الطيب الكريم ، مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً ﴾

(النساء : ٣٦)

وقوله تعالى :

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾

(آل عمران : ٣١)

وقوله عز من قائل :

﴿ والذين تبوءو الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾

(الحشر : ٩)

كل هذه الآيات الكريمة تحث على عبادة الله تعالى حق عبادة ، ثم العطف والاحسان بالوالدين ، وكذلك البر بالأقارب واليتامى والمساكين والجار وابن السبيل ، وأيضاً المهاجر في سبيل الله تعالى .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً أو ليصمت »[1] .

---

(١) متفق عليه .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أوَ لا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم »[1].

وعنه قال : قال النبي ﷺ : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال ، فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة ، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه »[2]

وهكذا تحدثنا السُنة المحمدية على تكوين وتنمية عواطف الحب بين المؤمنين كعاطفة جماعية وكذلك حب المؤمن لأخيه المؤمن كعاطفة فردية .

وقد أخبرنا القرآن الكريم عن عاطفتين رئيسيتين إحداهما مرغوبة ومقبولة ومحببة إلى الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ ، وهي عاطفة الحب ، الحب في الله تعالى مصداقاً لقوله عز من قائل :

﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ... ﴾ (البقرة : ١٦٥)

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ (آل عمران : ٣١)

﴿ ... فإن الله يحب المتقين ﴾ (آل عمران : ٧٦)

﴿ ... والله يحب الصابرين ﴾ (آل عمران : ١٤٦)

﴿ ... والله يحب المحسنين ﴾ (آل عمران : ١٤٨)

﴿ ... إن الله يحب المتوكلين ﴾ (آل عمران : ١٥٩)

---

(١) رواه مسلم .

(٢) متفق عليه .

﴿ ... إن الله يحب المقسطين ﴾ (المائدة : ٤٢)

﴿ ... والله يحب المطهرين ﴾ (التوبة : ١٠٨)

﴿ قال رب السجن أحب إلىّ مما يدعونني إليه .. ﴾ (يوسف : ٣٣)

﴿ ... ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم .. ﴾ (الحجرات : ٧)

﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله ... ﴾ (الصف : ٤)

كما يحثنا الرسول ﷺ على التواد والتراحم والتعاطف ويشبهنا في ذلك كمثل الجسد الواحد بقوله : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[1] .

أما العاطفة الأخرى فهي مذمومة ممقوتة ومكروهة من قِبل الله ، لقوله تعالى :

﴿ ... إن الله لا يحب المعتدين ﴾ (البقرة : ١٩٠)

﴿ ... إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً ﴾ (النساء : ٣٦)

﴿ ... إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً ﴾ (النساء : ١٠٧)

﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول ... ﴾ (النساء : ١٤٧)

﴿ ... والله لا يحب المفسدين ﴾ (المائدة : ٦٤)

﴿ ... إنه لا يحب المسرفين ﴾ (الأنعام : ١٤١)

﴿ ... إنه لا يحب المعتدين ﴾ (الأعراف : ٥٥)

﴿ ... لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾
(الأعراف : ٧٩)

﴿ ... إن الله لا يحب الخائنين ﴾ (الأنفال : ٥٨)

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

﴿ ... إنه لا يحب المستكبرين ﴾ (النحل : ٢٣)

﴿ ... إن الله لا يحب كل خوان كفور ﴾ (الحج : ٣٨)

﴿ ... إنه لا يحب الكافرين ﴾ (الروح : ٤٥)

﴿ ... إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ (الحديد : ٢٣)

﴿ ... وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ... ﴾ (الحجرات : ٧)

مما تقدم من آيات كريمة يتضح لنا أن هناك عاطفتين رئيسيتين إحداهما عاطفة الحب وهي التي تدعوا صاحبها إلى الاقدام عليها والامتثال بها ، وهي الصفات المحببة إلى الله عز وجل . والأخرى عاطفة الكراهية أو العاطفة السالبة وهي التي تدعوا صاحبها إلى الاحجام عنها والنفور منها ، وهي تتمثل في الصفات الغير محببة إلى الله تعالى .

الفصل السابع
النمـــــو
مفهومه وخصائصه ومراحله المختلفة

﴿ يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ... ﴾

(الحج : ٥)

- مقدمـــــة .
- أهداف دراسة النمو .
- تعريـف النمـــــو .
- مظهـرا النمـــــو .
- جوانب التغير في النمو .
- الخصائص العامة للنمـو .
- العوامل التي تؤثر في النمو .
- مراحـل النمـــــو .

الفصل السابع
النمـــو

مفهومه وخصائصه ومراحله المختلفة

مقدمـــة :

تقوم الدعائم الأساسية لحياة الانسان الراشد على خصائص طفولته الأولى التي فيها يتكون الضمير أو الوازع الخلقي وفيها أيضاً تتكون أغلب الاتجاهات النفسية والانفعالية التي قد تهيمن على سلوك الفرد فيما بعد ، وفيها أيضاً يتكيف الطفل لبيئته تكيفاً عميقاً قوياً يستمر يؤثر في مقومات حياته طوال صباه ورشده وشيخوخته . فمن شب على شئ شاب عليه .

لذلك فقد اهتم بالطفل كل من الاخصائيون الاجتماعيون والأطباء وعلماء النفس ، وقبل هذا وذاك فقد اهتم الاسلام إهتماماً كبيراً بالأطفال من حيث العناية بهم والقيام على تربيتهم التربية الاسلامية الصحيحة حتى يشبوا أسوياء في ظل المجتمع الاسلامي .

ولقد امتدت دراسة الطفولة حتى شملت المراهقة والرشد ، ثم اتسعت في مداها حتى شملت الشيخوخة . وبذلك تطورت هذه الدراسات الخاصة بعملية النمو حتى أصبحت علماً مستقلاً يبحث في سيكولوجية النمو بجميع مظاهره وفي جميع مراحله المختلفة ، من هنا نشأ فرع علم نفس النمو .

أهداف دراسة النمو :

تهدف دراسة النمو إلى اكتشاف المعايير المناسبة لكل مظهر من المظاهر المختلفة للنمو ، كمعرفة علاقة طول الطفل بعمره الزمني ، وعلاقة وزنه بطوله وعمره ، وهكذا تستطرد هذه العلاقات والدراسات لتكشف الخصائص المختلفة لكل طور من أطوار حياة الانسان ، وبذلك يستطيع الباحث في علم نفس النمو أن يقيس النمو بمختلف جوانبه فيكشف النمو المتوسط العادي ، والنمو البطىء المتأخر ، والنمو السريع المتقدم ، وهكذا يؤدي بنا إلى اكتشاف ألوان الشذوذ التي قد تطرأ على النمو في الأطوار المختلفة للنمو . وبذلك نستطيع علاج هؤلاء الأفراد علاجاً جسمياً ونفسياً واجتماعياً وأخلاقياً .

كما أن معرفة مظاهر النمو المختلفة يؤثر تأثيراً كبيراً في فهمنا لسيكولوجية العمليات العقلية العليا كالتذكر والتخيل والتفكير ، ومراحل تطور هذه العمليات من الطفل إلى الراشد الكبير .

كما تؤدي بنا دراسة ظاهرة النمو إلى ضروب مختلفة من الدراسات المقارنة التي تهدف إلى معرفة أثر البيئة والثقافة في نمو الأطفال ، وذلك عن طريق مقارنة نمو الفرد في المجتمع الريفي بنمو الفرد في المجتمع المدني الحضري ، وقد نصل من هذا كله إلى التعرف على الأسس الرئيسية للبيئة المثالية لنمو الفرد .

وهكذا فإن دراسة النمو تعتبر هدفاً عظيماً يسعى إليه العلم ليوجه النمو نحو طرائقه التي تتفق وإمكانات الأفراد واستعداداتهم ، حتى لا يميل بهم السبيل ، ولا يقعد بهم العجز عن بلوغ أهدافهم التي يسعون إلى تحقيقها في

تعريف النمو :

« النمو سلسلة متتابعة متماسكة من تغيرات تهدف إلى غاية واحدة هي إكتمال النضج ومدى استمراره وبدء إنحداره »[1] فظاهرة النمو بهذا المعنى لا تحدث فجأة ، كما لا تحدث خبط عشواء ، بل تسير بانتظام خطوة تلو الأخرى حتى تصل إلى مرحلة إكتمال النضج من جميع جوانبه الجسمية والعقلية والاجتماعية والانتقالية .

مظهرا النمو : للنمو مظهران رئيسيان هما[2] :

١ ـــ النمو العضوي (التكويني) :

ويقصد به نمو الفرد في الطول والشكل والوزن ، فالفرد ينمو ككل في مظهره الخارجي العام ، كما ينمو داخلياً تبعاً لنمو إجهزته المختلفة .

٢ ـــ النمو الوظيفي (السلوكي) :

فالنمو الوظيفي يتبع النمو التكويني ، ويقصد بالنمو الوظيفي نمو الوظائف الجسمية والعقلية والاجتماعية لتساير تطور حياة الفرد وإتساع نطاق بيئته التي يعيشها .

جوانب التغير في النمو :

سبق أن عرفنا النمو بأنه سلسلة من التغيرات وأن هذه التغيرات تطرأ على

---

(١) دكتور فؤاد البهي السيد : الأسس النفسية للنمو ، القاهرة : دار الفكر العربي ، الطبعة الرابعة ٩١٧٥ ، ص ٢١ ـــ ٢٢ .

(٢) دكتور حامد زهران : علم نفس النمو ، طفولة ومراهقة (مرجع سابق) ص ١٢ .

قدرة الفرد فتنتقل به من مرحلة دنيا إلى مرحلة أرقى وأقوى ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيباً يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴾

وهذه التغيرات تشمل نواحي مختلفة وهي :

١ ـ تغير في الجسم :

ويتضح هذا النوع من التغير في النمو الجسمي ، فيزداد طول الطفل عاماً بعد عام ، هذا ، فضلاً عن التغير في وزن الطفل ومقاييسه . وهذا النوع من التغير كما يطرأ على أعضاء الجسم الخارجية يحدث كذلك لأعضاء الجسم الداخلية . فالقلب والمعدة والأمعاء تكبر حجماً لكي تواجه حاجات الجسم المتزايدة .

٢ ـ تغير في النِسَب :

تختلف النِسب بين أعضاء الجسم في الطفولة إختلافاً واضحاً عنها عند الرشد . ويرجع ذلك إلى تباين سرعة نمو الأعضاء المختلفة ، فلكل عضو من أعضاء الجسم معدل نمو خاص به ولهذا يختلف التركيب البدني العام للطفل اختلافاً بيناً من حيث النِسب عن التركيب النهائي للفرد الراشد .

٣ ـ إختفاء خصائص قديمة :

وتتضمن عملية النمو إختفاء خصائص قديمة كانت موجودة من قبل ، فالغدة التيموسية والغدة الصنوبرية تتعرضان للضمور قبل مرحلة البلوغ ، كما يختفي أيضاً شعر الطفل وكذلك أسنانه .

٤ ـ ظهور خصائص جديدة :

كما تتضمن عملية النمو إختفاء خصائص قديمة ، تتضمن أيضاً ظهور خصائص وصفات جديدة ، مثل بدأ نشاط الغدد التناسلية في بداية مرحلة المراهقة ، كما يكتسب الفرد أيضاً معايير أخلاقية واتجاهات جديدة .

الخصائص العامة للنمو

النمو ظاهرة حيوية تنفرد بخصائص عامة تميزها عن غيرها من الظواهر الحيوية الأخرى . وفيما يلي سوف نتناول تلك الخصائص العامة للنمو في جميع مراحله ومناحيه ، وسنرجيء الحديث عن الخصائص النوعية التي تميز كل عمر من الأعمار وكل مرحلة من مراحل النمو فيما بعد .

١ ـ يتضمن النمو تغيراً كمياً وكيفياً :

فالطفل ينمو ويزداد في الحجم والوزن والشكل ، ويتبع هذا التغير في الكم تغيراً في الكيف ، أي في الوظيفة .

٢ ـ النمو عملية مستمرة ومنتظمة :

وهنا يحسن أن نلفت النظر إلى خاصيتين هامتين للنمو ، الخاصية الأولى هي أن عملية النمو تستمر بشكل طبيعي فلا تتوقف إلا إذا أعيق النمو بسبب عائق خارجي ، وأقرب مثل لهذا ما كان يفعله بعض الصينيين قديماً من وضع أقدام الفتيات في أحذية حديدية عند الصغر لمنع نموها مما كان يترتب عليه عدم تناسق حجم القدم مع حجم الجسم .

والخاصية الثانية هي أن عملية النمو مع استمرارها فهي في نفس الوقت منتظمة بحيث تسير عملية النمو بانتظام وفق القوانين التي تسير عليها ، فلا يمكن للطفل الرضيع أن يمر بمرحلة الطفولة أولا ثم يمر بعدها بمرحلة سني المهد .

٣ ــ معدل النمو ليس ثابت :

فالنمو لا يسير بسرعة ثابتة ، فهناك فترات من النمو السريع ، وفترات من النمو البطئ . ففي مرحلة سني المهد مثلاً يكون نمو الطفل سريعاً ثم يبطئ نوعاً ما في المرحلة التي تليها ، وفي مرحلة المراهقة نلاحظ تغيرات كبيرة ونمواً مفاجئاً لنواحي كثيرة أبررها النواحي الجسمية . وعلى ذلك فإن معدل سير عملية النمو ليس ثابتاً .

٤ ــ لكل جانب من جوانب النمو معدله الخاص :

جوانب النمو المختلفة الجسمية واللغوية والاجتماعية والانفعالية لا تنمو جميعاً بمعدل واحد وفي وقت واحد . فالطفل في مراحله الأولى ينمو جسمياً بمعدل أسرع من نموه اللغوي ، بينما نجده في مرحلة معينة يكون معدل نموه لغوياً أسرع من معدل نموه إجتماعياً .

وهكذا لكل جانب من جوانب النمو معدله الخاص في إلنمو .

٥ ــ العلاقات الموجودة بين مظاهر النمو المختلفة علاقات موجبة :

العلاقات بين المظاهر المختلفة للنمو علاقات موجبة ليست سالبة ، فالقدرة الحركية على المشي مثلاً تعين النمو العقلي إذ تجعل من الطفل قادراً على استطلاع بيئته . كما يؤثر المشي أيضاً في نمو

السلوك الاجتماعي للطفل ، حيث عن طريق المشي تتنوع اتصالات الطفل بغيره من الناس فتتسع نطاق علاقاته مما يؤثر أيضاً في سلوكه الانفعالي . وهكذا تكون العلاقات موجبة بين مظاهر النمو المختلفة .

٦ ــ النمو عملية معقدة :

من العبث أن نحاول فهم الطفل بدراسة ناحية واحدة أو جانب معين من جوانب النمو دون الجوانب الأخرى ، حيث أن عملية النمو عملية شديدة التعقيد . فالنمو الجسمي يؤثر في النمو العقلي ، ومالم يحصل الطفل على احتياجاته الضرورية للنمو الجسمي فإن نموه العقلي حتماً سوف يتأثر بنواحي الضعف الجسمي . كما أن إشباع حاجات الطفل الجسمية يساعده على اكتساب العادات الانفعالية السوية السليمة . وينبغي أن ندرك أننا إذا أردنا أن نحسن تنشئة الطفل فعلينا أن نعتني تماماً بجميع مظاهر النمو المختلفة .

٧ ــ هناك فروق فردية في مختلف جوانب النمو :

إن نظرة فاحصة لمجموعة من الأطفال ذوي أعمار متحدة تكفي لتبين لنا ما هناك من فروق فردية مختلفة في جوانب النمو المختلفة سواء في الناحية الجسمية أو العقلية أو الاجتماعية أو الانفعالية أو اللغوية . وتتحدد هذه الفروق بكل من العوامل الداخلية الوراثية والعوامل الخارجية البيئية .

٨ ــ إتجاه النمو :

(أ) الاتجاه الطولي :[1]

---

(١) دكتور فؤاد البهي السيد : الأسس النفسية للنمو (مرجع سابق) ص ٧١ ــ ٧٣ .

يسير النمو من أعلى إلى أسفل ، أي يتطور نمو الطفل تطوراً طولياً من قمة رأسه إلى أخمص قدميه . بمعنى أن الأجزاء العليا من الجسم تسبق الأجزاء السفلى في نموها البنائي والوظيفي . فالطفل يستطيع أن يتحكم في حركات رأسه قبل أن يتحكم في حركات يديه وقدميه . فأول ما يتحكم فيه الطفل حركات رأسه ويتطور به النمو فيتعلم المشي حينما يحسن ضبط قدميه .

(ب) الاتجاه المستعرض :

يتطور نمو الفرد في الاتجاه المستعرض الأفقي من الجذع إلى الأطراف . فيبدأ في المحور الرأسي للجسم حتى يصل إلى الأطراف لكل إصبع وكل بنان . فالطفل يقبض على الأشياء المختلفة براحة يده ، ثم يتطور في النمو إلى أن يصبح قادراً على التقاط الأشياء بأصابعه وحدها .

(جـ) الاتجاه العام ـــ الخاص :

يسير النمو من العام إلى الخاص ومن المجمل إلى المفصل ومن الكليات إلى الجزئيات . فالطفل يستجيب للمثيرات استجابات كلية عامة ومجملة قبل أن يخصصها ويفصلها تفصيلاً دقيقاً .

فالطفل يستجيب إستجابه كلية بجسمه ليصل إلى لعبته قبل أن يتعلم كيف يحرك يديه لالتقاط اللعبة . وهكذا يسير النمو من العام المجمل إلى الخاص المفصل . وهكذا اهتمت التربية الحديثة في مناهجها ووسائلها بهذا المبدأ ، فيبدأ الطفل تعلمه اللغوي بالعبارات قبل الجمل ، وبالجمل قبل الكلمات ، وبالكلمات قبل الحروف الهجائية .

(د) الاتجاه المضاد (الاضمحلال) :

وفيها يتراجع النمو في صورته البنائية تراجعاً يهدف إلى النقصان والهدم والشيخوخة . وهكذا تنساب اتجاهات الضعف في عكس الاتجاهات التي كانت تندفع فيها مختلف مظاهر النمو . وهذا الاضمحلال يسير من أسفل إلى أعلى ، بمعنى أن أول مايضعف في جسم الانسان هي قدميه ثم الجزع ثم آخر ما يتحرك فيه هي الرأس .

العوامل التي تؤثر في النمو

يتأثر النمو بمختلف مظاهره الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية واللغوية ، ببعض العوامل التي تتفاعل مع بعضها وتتآزر لبناء حياة الفرد في حاضره الراهن وعلى أساس ماضية السالف من أجل مستقبله العاجل أو الآجل . ومن أهم هذه العوامل هي :

أولاً ــ العوامل الأولية :

١ ــ الوراثة Heredity :

تعتبر الوراثة من أهم العوامل التي تؤثر في توجيه عملية النمو . ويقصد بالوراثة كما ذكرنا سابقاً « جميع العوامل الموجودة في الكائن الحي من اللحظة التي تتم فيها عملية تلقيح الخلية الأنثية بالخلية الذكرية »[1] . وتعد مرحلة ما قبل الميلاد الأساس الأول في تكوين الطفل ، فإذا لم يكن الأساس

---

(١) دكتور عبد العزيز القوصي : أسس الصحة النفسية (مرجع سابق) ص ١٥ .

سليما فإن ما بني عليه لا يمكن أن يكون سليماً بالتبعية . لذلك لابد وأن يكون الأبوين خاليين من الأمراض الوراثية جسمية كانت أو عقلية ، كما يجب أن يكونا من ذوي الأخلاق الحميدة ، لأن الطفل كما يرث الصفات الجسمية والعقلية يرث أيضاً الخصائص الأخلاقية . من أجل ذلك يحث الاسلام على حسن الاختيار الصالح الموفق ، وهو بذلك يهتم بالطفل قبل ولادته باختيار المحضن الخيِّر عن طريق حسن إختيار الزوجة الصالحة ، ويتمثل ذلك في قول الرسول ﷺ : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك »[1] .

وفي نفس الوقت يقول ﷺ :

« إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض »[1] . وهكذا يحثنا الاسلام على حسن إختيار الزوج أو الزوجة الصالحة لانتاج ذرية طيبة صالحة ، لذلك ينبهنا الرسول الكريم ﷺ في قوله : « تخيروا لنطفكم ، وانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم »[2]

٢ ــ البيئة Environment :

ويعتبر هذا العامل أيضاً من العوامل الهامة التي تؤثر في ظاهرة النمو . والمقصود بالبيئة « جميع العوامل الخارجية التي تؤثر في الشخص من بدء نموه »[3] . فالطفل كالنبتة ، فإذا أردنا أن ننبت نباتاً حسناً لابد من اختيار بذرة صالحة وهذا عن طريق الوراثة ، كما لابد أيضاً من تربة صالحة لنبت هذه البذرة وهذه تمثل البيئة .

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه الترمذي وأحمد .
(٣) رواه ابن ماجه والدارقطني والحاكم والبيهقي .
(٤) دكتور عبد العزيز القوصي : أسس الصحة النفسية (مرجع سابق) ص ١٥ .

وهكذا تتفاعل العوامل الوراثية مع عوامل البيئة في تحديد مسار النمو النفسي للفرد ، وفي تباين نموه ومسالك حياته ومستويات نضجه ومدى تكيفه وتوافقه من عدمه . ولبيان أثر تفاعل الوراثة والبيئة في تكوين وفاعلية الانسان يمكن القول بأن : الوراثة × البيئة = الكائن[1] .

٣ ـ الهرمونـات :

الهرمونات هي إفرازات الغدد الصماء . والغدد الصماء أعضاء داخلية في جسم الانسان ، وتتلخص وظيفتها في تكوين مركبات كيميائية خاصة يحتاج إليها الجسم بأعضاءه المختلفة . وتتعاون الهرمونات مع أعضاء الجسم المختلفة على تقرير شكل الجسم وذلك بتأثيرها على نمو الجنين وبتأثيرها في تنظيم عملية تغذية الطفل ومدى استفادته من هذه التغذية .

هذا والاختلال الذي قد يحدث في إفرازات هذه الغدد قد يؤدي إلى تغير وتحول النمو عن مجراه الطبيعي ، فيقف في بعض النواحي ، أو يزداد في نواحي أخرى بطريقة قد تعرض حياة الفرد للمرض .

ويحتوي جسم الانسان على عدد من الغدد الصماء التي تنتشر في النصف العلوي من الجسم وهي الغدد الصنوبرية ، والنخامية ، والدرقية ، والجار درقية ، والتيموسية ، والكظرية ، والغدد التناسلية ، وقد سبق أن تحدثنا عن وظائف هذه الغدد في الفصل الرابع .

٤ ـ التغـذيـــة :

لا شك أن للغذاء أهمية كبرى في توجيه عملية النمو . وتتلخص وظائف الغذاء في تزويد الجسم بالطاقة التي يحتاج إليها للقيام بوظائفه الحيوية وبنشاطه

---

(١) دكتور كمال دسوقي : النمو التربوي للطفل والمراهق ، دروس في علم النفس الارتقائي . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٩ ص ٤٦ .

المعتاد ، سواء أكان هذا النشاط داخلياً أم خارجياً بدنياً أم نفسياً ، ويفيد الغذاء أيضاً في إصلاح الخلايا التالفة وفي تكوين خلايا جديدة ، كما يمد الجسم بالمناعة ضد بعض الأمراض ووقايته منها .

٥ ـ خبرات الطفل البيئية :

كلما تنوعت وتعددت خبرات الطفل في بيئته التي يعيشها كلما ازدادت تبعاً لها سرعة نموه . والحديث عن البيئة وأثرها على النمو يجعلنا نتناول الطفل من حيث علاقته :

(أ) **بأسـرته** : فالأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التى ترعى مصالح الفرد لذلك فهي تشتمل على أقوى المؤثرات التي توجه نمو طفولته . فالطفل يتأثر بأمه وأبيه في المقام الأول ثم إخوه وأقاربه وذويه ، وهكذا تتشابك هذه المؤثرات حتى تصبح نسيجاً نفسياً اجتماعياً يحيا الطفل في إطاره .

(ب) **بأخوتـه** : تختلف سرعة نمو الطفل باختلاف ترتيبه الميلادي في الأسرة . وعلى ذلك تختلف سرعة نمو الطفل الأول عن اخوته الآخرين ، لأن الطفل الثاني يقلد أخاه الأكبر مما يسرع هذا التقليد بنمو الطفل الثاني والثالث وهكذا .. أما الطفل الأخير الذي يولد بعد أن يكبر أخوته ، يتأخر نموه في بعض النواحي نتيجة للتدليل الذي يلقاه من الوالدين والأخوة الكبار .

والطفل الوحيد نتيجة إتصاله إتصالاً مباشراً بوالديه تزداد تبعاً لذلك سرعة نموه العقلي . ولكن نفس هذا الاتصال المباشر يؤثر من زاوية أخرى تأثيراً ضاراً في كل من النمو الجسمي والحركي ، ذلك لأن الوالدين يساعدانه دائماً في معظم الأمور .

(جـ) **بالثقافة** : كما أن الفرد يولد داخل مجتمع ما ، **فهو يولد أيضاً** داخل ثقافة خاصة بهذا المجتمع يؤثر فيها كما يتأثر بها . **فيمتص** منها العادات والتقاليد والعرف والقيم والطقوس ، **هكذا ينشأ الطفل** وينمو من مهده إلى لحده في إطار إجتماعي ثقافي يتفاعل معه . فيقلد الابن أباه وتقلد الفتاة أمها كاستجابة للمؤثرات الثقافية للمجتمع .

٦ ــ أعمار الوالدين :

فقد دلت الأبحاث التي قام بها بوجات Baujat[١] أن الأطفال الذين يولدون من زوجين شابين يعيشون لفترة أطول من الذين يولدون من زوجين جاوزا مرحلة الشباب إلى الشيخوخة . وعلى ذلك يعتقد أن مدى حياة الطفل الأول أكبر من مدى حياة الطفل الأخير . كما تؤكد هذه الأبحاث أن نسبة الأطفال المشوهين والمعتوهين تزداد تبعاً لزيادة عمر الأم وخاصة بين سن ٤٥ سنة ، وربما يفسر ذلك حكمة الله سبحانه وتعالى في سلب الزوجة القدرة على الانجاب قريباً من هذه السن .

ثانياً ــ العوامل الثانوية :

فيما يلي نتناول العوامل الثانوية التي قد تؤثر في توجيه النمو وهي :

١ ــ الانفعالات الحـادة :

فقد دلت الأبحاث التي أجراها ويدوسن[٢] Widdowson على الأطفال الذين تمتد أعمارهم من ٤ إلى ١٤ سنة والذين يعيشون في ملاجئ اليتامى بألمانيا ، دلت نتائج هذه الأبحاث على أن الانفعالات القوية الحادة تؤخر سرعة نمو هؤلاء الأطفال بصورة واضحة . ويقرر كثير من علماء النفس[٣] أن القلق

---

(١) دكتور فؤاد البهي السيد : الأسس النفسية للنمو (مرجع سابق) ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٣) دكتور يوسف مصطفى القاضي ، د . مقداد يالجن : علم النفس التربوي الاسلامي ، الرياض : دار المريخ للنشر ، ١٩٨١ ، ص ٤١٩ .

النفسي والضعف الشديد للمرأة مدة الحمل يؤثران على الطفل . ذلك لأن حالة المرأة الجسمية والنفسية تؤثر على الحمل . وتجنباً لمثل هذه الانفعالات الضارة فقد أمرنا الاسلام بحسن معاشرة الزوجة لقوله عز من قائل :

﴿ ... فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ... ﴾

(البقرة : ٢٣١)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استوصوا بالنساء خيراً ؛ فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته ، لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء »[١] .

وإن كانت المرأة المطلقة حامل فإن الاسلام يضمن لها رزقها حيث يفرض على الزوج الانفاق عليها حتى تضع حملها ، لقوله عز وجل :

﴿ اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولٰت حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف ... ﴾

(الطلاق : ٦)

كل ذلك من شأنه يقلل من حدة الانفعالات التي قد تمر بها الأم الحامل أثناء فترة الحمل والتي قد تؤثر تأثيراً سيئاً على نمو الجنين .

٢ ــ الأمــراض :

فقد ثبت بما لا يقطع مجالا للشك أن إصابة الأم ببعض الأمراض أثناء فترة الحمل تؤثر على نمو الطفل ، كما دلت على ذلك أبحاث سونتاج[٢] Sontage . فإصابة الأم بالملاريا أثناء فترة الحمل واعتمادها على مادة الكينين

---

(١) متفق عليه .

(٢) د . فؤاد البهي السيد : الأسس النفسية للنمو (مرجع سابق) ص ٦٦ .

أثناء العلاج ، قد يؤثر على أذن الجنين الداخلية فيصيبه بصمم كلي أو جزئي ، مما يؤثر على النمو اللغوي للطفل فيعطله أو يعوق نموه النمو السليم .

٣ ــ السلالة العنصرية :

لاشك أن معدل سرعة النمو يختلف تبعاً لنوع السلالة ، وتدل الأبحاث الحديثة [١] على أن أطفال شعوب البحر الأبيض المتوسط تفوق سرعة نمو أطفال شمال أوروبا . وهكذا يتفاوت النمو تبعاً لاختلاف السلالة التي ينتمي إليها الطفل .

٤ ــ الولادة المبتسرة :

بعض الأطفال يولدون قبل إكتمالهم المدة الطبيعية للحمل ، وفي هذا تأثير على صحتهم وسرعة نموهم وربما على حياتهم . وقد دلت الأبحاث التي أجراها كل من ستينر [٢] Steiner وبونرامث Poneramce على أن نسبة الوفيات بين الأطفال الرضع تتناسب عكسياً مع مدة الحمل . فكلما نقصت هذه المدة عن المدة الطبيعية للحمل كلما زادت نسبة الوفيات ، وكلما قربت هذه المدة من المدة الطبيعية كلما قلت نسبة الوفيات .

٥ ــ الهواء النقي وأشعة الشمس :

يتأثر النمو بدرجة نقاوة الهواء الذي يتنفسه الطفل . فقد وجد أن أطفال الريف والسواحل ينمون بمعدل أسرع من نمو أطفال المدن الصناعية المزدحمة بالسكان . كذلك وجد أن أشعة الشمس لها أثر فعال في سرعة معدل النمو وخاصة الأشعة البنفسجية .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٧ .

مراحـل النمـــو

يخبرنا القرآن الكريم بخير ما نبدأ به الحديث عن مراحل النمو المختلفة .

قال الله تعالى :

﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ... ﴾

(الحج : ٥)

وقوله عز وجل :

﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴾

(الروم : ٥٤)

وقوله عز من قائل :

﴿ وهو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون ﴾

(غافر : ٦٧)

هكذا يخبرنا الحق تعالى ، منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ، عن مراحل النمو المختلفة التي يمر بها الانسان منذ تكون النطفة وحتى الشيخوخة ، على أنها وحدة واحدة لا تتجزأ .

ولا شك أن حياة الانسان تعتبر وحدة واحدة لا تتجزأ ، وإن عملية النمو تنبعث من الداخل وليس من الخارج ، وهذا يعني أن النمو عملية مستمرة حتي يقف عند مرحلة معينة عندها يكتمل نضجه وتكوينه النهائي . وعلى ذلك فإن

عملية تقسيم فترة النمو إلى مراحل منفصلة عملية صعبة إن لم تكن عملية عسيرة . والواقع أن مصدر هذه الصعوبة تأتي من عدم إمكانية تحديد نهاية مرحلة من بداية المرحلة التي تليها . حيث أن نهاية هذه المرحلة وبداية تلك التي تليها متداخلتان ، وعلى ذلك فإن تقسيمنا لفترة النمو إلى مراحل مختلفة لا يعني أن الانسان يبدأ عهداً جديداً من حياته عند سن معينة ، بل يتضح الفرق بين منتصف مرحلة معينة من مراحل النمو ومنتصف المرحلة التالية لها . فإذا كنا نحاول تقسيم النمو إلى مراحل ، فإن ذلك بقصد التبسيط العلمي لأجل الدراسة فقط . وطالما أن التقسيمات لا تخضع لمقياس معين يحدد بصورة قاطعة بداية مرحلة معينة ونهاية مرحلة أخرى ، لذلك اختلف العلماء في تقسيم النمو إلى مراحل ، كما لا نستطيع أن نقطع بأي تقسيم هو الأدق . وفيما يلي سنحاول أن نستعرض أهم الأسس التي قامت عليها تقسيم النمو إلى مراحل :

الأسس المختلفة لتقسيم مراحل النمو :

١ ــ الأســـاس الغــدي :

يقوم هذا التقسيم على أساس النشاط الغدي من عدمه . فيلاحظ أن الغدة التيموسية تنشط في بدأ الحياة ، ثم يقف نموها عندما يبلغ الطفل من العمر ١١ سنة حيث تبدأ بعد هذا السن في الضمور وتظل في الضمور حتى مرحلة الشيخوخة . كذلك الغدة الصنوبرية يلاحظ أنها تضمر عند مرحلة البلوغ . أما الغدد التناسلية فتظل كامنة في مرحلة الطفولة وتبدأ نشاطها في بداية مرحلة المراهقة ويكتمل نضجها عند البلوغ ، ثم لا تلبس أن تضمر في مرحلة الشيخوخة .

وهكذا يقسم المهتمون بهذه الظاهرة الغدية العضوية حياة الفرد إلى مرحلة طفولة ومراهقة وبلوغ ثم مرحلة شيخوخة .

٢ ـــ الأســـاس الاجتماعـــي :

يقوم هذا التقسيم على أساس تطور علاقة الطفل ببيئته التي يعيشها . فعلى أساس مدى إتساع دائرة هذه العلاقة يكون هذا التقسيم . ذلك لأن مدى هذه العلاقة يتناسب طردياً مع عمر الطفل . ولما كانت سعة هذه الدائرة الاجتماعية تبدو واضحة في لعب الأطفال ، فقد اعتمد هذا التقسيم على أساس دراسة طبيعة ونوعية اللعب لدى الأطفال .

وتتلخص هذه الأقسام في المراحل التالية[1] :

(أ) **مرحلة اللعب الانعزالي** : وفيها يميل الطفل إلى اللعب لوحده دون أن يشاركه أحد .

(ب) **مرحلة اللعب الانفرادي** : وفيها يميل الطفل إلى اللعب مع الآخرين ، ولكنه يحتفظ لنفسه بفرديه تميزه عن من يلعب معهم .

(جـ) **مرحلة اللعب الجماعي** : وفيها يميل الطفل إلى اللعب مع الجماعة حيث يتفاعل معها تفاعلاً إجتماعياً صحيحاً وبذلك يؤكد روح الجماعة قبل أن يؤكد فرديته .

٣ ـــ الأساس التربوي (تقسيم رجال التعليم)[2] :

ويقوم هذا التقسيم على أساس وضع برامج وخطط خاصة بالتعليم تناسب فترات معينة من العمر ، ليكون ذلك عوناً للطفل على الترقي واستغلال قدراته وإمكاناته واستعداداته بما يناسب ما وصل إليه من نضوج ومقدرة . هذا ويكاد يوجد إتفاق كبير على التقسيم الآتي لمراحل حياة الطفل التعليمية من وجهة نظر رجال التعليم :

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(٢) دكتور محمد خليفة بركات : علم النفس التعليمي ، الكويت : دار القلم ١٩٧٤ ، ص ٤٦ـــ٤٧ .

الأولى ــ مرحلة الرضاعة : من الميلاد حتى سن الثانية .

الثانية ــ مرحلة الحضانة : بين الثانية والخامسة .

الثالثة ــ مرحلة الروضة : (مرحلة ما قبل التعليم) .

الرابعة ــ مرحلة التعليم الابتدائي : بين السادسة والثانية عشرة .

الخامسة ــ مرحلة التعليم الاعدادي (المتوسط) : من العاشرة أو الثانية عشرة إلى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة .

السادسة ــ مرحلة التعليم الثانوي : من الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة إلى الثامنة عشرة .

السابعة ــ مرحلة التعليم الجامعي : من الثامنة عشرة إلى الثانية والعشرين .

الثامنة ــ مرحلة ما بعد التعليم : وهي ما بعد سن ٢٢ سنة .

هذا ويلا حظ إختلاف حدود هذه المراحل من حيث بدايتها أو نهايتها بحسب سياسة التعليم في البلاد المختلفة .

٤ ــ الأســاس النفســي :

ويقوم هذا التقسيم على أساس تمايز الخصائص النفسية لمراحل النمو المختلفة . هذا ويكاد يتفق علماء النفس على تبني التقسيم التالي[1] لمراحل النمو :

الأولى : مرحلة ما قبل الميلاد .

الثانية : مرحلة سني المهد .

الثالثة : مرحلة الطفولة المبكرة .

الرابعة : مرحلة الطفولة المتأخرة .

---

(١) د . أحمد زكي صالح : علم النفس التربوي (مرجع سابق) ، ص ٦٥

الخامسة : مرحلة المراهقة .

السادسة : مرحلة الرشــد .

وفيما يلي سوف نتناول باختصار كل مرحلة من تلك المراحل في ضوء أبعاد النمو المختلفة من وجهة النظر الاسلامية .

أولاً ــ مرحلة ما قبل الميلاد :

تبدأ هذه المرحلة من اللحظة التي تتحد فيها الأمشاج الذكرية (الحي المنوي) والأنثوية ، أي عندما يخترق الحي المنوي الذكري الغلاف الخارجي للبويضة الأنثوية . وهكذا تنشأ البيضة المخصبة التي بها ومنها تبدأ حياة الجنين . وقبل أن يخبرنا العلم الحديث بالأطوار والمراحل التي يمر بها الجنين في رحم أمه ، فقد أخبرنا القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً من الزمان عن تلك المراحل مصداقاً لقوله عز من قائل :

﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾

(المؤمنون : ١٢ : ١٤)

وتعتبر هذه المرحلة الأساس الأول في تكوين الطفل . ولما كان الجنين يتأثر بالحالة النفسية للأم ، لذلك فقد نادى الاسلام بوجوب حسن معاشرة الزوجات كما ذكرنا ذلك سابقاً في هذا الفصل .

ثانياً ــ مرحلة الرضاعة أو سنى المهد :

تعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل المؤثرة على سلوك الطفل خلقاً وعقلياً ونفسياً . وفترة الرضاعة من وجهة نظر الاسلام سنتان لقوله عز وجل :

﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ... ﴾

(البقرة : ٢٣٣)

فلا شك أن إتمام عملية الرضاعة خصوصاً من الأم فإن لها مالها من مؤثرات إيجابية في حسن سير النمو النفسي للطفل . لذلك ينادي الكثير من المربين والأطباء بأهمية الرضاعة الطبيعية بالنسبة للنمو السوي للطفل ، وينكرون الرضاعة الصناعية التي قد تلجأ إليها بعض الأمهات نتيجة لخروجهن إلى العمل أو ماشابه ذلك ، لما لها من آثار سيئة تعرقل سير عملية النمو .

هذا ويتأثر الطفل تأثراً واضحاً بلبن المرضعة بل وبأخلاقيات المرضعة عن طريق لبنها[1] .

وقد بين لنا الرسول ﷺ ذلك في قوله :

« لا تسترضعوا الورهاء (الحمقاء) » وفي رواية أخرى ، « لا تسترضعوا الحمقاء فإن اللبن يورث » .

ولهذا جعل الاسلام المرأة مسؤولة مسؤولية كاملة عن رعاية شؤون بيتها وحسن تربية أبنائها لقوله ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الأمير راع ، والرجل راع على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته »[1] .

ثالثا ـــ مرحلة الطفولة (المبكرة والوسطى والمتأخرة) :

هذه المرحلة من أهم مراحل النمو بالنسبة لرجل الغد ، نظراً لأن الأطفال في هذه المرحلة يبدأون في اكتساب التوافق الصحيح مع البيئة التي يعيشونها . كما أنهم يتلقون أول دروس الأخلاق والقيم والتقاليد والعادات والعرف . كما يبدأ في تعلم الفروق الجنسية . لهذا يقول الرسول ﷺ : « أمروا الصبيان

---

(١) د. يوسف مصطفى القاضي ، د . مقداد بالجن : علم النفس التربوي الاسلامي (مرجع سابق) ، ص ٩٧ .

(١) متفـــق عليـــه .

بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها في عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .[1]

كما يشرع الأطفال في هذه المرحلة في تكوين العادات الانفعالية نحو الأشياء والأشخاص . من هنا تتضح الأهمية التربوية لهذه المرحلة سواء للآباء أوالأمهات أو القائمين على العملية التربوية ، حيث يجب عليهم التفريق الواضح للطفل بين ما هو حلال وما هو حرام ، بين ما هو خير وما هو شر ، بين ما هو طيب وما هو خبيث . فهذا هو الوقت المناسب لتعويد الطفل على تكوين العادات الانفعالية الطيبة المرغوبة مثل حب الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ وحب الوالدين ، وحب الصدق والأمانة وفعل الخير إلى غير ذلك من العواطف الموجبة . وفي نفس الوقت تكوين عاطفة سالبة لديهم تجاه الكذب والخيانة والنفاق والأنانية والحقد والحسد إلى غير ذلك من العواطف السالبة الممقوتة الغير مستحبة .

رابعاً ــ مرحلة المراهقة (البلوغ) :

إن كلمة المراهقة Adolescence تعني التدرج نحو النضج الجسمي العقلي والانفعالي والاجتماعي . من هنا يتضح لنا الفرق الواضح بين كلمة مراهقة وكلمة بلوغ والتي تقتصر على جانب واحد فقط من جوانب النمو وهو الجانب الجنسي . فالبلوغ إذن يقصد به نضج الغدد التناسلية واكتساب معالم جنسية جديدة حيث تنتقل بالطفل من فترة الطفولة إلى مرحلة الانسان الراشد . ويختلف المدى الزمني لمرحلة البلوغ تبعاً لاختلاف الجنس والعوامل الوراثية وكذلك البيئة الطبيعية والمناخية .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والحاكم .

وتعد هذه المرحلة من المراحل الهامة في حياة الفرد ، والتي تهم كل من الأب والأم وكذلك المربي ، حيث تتطلب كياسة وفطنة وفن في معاملة الأبناء ، وإعطاء كل منهم مكانته في المجتمع حسب قدراته واستعداداته ومهاراته حتي تتيسر له الفرص الحقة في النمو الديني والانساني والحضاري والتعمير الثقافي والعلمي في مختلف المجالات .

خامساً ـ مرحلة الرشد (الأشد) :

وتبدأ هذه المرحلة عقب مرحلة المراهقة وحتى سن الأربعين مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ ... حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين ﴾

(الأحقاف : ١٥)

وهكذا تمتاز هذه المرحلة برسوخ العقيدة وتشبع النفس بالفضيلة والقيم الأخلاقية السامية ، واقتناع بمنهج عقلي سليم في الاهتداء إلى الله سبحانه وتعالى .

سادساً ـ مرحلة الشيخوخة :

تعتبر مرحلة الشيخوخة مرحلة إضمحلال حيث يتراجع فيه النمو إلى الاتجاه المضاد . فتنساب إتجاهات الضعف في عكس الاتجاهات التي كانت تسير فيها مظاهر النمو ، فتبطوء حركات الأرجل قبل أن تبطء حركات الرأس . وهكذا يسير الاضمحلال في إتجاه عكس مسار النمو . فإذا كان النمو يسير من أعلى إلى أسفل نجد أن الاضمحلال يسير من أسفل إلى أعلى ، وهكذا ، يعود الانسان إلى مرحلة الضعف الأولى التي نشأ منها أصلاً ، مصداقاً لقوله عز من قائل :

﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴾

(الروم : ٥٤)

ويحتاج أفراد هذه المرحلة إلى معاملة خاصة لا تقل أهمية عن مراحل الطفولة الأولى ، حيث يحتاجون إلى مزيد من العطف والرعاية والحنان والتقدير لقوله عز وجل :

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾

(الاسراء : ٢٣ ، ٢٤)

وعن الرسول ﷺ أنه قال :

« ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا »[١] .

هذا يؤكد ضرورة حسن معاشرتنا ومعاملتنا للكبار تقديراً لما قدموه من بذل وجهد وعطاء .

---

(١) رواه الترمـذي .

الفصل الثامن
التعلـــم

﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾

(البقرة : ١٢٩)

- مقدمـــة .
- معـنى التعلـــم .
- تعريـف التعلـــم .
- شــروط التعلـــم .
- النـضـــج .
- الممارسـة .
- الدافعيـــة .
- نظريات التعلـــم .
  - * أولاً : نظرية بافلوف .
  - * ثانياً : نظرية جاثري .
  - * ثالثاً : نظرية ثورنديك .
  - * رابعاً : نظرية الجشتالت .
  - * خامساً : نظرية كلارك هل .
  - * سادساً : نظرية ســكينر .
- العوامل المساعدة على التعلم الجيد .
- نتـائج التعلـــم .

الفصل الثامن

التعلـــم

مقـدمـــة :

يحث الاسلام على التعلم لدرجة أنه يعتبر أن طلب العلم فريضة لقول الرسول ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[1] . وقال ﷺ : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع »[2] . كما يخبرنا الرسول ﷺ أن طريق العلم يؤدي إلى الجنة لقوله : « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة »[3] .

وفي شأن تكريم العلم والعلماء يقول تعالى :

﴿ .. يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾

(المجادلة : ١١)

وفي هذا المجال يقول الرسول ﷺ :

« الدنيا ملعونة ، وملعون ما فيها ، إلا ذكر الله تعالى ، وما ولاه ، وعالماً أو متعلماً »[4] .

---

(١) رواه البيهقـــي .
(٢) أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال .
(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة .
(٤) رواه الترمــذي .

فلا شك أن بالتعلم يتهذب سلوك الانسان . فالانسان المسلم يجب أن يتعلم الآداب الاسلامية التي أقرها الاسلام وعليه أيضاً أن يتعلم كيفية عبادة الله تعالى وفق الكتاب والسنة ، وعليه كذلك أن يتعلم أساليب السلوك السوي الذي يتفق مع الشرع الاسلامي . فيتعلم ما هو خير وما هو شر ، ما هو طيب وما هو خبيث ، ما هو حلال وما هو حرام .

ونحن لا نقصد بالتعلم ذلك الذي يتلقاه التلميذ داخل أسوار المدرسة أو جدران الحجرة الدراسية ، ولكن نقصد بالتعلم هو كل ما يتعلمه الفرد ويكتسبه من خلال إحتكاكه ومعايشته للبيئة التي يعيشها . فالفرد يتعلم ويكتسب من البيئة أموراً شتى تساعده على عملية التوافق والتكيف مع البيئة . ولا شك أن مظاهر النشاط البشري تعبر أو تدل على حدوث عملية تعلم وراءها . فالتعلم إذن يعد عملية أساسية في الحياة . فكل إنسان يتعلم ليعيش ، كما أنه يعيش ليتعلم . وبدون عملية التعلم هذه قد تفقد الحياة قيمتها ويفقد المجتمع حضارته . ولعل هذه القيمة العظيمة لعملية التعلم هي التي جعلت الكثير من علماء النفس القدامى والمعاصرين يهتمون بموضوع التعلم ، بل جعلتهم يعتبرون أن الوظيفة الأساسية للعقل البشري هي التعلم .

معنى التعلم :

لكي نفهم معنى التعلم دعنا نتصور هذا الموقف التعليمي لفرد ما يتدرب على الآلة الكاتبة لأول مرة ، لوجدنا أن هذا الشخص يتعثر في المحاولات الأولى ، وقد يستغرق وقتاً طويلاً في كتابة بضع كلمات قليلة ، هذا فضلاً عن ظهور الكثير من الأخطاء التي يقع فيها . ولكن نلاحظ بعد فترة من التدريب المستمر أن هذا الفرد قد تعلم بالفعل طريقة الكتابة على الآلة الكاتبة . وإن كان يستطيع باستمرار التدريب أن يزيد من إتقانه لمهارة الكتابة على الآلة الكاتبة .

وهنا نحكم على ذلك الفرد بأنه قد تعلم . رغم أننا لم نلحظ أي تغير أو تغيرات حدثت لهذا الفرد .

والسؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا الآن هو :

« كيف حكمنا على ذلك الفرد بأنه قد تعلم ؟ »

لا شك أن عملية التعلم لا يمكن ملاحظتها ملاحظة مباشرة ، لما حدث داخل الفرد من تغيرات إزاء تعلمه للموقف التعليمي المراد تعلمه ، ولكن ما يسهل ملاحظته ملاحظة مباشرة هما :

١ ـــ الموقفل التعليمي الذي يوجد فيه الفرد بمختلف مثيراته .

٢ ـــ إستجابات الفرد إزاء مثيرات هذا الموقف التعليمي ، أو بعبارة أدق أداء الفرد في هذا الموقف .

فالأداء هو مجموع الاستجابات التي يأتي بها الفرد في موقف معين . وهذا الأداء هو ما يمكن ملاحظته ملاحظة مباشرة ، كما يمكن قياسه بطريقة أو بأخرى من طرق القياس .

التعلم تغير في الأداء :

سبق أن قررنا أن ما يلاحظ من التعلم هو مجموعة المثيرات الخارجية المرتبطة بالموقف التعليمي والتي تستثير في الفرد مجموعة من الاستجابات والتي تشكل في مجموعها الأداء . وطالما أن هذا الأداء يمكن ملاحظته كما يمكن قياسه ، فالتعلم إذن : « هو تغير في الأداء » .

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو :

« هل كل تغير في الأداء يعتبر تعلم ؟ »

للاجابة على هذا السؤال يجب أن نفرق بين التغير في الأداء الناتج عن التعلم والتغير فى الأداء الناتج عن كل من :

١ ــ التعـــب .

٢ ــ النضـــج .

١ ــ **التعـــب** : فالتعب غالباً ما يكون تخاذلاً أو نقصاناً في طاقة ومقدرة الفرد . وبالتالي التغير في الأداء الناتج عن التعب يكون تغيراً نحو الأسوء من الأداء ، بينما التغير في الأداء الناجم عن التعلم يكون دائماً إلى الأفضل وإلى الأجود . هذا فضلاً عن أن التغيرات في الأداء الناتجة عن التعب مؤقتة سرعان ما تزول بزوال أسبابها . بينما التغيرات في الأداء الناتجة عن التعلم ثابتة ومستقرة .

٢ ــ **النضـــج** : التغيرات في الأداء الناتجة عن النضج تكون كامنة في التركيب التشريحي للكائن الحي . ومن ثم يرجع هذا التغير إلى عوامل داخلية عضوية ولا تؤثر العوامل الخارجية على مظاهره إلا تأثيراً طفيفاً . بينما التغير في الأداء الناتج عن التعلم يختلف عن ذلك تماماً ، إذ يخضع مباشرة للعوامل الخارجية التي يحتك بها الفرد ويتفاعل معها في الموقف التعليمي .

إذن فليس كل تغير في الأداء يعتبر تعلماً . وفيما يلي نستعرض التعريفات المختلفة لمفهوم التعلم .

تعريف التعلـــم :

اهتم كثير من علماء النفس بموضوع التعلم ، ويرجع ذلك للأهمية الكبرى لعملية التعلم في إكساب الفرد القدرة والمهارة على تعديل سلوكه ليتمكن من حل المشكلات التي تصادفه في حياته العملية ، كما تساعده أيضاً في إحداث علاقة أكثر توافقاً وتكيفاً مع البيئة التي يعيشها ، ومن أهم هذه التعاريف :

تعريف جيتس Gates :

« بأنه عملية إكتساب الوسائل المساعدة على إشباع الحاجات والدوافع وتحقيق الأهداف »

هكذا يوضح جيتس دور الدافع والحاجة في حدوث عملية التعلم ، كما أنه كثيراً ما يتخذ التعلم صورة حل المشكلات . وإن كان هذا التعريف لا ينطبق على جميع المواقف التي يحدث فيها التعلم ، فقد يحدث أن يتعلم الفرد خبرة لم يكن يقصد تعلمها بل تأتي بطريق الصدفة .

تعريف جيلفورد Guilford :

فقد عرف جيلفورد التعلم « بأنه أي تغير في السلوك ناتج عن إستثارة » هذا التغير قد يكون نتيجة لأثر منبهات بسيطة وقد يكون لمواقف معقدة .

وربما يكون هذا التعريف أكثر وضوحاً لأننا كثيراً ما نعدل أو نغير من سلوكنا وفقاً للمثيرات التي نواجهها في حياتنا اليومية .

شـــروط التعلـــم

الذي يهمنا هو التعلم الهادف الموجه ، فلا يجب أن نترك الأطفال يتعلمون عشوائياً من البيئة التي يعيشون فيها ، وإنما نحدد لهم طبيعة ونوعية المواقف التعليمية ، كما نحدد أيضاً مستويات معينة يصل إليها كل تلميذ في كل مرحة تعليمية . وبالتالي نقرر الأهداف التعليمية المنشودة ثم نختار المناهج والمقررات ، وهنا يأتي الدور القيادي للمعلم الذي يباشر عملية تعلم نشطة هادفة يقصد بها تحقيق أهداف معينة .

والتعلم الهادف له شروط معينة نوردها فيما يلي :

أولاً : النضـــج

يقصد بالنضج تلك التغيرات الداخلية في الكائن الحي والتي ترجع إلى تكوينه الفسيولوجي . هذه التغيرات محكومة بالتكوين الداخلي للفرد ، فهي سابقة على الخبرة والتعلم لأن العوامل البيئية الخارجية لا تلعب دوراً أساسياً في خلق هذه التغيرات .

العلاقة بين النضج والتعلم :[1]

١ ـــ هناك فرق بين النضج والتعلم . فتغيرات النضج ترجع في أساسها لعوامل داخلية خاصة بتكوين الفرد نفسه . بينما التغيرات الناتجة عن التعلم ترجع إلى العوامل البيئية الخارجية المحيطة بالفرد .

٢ ـــ يتوقف التعلم على النضج ، بمعنى أن تعلم موضوع معين يتوقف على مستوى نضج الفرد ومدى مناسبة هذا النضج لموضوع الخبرة المراد تعلمها . فمن العبث مثلاً أن نعلم طفل في الشهر السادس طريقة المشي لأن نموه العضوي لم يصل مستوى النضج المناسب لتعلم هذه المهارة ، من هنا يعتمد التعلم على النضج .

٣ ـــ النضج وحده غير كاف لحدوث التعلم ، بمعنى أن بلوغ الطفل سن المدرسة الابتدائية يكسبه القدرة على القراءة أو الكتابة ، لكنه لا يستطيع بحال من الأحوال اكتساب هذه القدرة إلا إذا تيسر له ممارستها . وهنا يتضح لنا دور الممارسة كشرط من شروط التعلم .

---

(١) دكتور أحمد زكي صالح : علم النفس التربوي (مرجع سابق) ص ٣٣٢ .

ثانياً : الممارســـة

بالعودة إلى ما ذكرنا سابقاً عن الموقف التعليمي الخاص بتعلم مهارة الكتابة على الآلة الكاتبة . يتضح لنا أن ذلك الفرد ما كان له أن يتقن هذه المهارة إلا باستمرار التدريب وممارسة المحاولات العديدة والتي أدت به في النهاية إلى تعلم هذه المهارة . من هنا يتبين لنا أن التعلم لا يحدث إلا تحت شرط الممارسة . فالممارسة شرط من شروط التعلم ، بمعنى أنه لا يحدث تعلم بدون مارسة . والسؤال الآن هل بالضرورة كل ممارسة تؤدي إلى تعلم ؟

فليست بالضرورة كل ممارسة تؤدي إلى تعلم ، والدليل على ذلك أننا نمارس أساليب سلوكنا الحركي المعتاد دون أن يحدث في أدائنا لها أي تحسن تبعاً للممارسة ، مثل أعمال الصباح التي نمارسها كل يوم مثل غسل الوجه وارتداء الملابس وقيادة السيارة ، رغم أننا نمارسها يومياً ولكن لا ننسى أن هذه الأمور كانت يوماً ما أنماط سلوكية تحت الممارسة التي أدت بنا إلى تعلمها وإتقانها حتى أن أي ممارسات أخرى لا تضيف إليها أي جديد . والممارسة باختصار هي تكرار نمط سلوكي بحذافيره . ويجدر بنا أن نفرق بين التكرار القح الرتيب وبين التكرار المعزز . فالتكرار القح كأن يطلب إلى طفل مثلاً في المرحلة الابتدائية بكتابة كلمة معينة عدة مرات وبفرض أنه قد أخطأ في كتابة الكلمة في محاولاته الأولى ، فهل يعني ذلك بأنه سوف يصل إلى كتابة الكلمة صحيحة في المحاولات الأخيرة ؟ بالطبع سيظل يكرر كتابة الكلمة الخطأ مالم يوجه أحد وينبه إلى الصواب ، وهنا يكون التكرار المعزز الموجه . وبالتالي فإن نمط الممارسة ، الذي يجب أن يذكر في العملية التربوية هو ذلك النمط المعزز أو الموجه . وهنا تظهر المهمة الأساسية للمدرس في توجيه ممارسات التلاميذ توجيهاً يتحقق معه التحسن في الأداء .

ثالثاً : الدافعيـــة

معنى الدافعيــة :

« الدافعية مفهوم عام أو تكوين فرضي لا يشير إلى حالة خاصة بالذات ، بل يستدل عليه من سلوك الكائنات الحية في المواقف المختلفة »[1] فالدوافع هي الطاقة الكامنة في الكائن الحي والتي تدفعه ليسلك سلوكاً معيناً في البيئة التي يعيشها . هذه الدوافع هي التي ترسم للكائن الحي أهدافه وغاياته لتحقيق أفضل تكيف ممكن مع بيئته الخارجية .

وقد أسلفنا الحديث عن الدوافع وأنواعها بالتفصيل في الفصل الخامس . ولكن ما يهمنا الآن الدوافع من حيث علاقتها بموضوع التعلم . فالتعلم لابد وأن يحدث في موقف سيكولوجي معين ، كنتيجة لوجود حالة توتر لدى الكائن الحي ، ويهدف هذا النشاط إلى إزالة حالة التوتر الناتجة عن وجود دافع معين ، وسرعان ما تزول حالة التوتر هذه حالما يشبع هذا الدافع .

وعلى ذلك يمكن تحديد وظيفة الدوافع في عملية التعلم في الوظائف الثلاث الآتية :

وظيفــة الدوافــع :[2]

١ ــ الدوافع تحرر الطاقة الانفعالية الكامنة في الكائن الحي ، والتي تثير نشاطاً معيناً . فالدوافع باختلاف أنواعها تعد الأسس الأولى لعملية التعلم .

٢ ــ الدوافع تملي على الفرد أن يستجيب لموقف، معين دون غيره من

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣٦ ــ ٣٣٧ .

المواقف الأخرى ، كما تملي عليه أيضاً طريقة التصرف في هذا الموقف .

٣ ـ الدوافع توجه السلوك وجهة معينة دون غيرها ، وهي الوجهة التي تشبع الحاجة الناشئة عند الكائن الحي ، ومن ثم تزول حالة التوتر لديه .

إذن فوجود حاجة معينة عند الكائن الحي لم تشبع تجعله يسلك سلوكاً معيناً ، بهدف إشباع حاجته ، وهذه هي القاعدة الأساسية التي اتبعت في تجارب التعلم التي أجريت على أنواع مختلفة من الحيوانات . ومن أهم تلك الدوافع القوية التي استخدمت في هذه التجارب هو حاجة الحيوان إلى الطعام ، وعلى الحيوان أن يتعلم طريقة الوصول إلى الطعام ليشبع حاجته من الطعام ، كما سيلي ذكر ذلك تفصيلاً في نظريات التعلم .

أولاً : نظرية بافلوف Pavlov
الاشـتراط البسـيط
Simple Conditioning

يعتبر إيفان بافلوف Evan Pavlov (١٨٤٩ ــ ١٩٣٦) العالم الفسيولوجي الروسي صاحب نظرية الاشتراط البسيط . ولم يكن بافلوف عالماً من علماء النفس ، ولكنه كان متخصصاً في علم وظائف الأعضاء ، فقد كان مهتماً بدراسة فسيولوجيا الهضم لدى الكلاب عندما اكتشف بالصدفة الفعل المنعكس الشرطي الذي بنى عليه نظريته في التعلم . فقد لاحظ أن سيلان لعاب الكلب وهو استجابة إنعكاسية طبيعية لمضغ الطعام ، أصبح استجابة لمثيرات أخرى غير عملية المضغ ، مثل رؤية الحارس الذي كان يقدم الطعام ، أو حتى لمجرد سماع وقع أقدامه .

فقد أثارت هذه الظاهرة تفكير بافلوف ، لأنه عجب من أن الحارس نفسه أو وقع أقدامه كانت تثير اللعاب برغم كونه ليس مثيراً طبيعياً له ، ولهذا بادر بإجراء تجاربه لدراسة هذه الظاهرة .

الوقائـع التجريبيـة :

١ ــ أجرى بافلوف عملية جراحية للكلب لكي يحول إحدى أنابيب الغدة اللعابية إلى السطح الخارجي حتى يسيل اللعاب إلى الخارج ومن ثم يمكن جمعه وقياسه .

٢ ــ أدخل بافلوف الكائن الحي بعد شفاءه إلى حجرة التجربة وجعله يألف المكان الذي ستجرى فيه التجربه .

٣ ــ ثم أوقفه على منضدة وقيد أرجله حتى يمنعه من الحركة ، ووضع أنبوبة أسفل الغدة اللعابية لاستقبال اللعاب ، وكان الكلب في حالة جوع .

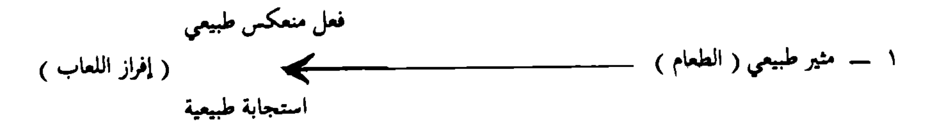
٤ ــ وبدأ بإصدار صوت جرس لمدة ٧ أو ٨ ثواني ، وعقب إنتهاء الصوت مباشرة يقوم بوضع الطعام في فم الكلب ، وحينئذ لاحظ بافلوف سيلان اللعاب .

٥ ــ وقد استمر بافلوف في عملية تعاقب تقديم الطعام بعد إنتهاء صوت الجرس مباشرة وكان يلاحظ سيلان اللعاب في كل مرة . وبعد حوالي ٣٠ مرة من تعاقب إصدار الصوت ووضع الطعام ، بدأ الكلب في إفراز اللعاب فور سماعه لصوت الجرس وبدون إنتظار تقديم الطعام .

٦ ــ فسر بافلوف ظاهرة سيل اللعاب بمجرد سماع صوت الجرس ، بأن صوت الجرس اكتسب القدرة على إفراز اللعاب . وقد أطلق على هذه الظاهرة « الفعل المنعكس الشرطي »[1] .

قانــون التعلــــم :

مما تقدم من وقائع تجريبية يتضح لنا أن قانون التعلم في نظرية بافلوف هو « الاقتران الزمني » وهو القانون الوحيد المسؤول عن تكوين العلاقة الشرطية ، أي أن التعلم يتوقف على التصاحب الزمني والاقتران بين مثيرين أحدهما طبيعي (الطعام) والآخر شرطي (الجرس) . ولتوضيح فكرة الاشتراط ، يمكن تصوير تجربة بافلوف بالرسم التالي :



(١) دكتور إبراهيم وجيه : التعلم أسسه ونظرياته وتطبيقاته ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٦ ، ص ١٩٦ .

٢ ـ مثير شرطي أو صناعي (دقات الجرس) + المثير الطبيعي (الطعام) ——— ← إفراز اللعاب

بتكرار هذه الخطوة عدة مرات ثم تقديم :

المثير الشرطي أو الصناعي (دقات الجرس) ——— ← فعل منعكس شرطي (إفراز اللعاب)

وبذلك يكتسب المثير الشرطي أو الصناعي (دقات الجرس) صفة المثير الطبيعي (تقديم الطعام) في قدرته على استدعاء الاستجابة الانعكاسية وهي سيلان اللعاب .

ويصيغ بافلوف قانون الاقتراب الزمني في العبارة التالية :

« يزيد إقتران المثير الشرطي مع المثير الطبيعي (المثير الأصلي) من قوة المثير الشرطي لاستدعاء إستجابة المثير الأصلي »[1] .

الفعل المنعكس الشرطي من الدرجة الثانية :

يمكن حدوث الاستجابة الشرطية على درجات أعلى من استخدام مثير شرطي واحد ، بأن يمكن تكوين اقتران شرطي من الدرجة الثانية على طريق استخدام مثيرين شرطيين . فيظهر المثير الشرطي الأول وليكن ضوء أحمر مثلاً ، ثم يعقبه ظهور المثير الشرطي الثاني وليكن دقات الجرس ، وبعدها يظهر مباشرة المثير الطبيعي أو الأصلي (تقديم الطعام) . وبتكرار التجربة عدة مرات يتكون الفعل المنعكس الشرطي من الدرجة الثانية .

وقد لوحظ أنه يأخذ وقت وجهد أكبر من تكوين الفعل المنعكس الشرطي من الدرجة الأولى .

---

(١) دكتور أحمد زكي صالح : علم النفس التربوي (مرجع سابق) ، ص ٣٩٧ .

وقد سمي الفعل المنعكس اقتباساً من علم الضوء ، ذلك لأن الضوء بمجرد أن يسقط على المرآة ينعكس مباشرة ، دون أن تكون هناك فترة زمنية يعتد بها بين سقوطه وانعكاسه .

تجربة العالم الأمريكي واطسن على الأطفال[1] :

أجرى واطسن عدداً من التجارب لكي يثبت إمكان تكون الاستجابة الشرطية عند الحيوان والانسان . وإحدى هذه التجارب تلك التي أجراها على طفل عمره ١١ شهراً . قدم للطفل لعباً كان يحب اللعب بها ويأنس لها ، وكان من بين هذه اللعب فأر أبيض . وكان واطسن سبق أن لاحظ أن هذا الطفل يعتريه خوف شديد عند سماعه الأصوات العالية المفاجئة . وبعد أن تعوّد الطفل اللعب مع الفأر ، أحدث واطسن صوت عالٍ مفاجئ أثناء لعب الطفل مع الفأر . وبتكرار هذا الموقف ، صار الطفل يخاف بمجرد رؤيته للفأر ، والأكثر من ذلك أنه كان يخاف أيضاً لمجرد رؤية ما يشبه ذلك الفأر الأبيض .

وقد لاحظ واطسن أن تكوين الفعل المنعكس الشرطي يتم في الانسان أسرع مما يحدث في حالة الحيوان ، ويرجع ذلك لامكانيات الجهاز العصبي الذي وهبه الله تعالى للانسان .

هذا ويمكن أن نشير إلى الاعتبارات التالية التي بنى على أساسها بافلوف نظريته في الاشتراط البسيط :

١ ـ التكـــرار :

أظهرت تجربة بافلوف أن الارتباط بين المثير الشرطي (صوت الجرس) وبين الاستجابة الشرطية (إسالة اللعاب) كان ضعيفاً في

---

(١) دكتور إبراهيم وجيه : التعلم أسسه ونظرياته وتطبيقاته (مرجع سابق) ، ص ٢٠١ .

أول الأمر ، ولكن بعد فترة حدث أثناءها تكرار ظهور المثير الشرطي مع المثير الطبيعي (تقديم الطعام) ، أمكن بعدها للمثير الشرطي أن يستدعي الاستجابة الشرطية . وهكذا أوضحت تجارب الاشتراط أن ميل الاستجابة الشرطية للاستدعاء يزداد بزيادة التكرار .

٢ ـ عامل الزمن :

تتم عملية الارتباط الشرطي حينما يحدث المثير الشرطي قبل المثير الطبيعي بفترة زمنية قليلة . لأنه من الضروري أن يكون الكائن الحي في حالة إنتباه لاستقبال المثير الطبيعي أثناء إستقباله للمثير الشرطي . وقد دلت التجارب على أن أسرع عمليات التعلم الشرطي تتم إذا كانت هذه الفترة في حدود ٠,٤ أو ٠,٥ ثانية[1] .

٣ ـ التعزيز :

يقصد بالتعزيز حدوث المثير الشرطي في أعقاب ظهور المثير الطبيعي . ففي تجربة بافلوف يعتبر تقديم الطعام بعد سماع دقات الجرس تعزيزاً للمثير الشرطي وهو صوت الجرس ليصبح قادراً على إستدعاء الاستجابة الشرطية . وقد لوحظ أنه كلما زادت مرات التعزيز ، أي تكرار ظهور المثير الطبيعي مع حدوث المثير الشرطي ، كلما زادت قوة الاستجابة المتعلمة .

٤ ـ الانطفاء :

لاحظ بافلوف أنه بتكرار المثير الشرطي دون تعزيز من المثير الطبيعي فإن كمية اللعاب تأخذ في النقصان شيئاً فشيئاً حتى تختفي

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

تماماً . وسمى بافلوف هذه الظاهرة بظاهرة الانطفاء ، وقد صاغها بافلوف في العبارة التالية :

« إذا ظهر المثير الشرطي دون تدعيم للمثير الطبيعي فإن الفعل المنعكس الشرطي يضعف أو يتلاشى »[1] .

ولكن لاحظ بافلوف أنه يمكن إعادة العلاقة الشرطية إلى قوتها الأولى حين يبدأ تدعيم المثير الشرطي بالمثير الطبيعي .

٥ ـ التعميم :

لوحظ أن الكلب قد يستجيب للأصوات المقدمة إليه القريبة من الصوت الأصلي ، بمعنى أنه إذا كان الصوت المقدم للكائن الحي مكون من ٨٠٠ ذبذبة في الثانية فإنه قد يستجيب أيضاً للأصوات المقاربة المكونة من ٨٠٥ أو ٨١٠ .

هذه القاعدة هي قاعدة التعميم التي توضح مقدرة الفرد على الاستجابة للمواقف المختلفة تبعاً لدرجة التشابه بينها وبين الموقف الأصلي الذي تم فيه التعلم . فالطفل مثلاً الذي عضه كلب تتكون لديه إستجابه الخوف من الكلاب ، وتظهر هذه الاستجابة عند رؤية حيوانات أخرى تشبه الكلاب ، كالخوف من القطط والأرانب ، وما شابه ذلك . ولكن كلما كانت المثيرات مشابهة للمثير الأصلي كلما زاد إحتمال حدوث الاستجابة .

تطبيقات تربوية على التعلم الشرطي :

في الواقع إن قانون الاقتران لا يمكن إستعماله في مواقف التعلم الانساني إلا بقدر بسيط كما يتضح فيما يلي :

---

(١) دكتور محمد خليفة بركات : علم النفس التعليمي ، الكويت : دار القلم ١٩٧٤ م ، ص ١٩٨ .

١ ــ لما كان تكوين رباط شرطي من الدرجة الثالثة أصعب من تكوينه من الدرجة الثانية وهذا بدوره أصعب من رباط الدرجة الأولى ، لذا وجب على المعلم ألا يقدم لتلاميذه خبرة تعليمية جديدة قبل أن يتأكد من استيعابهم للخبرات السابقة .

٢ ــ كلما تعقدت الخبرة التعليمية المراد تعلمها كلما تطلبت جهداً أكبر من المعلم عن طريق تكرار شرح هذه الخبرة حتى يتم استيعابها .

٣ ــ كلما حذفت العوامل المشتتة لانتباه التلميذ أثناء الدرس ، كلما ساهم ذلك في تسهيل عملية التعلم .

٤ ــ لما كان للتعزيز دور كبير في تعلم الاستجابة الشرطية ، لذلك يفضل أن يقوم المعلم بعملية تعزيز للاجابات الصحيحة الصادرة من التلاميذ ولو بالتشجيع الأدبي بكلمة « أحسنت » .

٥ ــ كره التلميذ لمادة دراسية معينة قد لا يكون ناتجاً عن صعوبة المادة ، ولكن قد يحدث ذلك كاستجابة شرطية لكره مدرس هذه المادة . وقد ينتج كره التلميذ للمدرس كاستجابة شرطية لمواقف التأنيب والتوبيخ التي تتكرر بين المدرس والتلميذ . لذلك وجب على المعلم أن يحترم القدرات الذاتية للتلميذ . كما يجب أن تسود علاقات الود والمحبة والاحترام المتبادل بين المعلم والتلميذ .

نقد نظرية بافلوف :

١ ــ أجرى بافلوف تجاربه على الحيوان ، وفارق كبير بين ما ينطبق على الانسان كإنسان وما ينطبق على الحيوان كحيوان ، حتى أن هذه النظرية لا تستطيع أن تفسر لنا السلوك الانساني الراقي .

٢ ــ صحيح أن واطسن حاول أن يتفادى ما عجز عنه بافلوف ، فأجرى تجاربه على طفل عمره حوالي سنة . والسؤال الآن :

هل هذا اللون من التعلم يستطيع أنْ يلقي ولو بعض الضوء على أنماط السلوك المعقد التي يتعلمها الانسان خلال حياته ؟

٣ ــ كما أن تقييد حركة الكائن الحي بربطه على المنضدة يعد نوعاً من الاملاء وليس نوعاً من التعلم ، لأن ما نبغيه هو التعلم الناتج عن النشاط الذاتي الحر ، وليس التعلم بالاكراه .

ثانياً : نظرية جاثري Guthrie
التعلم بالاقتران

يقرر جاثري صاحب هذه النظرية أنه لابد أن نفرق بين كل من الحركات والأفعال ، فالحركات ما هي إلا أنماط إستجابات أولية كإفراز غدة أو حركة عضلية ، أما الأفعال فهي مجموعة حركات هادفة .

قانون التعلم :

القانون الرئيسي للتعلم في نظرية جاثري هو قانون الاقتران الذي صاغه في العبارة التالية :

« إذا نشط مثير ما وقت حدوث إستجابة معينة ؛ فإن تكرار هذا المثير يؤدي إلى حدوث تلك الاستجابة »[1] .

هذا يعني أنه التعلم يتم من أول عملية إقتران بين مثير وإستجابة ، مصداقاً للقول المأثور « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ، ورؤية الشمس الساخنة تذكرنا بالمظلة ، وسماع الزغاريد تذكرنا بالأفراح .

---

(١) دكتور إبراهيم وجيه : التعلم أسسه ونظرياته وتطبيقاته (مرجع سابق) ، ص ٢١٩ .

معنى ذلك أن التعلم يتم من أول عملية إقتران بين المثير والاستجابة ، وهذا يعني أن التكرار لا يدعم ما نتعلمه ، فالاقتران إما يحدث من أول محاولة أو لايحدث ، والتقارب الزماني والمكاني يساهمان في تكوين هذا الاقتران .

ظاهرة الكف الارتباطي :

هي ظاهرة إنفصال الاستجابات عن مثيراتها الأصلية . وقد صاغ جاثري هذه الظاهرة كما يلي :

« عندما يصاحب مثير باستجابة جديدة ويكون هذا المثير قد سبق وصاحب إستجابه ما أخرى ، وكانت الاستجابة الجديدة متباينه تماماً عن الاستجابة القديمة فإن الارتباط الأول يحذف تماماً »[1] .

ويمكن توضيح فكرة الكف الارتباطي بالرسم التالي :

١ ــ م$_1$ (مثير) مرتبط باستجابة قديمة س$_1$ (إستجابة قديمة)

٢ ــ م$_1$ (نفس المثير السابق) ارتبط بأخرى جديدة س$_2$ (استجابة جديدة)
بحيث أن الاستجابة س$_1$ تختلف عن الاستجابة س$_2$ ، فإن :

٣ ــ م$_1$ (مثير) يضعف الارتباط أو يحذف تماماً س$_1$ الاستجابة القديمة

٤ ــ أما العلاقة
م$_1$ يظل هذا الارتباط قائم س$_2$ (الاستجابة الجديدة)

---

(١) دكتور أحمد زكي صالح : علم النفس التربوي (مرجع سابق) ، ص ٤٠٠ .

بمعنى أن الكف الارتباطي هو عملية إحلال إستجابة جديدة مكان إستجابة قديمة كانت مرتبطة بمثير معين .

وسائل تحقيق الكف الارتباطي :[1]

١ ــ تقديم المثير المراد حذفه مع مثيرات أخرى تكون إستجابة مانعة . فقد كان كلب ولوع بقتل الدجاج وأكله ، فأمكن التغلب على ذلك بأن ربطت حول عنقه رمة إحدى الفراخ المتعفنة ، وكنتيجة لرائحتها الكريهة ، حاول الكلب التخلص منها ، وبالتالي أصبح الكلب يرغب عن الدجاج بدلاً من تتبعهم وقتلهم .

٢ ــ تقديم المثير المراد كفه بدرجات طفيفة والعمل على زيادة قوته شيئاً فشيئاً ، حتى يزول أثره وهو في أوج قوته . فإذا كان طفل يخشى الظلام مثلاً ، فإننا ندخله حجرة مظلمة وهو على كتف أمه ، ثم بعد ذلك تدخل أمه وهو من ورائها ، ثم يدخل هو ممسكاً بأمه من وراءه ، ثم يدخل وهو يسمع صوت أمه التشجيعي ، وأخيراً يدخلها لوحده . وهنا يزول الظلام كمثير للخوف رغم وجوده في وسط الظلام .

٣ ــ كثرة الاستثارة تنهك الاستجابة . فاستمرار الفرد في عمل معين محبب إليه يجعله يتعب ، وإذا استمر الفرد في أداء هذا العمل بعد إحساسه بالتعب ، فإن استجابته لهذا العمل تأخذ في الضعف شيئاً فشيئاً حتى تزول تماماً . وهذا ينطبق أيضاً على الفرد الذي يشتهي لوناً معيناً من الطعام ، فإذا ما وفرنا له هذا النوع من الطعام في الفطار والغذاء والعشاء لمل هذا النوع من الطعام بعد فترة من الزمن .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٠٠ ــ ٤٠١

تطبيقات تربوية عن التعلم بالاقتران :

١ ــ التعلم بالاقتران يحدث مباشرة بين المثير والاستجابة ، أي أن الارتباط يحدث فورياً بين أحداث حسية وحركية ، وعلى ذلك فإن التعلم الجيد هو ما يحدث عن طريق النشاط الذاتي للفرد أثناء العملية التعليمية وخصوصاً الجانب العلمي منها . لذلك فإنه من الأفضل استخدام الوسائل التعليمية المعينة في عملية التدريس .

٢ ــ تساهم عملية الكف الارتباطي مساهمة فعالة في تعديل سلوك بعض الأطفال الذين يطلبون استمرار الرضاعة بعد عامهم الثاني ، أو خوفهم من الأماكن المظلمة إلى غير ذلك من آساليب السلوك الغير سوي .

نقد نظرية جاثري :

١ ــ لا تمثل المعنى المعروف للنظرية ، وإنما تمثل مجموعة من الآراء التي تحاول أن تشرح بعض المواقف التعليمية بدون إستخدام المنهج التجريبي الدقيق .

٢ ــ ما زالت هذه النظرية عاجزة عن فهم وتفسير السلوك الانساني الراقي والمعقد .

ثالثاً : نظرية ثورنديك Thorndike
التعلـم بالمحاولة والخطـأ

تسمى هذه النظرية أحياناً بنظرية الارتباط أو نظرية الوصلات العصبية أو نظرية المحاولة والخطأ ، وترتبط هذه النظرية باسم العلّامة الأمريكي إدوارد لي ثورنديك ، ويدين علم النفس له لأنه أول من أدخل نظام التجريب على الحيوانات بشكل واسع .

يرى ثورنديك أن التعلم عبارة عن تغير في السلوك ، وأن كل ما يمكن عمله هو ملاحظة هذا التغير في السلوك ودراسته وقياسه . كما يعتبر أن السلوك يبدأ بمثير أو منبه على السطح الحساس للكائن الحي ، ثم ينتقل من الأطراف العصبية إلى المراكز العصبية وبالتالي إلى الأعصاب المصدرة للمخ ، وينتهي الأمر باستجابة معينة قد تكون إنقباض أو تقلص عضلي أو إفراز غدة أو تعبير حركي للكائن الحي . بمعنى أن السلوك كما يراه ثورنديك يبدأ من المسلم لا إستجابة دون مثير ، وهو المبدأ (م ——> س) ، وعلى سبيل المثال سقوط ضوء شديد على حدقة العين يعتبر مثير ، وضيق الحدقة تبعاً لذلك الضوء هو الاستجابة ، كذلك دخول جسم غريب حنجرة الانسان يمثل المثير والسعال يمثل الاستجابة إلى غير ذلك من ألوان الاستجابات الأولية .

الوقائـع التجريبيـة :

أجرى ثورنديك تجاربه على أنواع مختلفة من الحيوانات وكان أشهرها تجاربه على القطط . وكان موضوع التعلم في هذه التجارب هو فتح باب القفص والحصول على الطعام . وقد صممت الأقفاص الميكانيكية بطريقة خاصة ، إذ يمكن فتح باب القفص بأكثر من طريقة ، كأن يجذب الحيوان سقاطة ، أو يدير مفتاحاً خاصاً ، أويضغط على رافعة . وكان الموقف التجريبي يتضمن وضع القط وهو في حالة جوع داخل القفص ، وعن طريق جذب السقاطة المثبتة داخل القفص يفتح الباب فيستطيع القط الخروج وبذلك يحصل على المكافأة وهو الطعام .

وهناك عدة اعتبارات في الموقف التجريبي نذكرها فيما يلي :[1]

١ ــ وجود حاجة لم تشبع لدى الكائن الحي ، وهي حاجته إلى الطعام ، والتي لا يتحقق إشباعها إلا عن طريق فتح باب القفص .

---

(١) دكتور طلعت منصور وآخرين : أسس علم النفس العام (مرجع سابق) ، ص ٢٥٠ ــ ٢٥١

٢ ـــ وجود عائق لم يسبق أن مر بخبرة الكائن الحي من قبل ، ويجب عليه التغلب على هذا العائق ليخرج من القفص ويفوز بالطعام .

٣ ـــ يقاس مدى التحسن في أداء الكائن الحي بالفترة الزمنية التي يستغرقها في إزالة العائق ، وهو فتح باب القفص .

وعند وضع القط داخل القفص لاحظ ثورنديك قيامه في بداية الأمر بعدة حركات عشوائية في سبيل التخلص من العائق وليتمكن من الحصول على الطعام الموجود خارج القفص . إلا أنه لاحظ تناقص تلك الحركات العشوائية ، بدليل تناقص الزمن المستغرق في كل محاولة عن السابقة لها ، إلى أن ثبت الزمن في المحاولات الأخيرة عند حوالي ٧ ثوان بعد أن كان الزمن المأخوذ في المحاولة الأولى حوالي ١٦٠ ثانية . وبالتالي فقد حدث تغير ملحوظ في أداء القط . ولاشك أن ثبوت الزمن في المحاولات الأخيرة تعني تعلم القط الموقف التجريبي وهو طريقة فتح القفص .

تفسير عملية التعلم :

أولاً ـــ تفســير واطســون :

لاحظ واطسن أن الحركات الناجحة هي التي تبقى وتستمر وأن الحركات الفاشلة هي التي تذهب ولا تعود . ولكن كيف حدث الاختيار بين أنماط الاستجابة الناجحة والاستجابة الفاشلة ؟ وما هي العوامل التي تدخلت في حذف الحركات غير الناجحة ؟ ويجيب واطسون على هذين السؤالين قائلاً : إن الحركات التي تبقى ويتأتي بها الكائن الحي كثيراً ، هي الحركات الناجحة أي التي تقود إلى تحقيق الغاية المطلوبة وذلك لأنها يجب أن تظهر في كل محاولة لا تنتهي إلى الفشل ، لأن ظهور هذه الاستجابات ينهي التجربة ويحل الموقف المشكل بفتح باب القفص .

ولتوضيح ذلك دعنا نعبّر عن هذه الفكرة في رموز ، فنفترض أن هناك حركتين ، فإذا كانت الحركة (أ) فعل مخطئ لا يفتح باب القفص ، فإن الحركة (ب) فعل مصيب يؤدي إلى فتح باب القفص . فإذا ما أجرينا التجربة ثمان مرات فإننا نحصل على مجموعة من الأفعال يمكن وصفها كما يلي :

في المحاولة رقم (١) : أ ب	في المحاولة رقم (٥) : ب
في المحاولة رقم (٢) : ب	في المحاولة رقم (٦) : ب
في المحاولة رقم (٣) : أ ب	في المحاولة رقم (٧) : أ ب
في المحاولة رقم (٤) : أ ب	في المحاولة رقم (٨) : أ ب

من الأفعال السابقة نلاحظ أنه كلما جاءت الحركة (أ) الخاطئة تبعتها الحركة الصحيحة (ب) ، ولكن إذا حدثت الحركة (ب) أولاً فلا داعي لأن يتبعها شئ . ويلاحظ أن الحركة (ب) تكررت في كل محاولة لأنها الحركة الصحيحة الناجحة التي تنهي التجربة ، في حين أن الحركة (أ) تكررت أربع مرات فقط . وهكذا يفسر واطسن عملية التعلم على أساس التكرار .

ثانياً ــ تفسير ثورنديك :

لم يقبل ثورنديك تفسير واطسون للتعلم على أساس قانون التكرار الذي قال به ، لأنه كما يقول مبني على فرض خاطئ ؟ إذ أن الكائن الحي لا يقوم بفعل ثم يسرع إلى إجراء فعل آخر مختلف عن الأول ، بل غالباً ما يقوم الكائن الحي فعلاً بالحركة غير الصحيحة (أ) عدة مرات قبل أن يأتي بالفعل الصحيح (ب) . وفي هذه الحالة يكون للتكرار نتائج مختلفة تماماً عن تلك التي قال بها واطسن ، وبالتالي يكون لدينا الجدول التالي :

في المحاولة رقم (١) : أ أ أ ب	في المحاولة رقم (٥) : ب
في المحاولة رقم (٢) : ب	في المحاولة رقم (٦) : ب

في المحاولة رقم (٣) : أ أ أ ب   في المحاولة رقم (٧) : أ أ أ ب

في المحاولة رقم (٤) : أ أ أ ب   في المحاولة رقم (٨) : ب

من الجدول السابق نلاحظ أنه في المحاولات الثمانية ظهرت الحركة (أ) إثنتى عشرة مرة ، في حين ظهرت الحركة الصحيحة (ب) ثمان مرات أي بعدد المحاولات التي أجريت ، وهذا يعني أن الحيوان قد يكرر الفعل الخاطئ أكثر من مرة في كل محاولة حتى تنتهي المحاولة بالفعل الصحيح الذي يوصل إلى الغاية .

هذا ويقرر ثورنديك بأنه لابد من وجود عامل آخر هو المسئول عن تعديل السلوك غير عامل التكرار وهو عامل الأثر .

قوانين التعلم :

وضع ثورنديك مجموعة من القوانين الأساسية وهو بصدد تفسير عملية التعلم ، هذه القوانين[1] هي :

١ ــ قانون الأثر :

« حينما يحدث إرتباط بين موقف وإستجابة ، ويصاحب ذلك أو يتبع بحالة رضا وارتياح وإشباع فإن قوة الارتباط تزداد ، أما حينما يصاحب الارتباط أو يتبعه حالة ضيق فإن قوة الارتباط تضعف وتقل » وبعبارة أخرى إن الأثر الطيب يقوى ويعزز السيالات العصبية التي يحدث خلالها الأرتباط ، كما أن الأثر غير الطيب يضعفها . هذا يعني أن الحالة النفسية يكون لها أهمية كبرى في سرعة أو بطئ التعلم . ولهذا نجد لقانون الأثر جانبين :

---

(١) دكتور محمد خليفة بركات : علم النفس التعليمي (مرجع سابق) ، ص ١٩٠ ــ ١٩١ .

(أ) **جانب إيجابي :**

ويتضمن كل خبرة أو محاولة مصحوبة بحالة نفسية سارة من شأنها أن تحدث أثراً في النفس يساعد على سرعة التعلم .

(ب) **جانب سلبي :**

ويتضمن كل خبرة أو محاولة مصحوبة بحالة نفسية غير سارة من شأنها أن تحدث في النفس ما يقاوم ويعطل من سرعة التعلم .

٢ ــ قانون الاستعداد :

يفسر هذا القانون معنى الارتياح والضيق التي يتضمنها قانون الأثر ، فيقول :

(أ) حينما تكون الوحدة العصبية على استعداد للسلوك ، فإن سلوكها يريح الكائن الحي .

(ب) حينما تكون الوحدة العصبية على استعداد للعمل ، ولا تعمل ، فإن عدم عملها يضايق الكائن الحي .

(جـ) حينما تكون الوحدة العصبية على استعداد للعمل ، فإن إجبارها على العمل يضايق الكائن الحي .

٣ ــ قانون التكرار أو التدريب :

« كلما زاد ارتباط موقف باستجابة معينة فإن ميل هذا الموقف لاستدعاء هذه الاستجابة يقوى مستقبلاً .

ولهذا القانون في نظر ثورنديك مظهران :

(أ) **قانون الاستعمال :**

أي أن الارتباطات تقوى عن طريق الاستعمال والممارسة .

(ب) **قانون الاهمال :**

أي أن الارتباطات تضعف عن طريق عدم ممارستها .

تطبيقات تربوية عن التعلم بالمحاولة والخطأ :

١ ــ لاشك أن الأثر الحقيقي لنظرية ثورنديك في الحقل التربوي إنما يظهر بوضوح في تطبيق قانون الأثر ، حيث أن إحتمال حدوث التعلم تحت تأثير الأثر الطيب كالمدح أو التقدير أكبر بكثير من إحتمال حدوث التعلم تحت تأثير العقاب .

وهكذا دارت مناقشات واسعة وعديدة بين علماء النفس والتربية حول دور العقاب في المدرسة ، وكاد الأمر أن ينتهي إلى أن العقاب لا دور له في التعلم ، وماله دور فعال هو الأثر الطيب أو الجزاء الحسن . وعلى ذلك وجب على المعلم أن يراعي ذلك الأثر الطيب عن طريق إثابة التلميذ المصيب على إجابته الصحيحة ، على أن تعود مرة أخرى على التلميذ المخطئ لنستبدل الاجابة الخاطئة بالصحيحة .

٢ ــ يجب أن تبدأ العملية التربوية فيما يتعلق بتحديد العلاقة بين الاستجابات البسيطة والمثيرات البسيطة ، بمعنى أن تبدأ من البسيط إلى المعقد ومن الوحدات الأولية إلى الوحدات المعقدة ، ومن الملموس إلى المجرد .

٣ ــ وخير مجال تطبق فيه هذه النظرية هو اكتساب المهارات الحركية وخاصة في حياة الأطفال ، حينما يتعلمون الكتابة كمهارة حركية بالاضافة إلى ركوب الخيل والسباحة إلى غير ذلك من ألوان السلوك الحركي عن طريق نموذج سلوك المحاولة والخطأ .

نقد نظرية ثورنديك :

لوحظ أن ثورنديك أجرى تجاربه على الحيوان ، وكما ذكرنا سابقاً أن هناك فارق كبير بين الحيوان والانسان بما كرمه الله تعالى ، فقد وهبه الله ما يميزه عن سائر المخلوقات ، فحواس الحيوان من سمع ورؤية لها إنعكاسات تختلف عنها عند الانسان ومن هنا فما ينطبق على الحيوان قد لا يتماشى بالضرورة على السلوك الانساني الراقي . ولكن ما هو جدير بالملاحظة أنه كان يجري تجاربه دون تقييد الكائن الحي فكانت تجاربه أقرب إلى الحالة الطبيعية ، وما علينا إلا أن نستفيد منها أكبر إستفادة ممكنة في إطار قيم وتقاليد مجتمعنا الاسلامي .

رابعاً : نظريــة الجشــتالت

Gestalt

لقد كان لاتجاه السلوكيين كما يمثله ثورنديك وواطسون ولاتجاه الشرطيين كما يمثله بافلوف إتجاهاً مضاداً ، مثله كل من فرتهيمر Wertheimer وكوهلر Kohler وكوفكا Koffka . ويعرف هذا الاتجاه باسم الجشتالت وهي كلمة ألمانية الأصل تعني صورة أو صيغة أو شكل أو تكوين كلي عام . فقد رفض هؤلاء العلماء الألمان رفضاً قاطعاً تفسيري ثورنديك وبافلوف لعملية التعلم . فلم يقبل أصحاب مدرسة الجشتالت الاتجاه التحليلي التي تقوم عليه النظريات السلوكية والشرطية ، وعلى ذلك يرفضون مبدأ تحليل السلوك إلى وحدات الاستجابات الأولية التي ترتبط بمثيرات محددة في البيئة . السلوك الحيوي في نظر علماء الجشتالت سلوك كتلي غير قابل للتحليل ، بمعنى أن السلوك وحدة واحدة ، نتيجة لوجود الكائن الحي في موقف معين ، وهذا الموقف يتضمن بعض العوامل التي تؤثر على الكائن الحي فتجعله يستجيب لتلك المواقف

بطريقة معينة لتحقيق أكبر قدر من التكيف والتوافق مع هذا الموقف .

وقد عاب الجشتالتيون على الأقفاص الميكانيكية التي استخدمها ثورنديك في تجاربه أنها كانت معقدة لدرجة أنها لم تسمح بإظهار قدرة الحيوان على التعلم ، فكانت النتيجة التخبط العشوائي من جانب الحيوان وإعتماده على المحاولة والخطأ والتعثر في الوصول إلى الهدف بعد أن أخفق في إدراك عناصر الموقف .

الوقائع التجريبية :

اهتم علماء الجشتالت بإجراء تجارب مشابهة لتلك التي قام بها ثورنديك ، وقد أكدوا أن التعلم قد يحدث لا نتيجة المحاولة والخطأ فقط ، بل أيضاً نتيجة إدراك العلاقات والتي من الممكن أن تساهم كثيراً في حل الموقف المشكل . ولما كان للادراك علاقة مباشرة بالذكاء ، لذلك وجب أن تكون المواقف التجريبية في مستوى مناسب من حيث الصعوبة بالنسبة لذكاء الحيوان حتى يستطيع أن يدرك علاقات الموقف فيسهل عليه تعلمه .

ومن أمثلة التجارب التي أجريت على التعلم بإدراك العلاقات تجربتان شهيرتان قام بهما كوهلر وهما :

١ ـ تجربة الصندوق :

أدخل كوهلر قرداً جائعاً في قفص ، ووضع في أحد جوانبه صندوقاً . وقد علق بعض الموز في سقف القفص بحيث لا يستطيع القرد الوصول إلى الموز المعلق إلا عن طريق إرتقاء الصندوق ليحصل عليه . ويلاحظ في هذه التجربة أن الحالة الداخلية للقرد (حالة الجوع) تدفعه ليتصرف تصرفاً معيناً للحصول على الموز المعلق في سقف القفص (العوامل الخارجية) لاشباع دافع الجوع . وبما أن العوامل الخارجية لا تسمح للقرد الحصول على الموز بطريقة

مباشرة ، إذن فعليه إستخدام ذكائه لادراك الوسيلة التي تمكنه من الوصول إلى الموز ، وبالفعل أدرك القرد العلاقة بين الصندوق والموز المعلق ، فأحضر الصندوق ووضعه أسفل الموز وصعد عليه وتناول الموز وأكله وأشبع دافع الجوع .

٢ ـ تجربة العصا :

قام كوهلر بوضع قرد جائع في قفص معلق فيه بعض الموز ، ثم وضع على الأرض داخل القفص بعض العصى التي يمكن إستخدامها في الحصول على الموز . لاحظ كوهلر نجاح القرد في الحصول على الموز عن طريق إحدى العصي ، وذلك بعد فترة من التأمل والاستكشاف والادراك .

وقد كرر كوهلر هذه التجربة على مستوى أعلى بأن وضع على الأرض داخل القفص مجموعة من العصي القصيرة والتي لا يمكن أن تؤدي كل منها على حدة إلى الحصول على الموز ، ولكن يمكن ذلك باستخدام عصاتين معاً في إيجاد عصا طويلة عن طريق إدخال أحد طرفي عصا في نهاية تجويف الأخرى . ولاحظ كوهلر أن القرد حاول في بداية الأمر الحصول على الموز باستخدام عصا واحدة ، فكان الفشل في كل محاولة حتى أن يئس في التغلب على هذه المشكلة . ثم جلس وأخذ يلعب بعصاتين يحركهما يمنة ويسره ، وصدفة وضع أحد العصاتين في الثقب الموجود في العصا الثانية . وبذلك وجد نفسه ممسكاً بعصا طويلة فأسرع باستخدامها في جذب الموز . وعندما أعيدت هذه التجربة في اليوم التالي استخدم القرد العصاتين بنجاح .

ويفسر كوهلر تعلم الكائن الحي بقوله أن عامل إدراك العلاقات التي ينشئها المجال الادراكي المحيط بالحيوان في الموقف التجريبي الذي هو بصدد تعلمه ، وكذلك بتكوين فكرة عامة للحل الصحيح للمشكلة التي يواجهها ، مما يؤكد وجود قدرة أرقى من خاصية الارتباط الآلي بين الموقف

المثير والاستجابة ، هذه القدرة هي الذكاء ، وهذه القدرة تصبح استبصار حينما تعمل بطريقة فعالة في حل الموقف المشكل . وبذلك فسر كوهلر حدوث التعلم عن طريق ما يسمى بالاستبصار .

قانــون التعلـــم :

إن القانون الرئيسي هو قانون التنظيم أو كما يسمى في كتابات الجشتالت قانون الامتلاء[1] ويتضمن هذا القانون مبدأين أساسيين هما :

١ ــ أن الكل أكبر من مجموع الأجزاء ، بمعنى أن عناصر الموقف التعليمي يحتاج إلى إعادة تنظيم من جديد .

٢ ــ أن إدراك الكل سابق على إدراك الأجزاء ، بمعنى أن إدراك الموقف التعليمي ككل يأتي أولاً ثم يحتاج الفرد بعد ذلك إلى إدراك التفاصيل .

خصائص التعلم بالاستبصار :

توصل علماء الجشتالت من خلال التجارب التي أجروها إلى بعض خصائص التعلم بالاستبصار نذكر منها ما يلي :[2]

١ ــ يتوقف هذا النوع من التعلم على ما لدى الكائن الحي من استعداد عقلي يمكنه من حسن إدراك العلاقات الموجودة في الموقف التعليمي .

٢ ــ يتوقف النجاح في التعلم بالاستبصار على وجود تشابه بين بعض عناصر الموقف الجديد وبين خبرات الفرد السابقة .

٣ ــ يتوقف التعلم بالاستبصار على إعادة تنظيم وترتيب المجال الادراكي الذي يتضمنه الموقف التعليمي .

---

(١) دكتور أحمد زكي صالح : علم النفس التربوي (مرجع سابق) ، ص ٤١١ .

(٢) دكتور محمد خليفة بركات : علم النفس التعليمي (مرجع سابق) ، ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦

٤ ـــ يسبق التعلم بالاستبصار فترة استكشافية تناظر المحاولة والخطأ ولكنها تتميز بتدخل عنصر الملاحظة والفهم وإدراك العلاقات في المحاولات الاستكشافية .

٥ ـــ إذا حدث التعلم بالاستبصار فإن الفرد يستطيع تكرار المحاولة بنجاح بنفس الطريقة وبسهولة وسرعة إذا أعيدت عليه التجربة .

٦ ـــ التعلم بالاستبصار يتبعه عادة زيادة في القدرة على حل المشكلات .

تطبيقات تربوية عن التعلم بالاستبصار :[1]

١ ـــ يمكن الاستفادة من هذه النظرية في تعليم الأطفال الصغار القراءة والكتابة ، فتفضل استخدام الطريقة الكلية بدلاً من الطريقة الجزئية ، حيث يحسن البدء بتعلم الجمل ثم الكلمات ثم الحروف . أي يسير التعلم من العام إلى الخاص ومن المجمل إلى المفصل ومن الكل إلى الجزء .

٢ ـــ يمكن الاستفادة من آراء هذه النظرية في حل المسائل الهندسية عن طريق حصر المجال الكلي للمشكلة مما يساعد على الوصول إلى الحل الصحيح بسرعة ويسر .

٣ ـــ كما يمكن الافادة من النظرية الكلية بمراعاة الفكرة القائلة بأن إدراك الكل سابق على إدراك الأجزاء ، وذلك بتطبيق هذه الفكرة عند عرض المشكلات التعليمية . فعند إلقاء درس مثلاً يحسن البدء بتوضيح الفكرة العامة والهدف العام ثم ينتقل بعدها إلى عرض التفاصيل حيث أن ذلك يساعد على فهم المدلول العام كما يحافظ على الوحدة الكلية للموضوع .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٦ ـــ ٢٠٧ .

نقد نظرية الاستبصار :

لاشك أن هذه النظرية قد حققت بعض التقدم عن النظريات الأخرى السابقة ، بتفسيرها عملية التعلم عن طريق الاستبصار القائم أساساً على مدى ذكاء الكائن الحي وقدرته على إدراك عناصر الموقف التجريبي المراد تعلمه .

هذا فضلاً عن ان تجارب الجشتالت قد أجريت على بعض القرود من فصيلة الشمبانزي ، وهي أكثرها ذكاء في السلم الحيواني قبل الانسان .

ورغم ذلك فما زال الأمر يدعونا بالحاح أكثر من ذي قبل ، لبذل مزيد من الجهد ، وإجراء العديد من التجارب وذلك في محاولة لفهم أعمق لعملية التعلم الانساني .

خامساً : نظرية كلارك هل C. Hull
التعـزيــز

ترتبط هذه النظرية باسم العالم الأمريكي كلارك هل ، وقد تأثر هل وهو بصدد بناء هذه النظرية بمجموعتين من المؤثرات ، إحداهما موضوعية والأخرى منهجية .

١ ــ المؤثـرات الموضوعيــة :

رغم أن نظرية هل لها طابعها الخاص الذي يميزها عن غيرها من النظريات إلا أننا نجد لها أصولاً عند علماء مثل ثورنديك وبافلوف وواطسون وغيرهم ممن تأثر بهم هل وظهرت نتائج هذا التأثير في بناء نظريته .

٢ ــ المؤثــرات المنهجيـــة :

تأثر هل في منهجه الذي اتبعه في بناء نظريته بمناهج العلوم الرياضية . ويرى هل أن المنهج الرياضي الاستدلالي هو المنهج الذي يجب أن يتبناه عالم النفس ، لأنه لا يلاحظ إلا أمرين هما المثير والاستجابة ، أما ما يحدث بين ظهور المثير للكائن الحي وصدور الاستجابة عنه ، فهذه تكوينات فرضية ، أي نفترض حدوثها ولا نستدل عليها إلا بآثارها السلوكية ، لذلك فهي عوامل متوسطة أو تكوينات فرضية . لذلك إعتمد هل على المنهج الاستدلالي الذي استعاره من العلوم الرياضية ، الذي يقوم على أساس عدد بسيط من الفروض أو المسلمات الأولية ، وسار من هذه المسلمات خطوة خطوة ، حتى وصل إلى نظريته السلوكية الكاملة .

المقومات العامة لنظرية[1] هل :

١ ــ الحـــدث الســـلوكي :

الحدث السلوكي هو أساس الدراسة النفسية ، فمنه نبدأ وإليه نعود . ويمكن تفسير أي حدث سلوكي على أساس أنواع ثلاثة من المتغيرات :

(أ) المتغيرات المستقلة Independent variable : وهي التي لها طبيعة المثير ، فتؤثر في الكائن الحي في موقف ما فتدفعه للاستجابة . هذا النوع من المتغيرات يمكن ملاحظته وتحديده وبالتالي يمكن قياسه .

(ب) المتغيرات التابعة dependent variable : وهي عبارة عن الاستجابات الناتجة عن وجود الكائن الحي في موقف معين ، وهي التي تحدث بتأثير المتغيرات المستقلة (المثيرات) . ولما كانت هذه الاستجابات تقع في البيئة الخارجية فإنه يمكن ملاحظتها وبالتالي قياسها .

---

(١) دكتور أحمد زكي صالح : علم النفس التربوي (مرجع سابق) ، ص ٤٢٢ ــ ٤٢٩ .

(جـ) المتغيرات المتوسطة Intervening variable : وهي التي تتوسط بين المتغيرات المستقلة (المثيرات) من جهة ، والمتغيرات التابعة (الاستجابات) من جهة أخرى . هذه العوامل لا يمكن رؤيتها بطريقة مباشرة ، لذلك فقد يطلق أحياناً التكوينات الفرضية .

٢ ــ الحــاجــة :

يسلم هل بوجود حاجات أولية عند الكائن الحي ، هذه الحاجات تجعل الكائن الحي يتصرف تصرفاً معيناً يشبع به هذه الحاجات . والحاجة عند هل « هي حالة لدى الكائن الحي تنشأ عن إنحراف أو حيد العوامل البيئية عن الشروط البيولوجية (الحيوية) المثلى اللازمة لحفظ بقائه »[1] ، وبذلك فإن الحاجة عند هل عبارة عن تكوين فرضي ، وظيفته تحقيق التوازن بين الكائن الحي والبيئة التي يعيشها ، وذلك عن طريق إختزال الحاجة ، وعملية إختزال الحاجة هي لب نظرية هل في التعزيز .

٣ ــ التعــزيــــز :

تعتبر عملية التعزيز المحور الأساسي في نظرية هل ، وهي التي أعطتها قيمتها بين النظريات السلوكية المعاصرة ، وينص المسلم الخاص بعملية التعزيز على ما يلي :

« إذا تكرر ظهور عملية استجابة في تجاور زمني مع عملية استثارة أو مع الأثر الممثل لهذه العملية ، وصوحب هذا الاقتران بنقص في الحاجة لدى الكائن الحي ، فإنه ينتج عن ذلك زيادة ميل هذا المثير لاستدعاء هذه الاستجابة في الحالات التالية لذلك ، والزيادات الحادثة من حالات التعزيز المتتالية تؤدي إلى قوة العادة »[2]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢٤ .

فإذا فرضنا أن هناك فأر عطشان ، وقابل وعاء ماء (م أ) وبدأ يشرب من الماء (س أ) وبالتالي بدأ في اختزال حاجته من العطش وعليه فإن :

م أ ⟵ س أ

ولكن حينما يمارس الكائن الحي نشاطه في اختزال حاجته نجده يخضع أيضاً للمثيرات الخارجية وبالتالي يستجيب لها . فبفرض أن الكائن الحي قد قرصه برغوث (م ب) أثناء اختزاله لحاجة العطش ، فإنه سوف يستجيب لذلك المثير باستجابة الهرش (س ب) بمعنى أن :

م ب ⟵ س ب

وعلى ذلك فإن الموقف الكلي حين إشباع الحاجة يكون كالتالي :

م أ ⟵ س أ

م ب ⟵ س ب

وكنتيجة لمبدأ التعزيز تزداد قوة الارتباطات بين جميع المواقف المثيرة وبين جميع الاستجابات ، فتصبح العلاقات هكذا :

م أ ⟵ س أ

م ب ⟵ س ب

وبالتالي تنشأ علاقة جديدة لم تكن موجودة من قبل بين كل من :

م أ ⟵ س ب

وكذلك م ب ⟵ س أ

هذا فضلاً عن ازدياد قوة الارتباطات بين كل من :

م أ ⟵ س أ

و م ب ⟵ س ب

٤ ـ التعميم :

العادة هي سلوك شبه دائم في سلوك الكائن الحي ، بمعنى أنه كلما حدث الموقف المعين تحدث تبعاً له الاستجابة المعتادة لدى الكائن الحي . غير أن الباحث المدقق في كنه العلاقة بين المثير والاستجابة ، يجد أنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن يتكرر نفس المثير أو نفس الاستجابة في مواقف مختلفة . إنما الذي يحدث هو مثيرات مشابهة أو استجابات متقاربة ، ولكن لا يمكن أن نكرر نفس السلوك وأن نحصل على نفس الاستجابة وبالتالي إن أثر التعلم في موقف معين ينتقل إلى غيره من المواقف الأخرى ، وكلما قل التشابه بين الموقفين ضعف الانتقال ، وكلما زاد التشابه قوى الانتقال : ومن وجهة نظرية هل يمكن أن نصوغ ذلك بقولنا أن قيمة عملية التعزيز لا تقتصر على تقوية ميل استجابة معينة للظهور إذا حدث مثيرها الخاص ، بل قيمة التعزيز تتعدى ذلك إلى تقوية إحتمال ظهور نفس الاستجابة إزاء نماذج أخرى متشابهة من المثيرات . وأمثلة التعميم في الحياة اليومية كثيرة ، فالطفل الذي عضه كلب يخاف من الكلاب بل ومن الحيوانات الأخرى الشبيهة بالكلاب مثل القطط أو الأرانب أو الفئران . غير أن خوفه من القطط ربما يكون أكثر من غيرها لشدة تشابهها مع المثير الأصلي ، أي أن للتعميم مراتب ، وهذه المراتب تتوقف على تمييز المثير الأصلي عن المثيرات الأخرى .

٥ ـ التضاؤل أو الانطفاء :

لا تقتصر قيمة التعزيز على أهميته في تعلم العادة السلوكية بل إنه ضروري كذلك لحفظ هذه العادة وصيانتها ، وحينما تحدث الاستجابة المكتسبة دون تعزيز فإن قوة ميل هذه الاستجابة للاجراء يأخذ في التضاؤل تدريجياً ، هذا التضاؤل هو ما يسمى بالانطفاء التجريبي . فصياد السمك الذي تيسر له أن يصطاد كمية كبيرة من السمك من مكان معين ، فإنه سيتردد حتماً على هذه

البقعة مرات متعددة ولكن إذا لم يحصل من هذه الزيارات المتكررة لهذه البقعة على نفس الكمية الأولى ، بل حصل على كميات صغيرة ، فإن هذه الزيارات تأخذ في التضاؤل لأنه لم يحصل منها على غرضه ، وبالتالي حدث إنطفاء في عادة الذهاب إلى تلك البقعة . وعملية الانطفاء هذه ليست عملية مطلقة إنما تتوقف على عوامل كثيرة ، فالعادات القوية تقاوم الانطفاء أكثر من العادات الضعيفة ، بمعنى أن استعداد العادة السلوكية الضعيفة للانطفاء يكون أقل من استعداد العادة السلوكية القوية له ، كما يتوقف الانطفاء كذلك على عدد المحاولات غير المثابة أو غير المعززة .

سادساً : نظرية سكينر Skinner
الاشـتراط الاجـرائي

يميز سكينر صاحب هذه النظرية بين نوعين من السلوك أحدهما السلوك الاستجابي الذي يقوم على الرابطة بين مثير واستجابة ، حيث يؤكد إتباع الفعل المنعكس الشرطي ممن حذوا حذو بافلوف أنه لا توجد استجابة دون مثير . أما السلوك الثاني فهو السلوك الاجرائي التلقائي حيث تتم الاستجابات دون وجود المؤثرات كسلوك الانسان وهو يقود سيارته أو سلوكه وهو يتحدث مع فرد آخر إلى غير ذلك من ألوان السلوك التي تخلو من الانعكاسات الأولية . ويقرر سكينر أن السلوك الاستجابي لا يمثل إلا منزلة بسيطة جداً في السلوك الحيوي ، أما السلوك الاجرائي فيمثل منزلة كبيرة في السلوك الانساني لذلك فقد اهتمت به الدراسات النفسية التربوية اهتماماً كبيراً .

الوقـائـع التجريبيـــة :[1]

١ ــ أجرى سكينر تجاربه على أنواع مختلفة من الحيوانات ، وكان أشهرها

---

(١) دكتور رمزية الغريب : التعلم دراسة نفسية ، تفسيرية ، توجيهية ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٧١ ، ص ٢٠٤ ــ ٢٠٥ .

تجاربه على الحمام . فقد حاول سكينر أن يعلم الحمامة التقاط الحب من طبق يقدم إليها بطريقة آلية كلما رفعت الحمامة رأسها إلى ارتفاع معين مسجل على مسطرة مدرجة قد ثبت في جانب من القفص ، وحرص سكينر على أن يكون هذا الارتفاع سلوكاً لا يتكرر عند الحمامة . فأخذ يراقب الحمامة حتى إذا حدث أن رفعت رأسها إلى تلك العلامة ضغط على المفتاح الكهربائي فيخرج طبق الحبوب فتلتقط الحمامة الحب .

٢ ــ حرص سكينر على أن يقدم طبق الحبوب كلما ارتفعت رأس الحمامة إلى العلامة المحددة .

٣ ــ كرر سكينر تعزيز سلوك رفع الرأس إلى تلك العلامة ، حتى أصبح هذا السلوك هو الشائع بعد أن كان نادراً .

٤ ــ مما سبق يتضح لنا الفرق الجوهري بين الاشتراطية البسيطة لبافلوف والاشتراطية الاجرائية لسكينر ، عند بافلوف يقترن المعزز بالمثير الشرطي (صوت الجرس) ، أما عند سكينر فيرتبط التعزيز بالاستجابة (سلوك رفع الرأس) .

٥ ــ وقد تعددت تجارب سكينر في الاشتراط الاجرائي ، فدرب حمامة على الاستدارة دائرة كاملة تجاه اليمين ، كما قام بتدريب الحمامة أيضاً على سلوك أكثر تعقيداً وهو المشي على رسم الرقم 8 وذلك عن طريق تعزيز كل سلوك صحيح مرغوب يصدر عن الحمامة ويقربها من الهدف المنشود .

٦ ــ وقد استفاد سكينر من هذا الأساس السيكولوجي بتطبيقه في التعليم المبرمج ، والذي سوف نناقشه فيما يلي بإيجاز .

التعليم المبرمج :

« يعتبر التعليم البرنامجي في الوقت الحالي من أحدث طرق التدريس

المعاصرة »[1] . فهو يعتبر نوع من التعلم الذاتي القائم على التوجيه الذاتي للسلوك ، هذا معناه أنه لم يعد للمعلم دور كبير في عملية التعلم ، بل إنه يقوم بدور لا يمكن بدونه أن تتم معه عملية التعلم البرنامجي ، وذلك لأن عليه أن يقوم بإعداد المادة الدراسية في صورة برنامج تعليمي .

ويمكن تلخيص العناصر الأساسية في التعليم المبرمج فيما يلي :[2]

١ ــ تقدم سلسلة منظمة من البنود ، بحيث نزوده بأجزاء صغيرة من المعرفة تدريجياً وتتطلب منه استجابات .

٢ ــ يستجيب التلميذ لكل منها بطريقة محددة .

٣ ــ تعزز استجابات التلميذ بالمعرفة الفورية للنتائج بالاستعانة بالمثيرات المميزة (مثل إضاءة خضراء للصواب ، وحمراء للخطأ) .

٤ ــ يسير التلميذ في البرنامج بخطى وئيدة بسيطة .

٥ ــ وبالتالي قد لا يقع التلميذ في أخطاء كثيرة .

٦ ــ يتم تعلم التلميذ على ضوء معرفته السابقة ، والاقتراب التدريجي نحو ما يهدف إليه البرنامج . ويؤدي إتقان التلميذ لكل خطوة من خطوات البرنامج إلى جعل النتيجة النهائية للتعلم محققة . وتسمى كل خطوة من هذه الخطوات بنداً أو إطاراً .

٧ ــ يعتبر التعليم البرنامجي من أهم التطبيقات التربوية لنظرية الاشتراط الاجرائي لاسكينر

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

(٢) د . أحمد زكي صالح : علم النفس التربوي (مرجع سابق) ، ص ٤٣٧ ــ ٤٣٨ .

العوامل المساعدة على التعلم الجيد

مقدمـــة :

المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية التي أوجدها المجتمع لتحمل عنه عبء إعداد النشء . والمعلم هو المسؤول الأول عن هذه العملية التربوية المعقدة بما فيها من نقل للتراث الديني والثقافي والحضاري ، وإكساب تلاميذه العادات والقيم والاتجاهات التي تتفق واتجاهات المجتمع وقيمه . والمعلم يمارس هذه العمليات عن طريق مواقف تعليمية أو في صورة مقررات دراسية أو أنشطة ثقافية ، والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو :

ما هي العوامل التي تمكن المعلم وتساعده في إنجاز هذه المهمة الصعبة ؟ وفيما يلي سنتناول هذه العوامل[1] في إيجاز .

العوامل المساعدة على التعلم الجيد :

١ ــ عامـل التكـرار :

لاشك أن التكرار يولد الكمال . فتكرار عمل معين عدة مرات يكسبه نوعاً من الاستقرار والثبوت والنمو عند المتعلم . ولكن يجب أن نشير إلى أن التكرار وحده فحسب لا يؤدي إلى أي كمال في عملية التعلم ، مالم يصاحب بشروط التعلم الرئيسية الأخرى كتوافر الرغبة والميل والدافع . هنا يكون التكرار هاماً في سرعة إكتساب المهارات المطلوب تعلمها في دقة وسهولة .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٥٩ ــ ٤٦٥ .

٢ ـ عامل الدقة :

ويقصد بالدقة « أن سلوك المتعلم يتغير أو يتعدل نحو أنماط ثابتة دقيقة »[١]

ويأتي هذا العامل كنتيجة مباشرة لعامل التكرار . فلاشك أن بتكرار الطفل لكتابة الحروف الأبجدية في مستهل حياته ، يكسبه نوعاً من الدقة في أسلوب الكتابة بوجه عام . وغالباً ما نجد أن معظم استجاباتنا الحركية يتوقف أدائنا لها على عامل الدقة . فعلى قدر دقة إجادة الطفل للقراءة والكتابة في المراحل المبكرة تتوقف غالباً مهارته وتفوقه الدراسي في مستقبل حياته .

٣ ـ عامل الأولوية :

يقصد بهذا العامل أن الآثار الأولى الناتجة عن موقف معين أقوى في فاعليتها من الآثار التالية . فمن شب على شئ شاب عليه ، يوضح لنا عامل الأولوية بأجلى معانيه ، فأنماط الاستجابات التي تعودناها والتي أصابت نجاحاً معيناً في مراحل حياتنا الأولى هي التي نحاول اتباعها في سلوكنا مع المجتمع . لهذا نشير إلى ضرورة العناية بتعويد الأطفال على أساليب الاستجابات الصحيحة السوية الطيبة ، سواء في المواقف العامة أو الخاصة وخصوصاً في مراحل الطفولة المبكرة ، لما في ذلك من أهمية في تحقيق التوافق والتكيف السوي مع المجتمع في مستقبل حياته . ولاشك أن خبرات الطفولة الأولى هي التي تحدد أساليب السلوك في الرشد والكهولة .

٤ ـ عامل التنظيم :

إن السهولة التي قد تتم بها عملية التعلم تتوقف على تنظيم أجزاء المجال في وحدات مفيدة وظيفياً . فالعلاقات الخاصة بموضوع الدرس هي أساس

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٦٠ .

عملية التعلم ، وكلما كانت علاقات الموقف التعليمي غير واضحة وغير منظمة ، كانت الطريقة التي نتعلم بها عشوائية ، تستنذف الكثير من الوقت والجهد دون الوصول إلى النتيجة المطلوبة بسهولة ويسر .

وعلى ذلك يجب أن نراعي في تنظيم مادة التعلم قدرة التلميذ على إدراك العلاقات وبعبارة أخرى يجب أن نراعي الفروق الفردية في السن وفي البيئة وفي القدرة العقلية وفي الاهتمامات وحتى نيسر المجال للتعليم الناجح السريع .

٥ ـ عامل الحداثة :

يميل الانسان عادة إلى استدعاء الأفعال الحديثة في خبرته ، بمعنى أن الأمور الحديثة الاتصال بخبرته لها الأسبقية على البعيدة الاتصال به . ومن هنا كان المعلم الناجح هو الذي يستعين دائماً بالخبرات الحديثة لطلابه في تعليمهم خبرات جديدة ، وهكذا يسهل على التلميذ تعلم الجديد مع عدم قطعه الصلة بالقديم . لذلك نوصي دائماً بألا يبدأ المعلم درسه الجديد إلا بعد مراجعته للدرس السابق ومناقشته الطلاب فيه ثم بعدها يبدأ في عرض الدرس الجديد ، وحتى يشعر الطالب بأن عملية التعلم عملية تنمية لخبراته .

٦ ـ عامل الأثر :

يساهم الأثر الناتج من الموقف التعليمي سواء كان ارتياحاً أو عدم ارتياح في حسن سير أو عرقلة عملية التعلم . فالتعلم تحت تأثير الشعور بالارتياح الناتج عن الموقف التعليمي ، يتيخ شروطاً للتعلم أنسب وأكثر صلاحية من الشعور بعدم الارتياح . فنحن عادة نتعلم تحت تأثير المدح والتفوق أفضل مما نتعلم تحت تأثير الخوف من الرسوب أو العقاب . لذلك وجب أن نشعر أطفالنا منذ الصغر بالمميزات الكبرى للنجاح ونساعدهم على تذوق لذة النجاح ، كما نجنبهم ألم ومرارة الفشل . ولاشك أن أثر الشعور بالارتياح يفوق كثيراً أثر الشعور بعدم الارتياح في أي عملية تعلم تسري تحت أي مستوى .

أولاً ــ تكويــن العــادات :

غالباً ما نطلق لفظ عادة سلوكية على أي نوع من أنواع السلوك المكتسب وذلك تمييزاً له عن السلوك الفطري الموروث .

« والعادة هي نمط معين من السلوك المكتسب الذي تعلمه الانسان أثناء حياته وفقاً للظروف المختلفة التي عاش فيها »[1] والعادات تحتل منزلة كبيرة في حياة الانسان ، حيث أن سلوك الانسان عبارة عن مجموعة من العادات التي تكون جزءاً من شخصيته . فكل واحد منا له عاداته الخاصة به المتعلقة مثلاً بأكله وملبسه وطريقة كلامه وسيره ، كما أن له عاداته الوجدانية المتمثلة في ميوله وعواطفه إلى غير ذلك من العادات الخاصة بسمات شخصيته . ولاشك أن العادات السلوكية تؤدي غرضاً حيوياً هاماً في حياة الانسان ، إذ أنها تساعده على التوافق مع المجتمع الذي يعيشه وتعتمد العادات في تكونها على الأساليب التربوية التي تتبع مع الطفل في نشأته الأولى حيث يسهل تكوين العادات لمرونة الجهاز العصبي طبقاً للمثل القائل « بأن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر » من هنا وجب علينا أن نعني عناية خاصة بتكوين العادات الطيبة الصالحة مثل تعويده على الصدق والأمانة وحب الخير وكذلك الصوم والصلاة وحتى يشبوا على تلك العادات السلوكية الخيرة ليكونوا مواطنين صالحين يشاركون في عز مجتمعهم ورفاهيته وازدهاره .

وفيما يلي بعض الارشادات لتكوين العادات الصالحة[2] بالنسبة للراشدين :

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣١١ .

(٢) دكتور محمد خليفة بركات : علم النفس التعليمي (مرجع سابق) ، ص ١٧٧ .

١ ــ وضح لنفسك أهمية العادة التي تريد تعلمها بحيث تكون معتقداً بفائدتها الشخصية والاجتماعية .

٢ ــ ابدأ بعزيمة قوية ورغبة صادقة في تكوين العادات الجديدة التي تشعر بأهميتها وقيمتها لك وللمجتمع من حولك .

٣ ــ التكرار هنا عامل مهم في تثبيت العادات وتأصلها في النفس .

٤ ــ حاول أثناء قيامك بتعلم العادة الجديدة الصالحة أن تحيطها بجو من السرور والارتياح ، وحاول أن تتجنب الانفعالات السلبية .

ولا يفوتنا في هذا المجال الحديث عن بعض الارشادات للتخلص من العادات الضارة بالنسبة للراشدين وهي :[1]

١ ــ حاول أن توضح لنفسك عيوب ومساوىء هذه العادة الضارة التي تريد الاقلاع عنها بحيث تقتنع اقتناعاً تاماً بضرورة التخلص منها .

٢ ــ إبدأ بالتخلص من هذه العادة الضارة بإرادة قوية وعزيمة صادقة بحيث لا تسمح لنفسك ولو مجرد التفكير فيها .

٣ ــ إن أي استثناء واحد في الرجوع لمزاولتها تهدم كل ما بنيته في سبيل الاقلاع عنها ، كما تجعل من الصعب إعادة المحاولة مرة أخرى .

٤ ــ إن ملاحظة الفرد لنفسه عند مزاولته لتلك العادة السلوكية ، تجعله يضع نفسه موضع الآخرين مما يساعده على كراهيته لمزاولة هذه العادة السيئة .

٥ ــ هذا ويفضل أن يستبدل بالعادة الضارة عادة أخرى حسنة .

ثانياً ــ تكوين المهارات :

تكوين المهارات يعتبر من أهم نتائج التعلم . « ونعني بالمهارة السهولة

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٧ ــ ١٧٨ .

والدقة في إجراء عمل ما من الأعمال »[1] . ومن أمثلة المهارات التي نتعلمها الكتابة على الآلة الكاتبة أو العمل على الآلة الحاسبة أو قراءة وتفسير الرسوم البيانية وما إلى ذلك من الأمور التي نتعلمها بحكم تخصصاتنا المهنية فنتقنها إتقاناً تاماً بحيث أننا قد نؤديها بطريقة شبه آلية .

ولاشك أن معظم المهارات تبنى في تعلمها على استعدادات وقدرات خاصة ، فمثلاً المهارة في الأعمال الميكانيكية تبنى على القدرة الميكانيكية ، والمهارة في الطباعة تبنى على القدرة الكتابية والمهارة الموسيقية تبنى على القدرة الموسيقية وهكذا ..

ثالثاً ــ اكتساب المعلومات والمعارف :

إن اكتساب وتعلم المعلومات والمعارف هي نتيجة مباشرة وحتمية لعملية التعلم . فالتعليم ماهو إلا مساعدة الفرد على اكتساب الخبرات الصالحة بأبسط طريقة ممكنة ، كي تساعده على أن يجابه المجتمع العصري مجابهة صحيحة تيسر له عملية التكيف الناجح .

والطفل داخل حجرة الدراسة يتعلم القرآن الكريم والعلوم العامة والحساب والأحداث التاريخية والقومية والعالمية وما إلى ذلك من مواد دراسية . كما يتلقى أيضاً المزيد من المعلومات والمعارف عن طريق الندوات والمناظرات والمناقشات ومختلف وسائل الاعلام . وتدخل كل هذه المعلومات التي يكتسبها التلميذ عن طريق التعلم ضمن حصيلة خبراته حتى يشب مواطناً صالحاً مدركاً لعوامل التقدم الحضاري في مختلف المجالات وبالتالي يصبح مواطناً مثقفاً مستنيراً ، وهذا ما يبرر المبالغ الضخمة التي تنفقها الدولة في سبيل نشر التعليم بين أبناء الوطن من أقصاه إلى أدناه .

---

(١) دكتور أحمد زكي صالح : علم النفس التربوي (مرجع سابق) ، ص ٣٢٠ .

رابعاً ــ اكتساب طريقة التفكير :

ثمة مظهر آخر هام من مظاهر التعليم الجيد وهو اكتساب طريقة التفكير السليم . فلا يكفي أن تزود المدرسة التلميذ بالمعلومات والمعارف في مختلف نواحي العلوم والفنون والآداب فحسب ، بل يجب أن تعني عناية خاصة باكتسابه طريقة التفكير السليم الصحيح . وثمة كلمة جديرة بأن تقال للقائمين على العملية التربوية في هذا الشأن ، وهي أن أساس نجاح الجيل وتفوقه لا يتمثل إطلاقاً في مدى ما يحفظ أو يستوعب من مواد دراسية ، بل في مدى تعلمه عادة التفكير السليم . فتجعله يفكر في أي مشكلة تفكيراً موضوعياً وعلميا سديدا بعيدا عن العوامل الذاتية ، فيعالج المشاكل معالجة موضوعية علمية رصينة ، إذن فعلى هذه العادة الفكرية الصحيحة يجب أن يركز كل مشتغل بالحقل التربوي .

خامساً ــ الاتجـاهـات :

الاتجاه « هو مجموع استجابات القبول أو الرفض إزاء موضوع اجتماعي جدلي معين »[1] ويجدر بنا أن نوضح نوعين من القضايا ، إحداهما تمثل قضايا تقريرية لا تقبل إلا أسلوب حكم الخطأ أو الصواب مثل (الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية ، القاهرة عاصمة جمهورية مصر العربية ، طول نهر النيل حوالي ٤٢٠٠ ميل) فهذه القضايا إما أن تكون صحيحة أو خاطئة ، ولا يصح بحال من الأحوال أن يؤخذ رأي الانسان فيها لأنها قضايا تقريرية .

أما النوع الثاني من القضايا فهو ما يتعلق بأمور إجتماعية أو قضايا إنسانية مثل قضايا الحرب والسلام وخطة التنمية وتطوير التعليم ، إلى غير ذلك

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣١٦ .

من القضايا التي تقبل المناقشة وتختلف فيها آراء الناس . هذا النوع من القضايا الجدلية لا يوجد فيها إجابة صحيحة وأخرى خاطئة ، لأن كل فرد منا له وجهة نظره الخاصة به إزاء تلك القضايا الجدلية ، وهذا ما يعرف بالاتجاهات .

إذن فهذه الاتجاهات تعمل كموجهات للسلوك الانساني ودوافع له ، ومن هنا جاءت أهمية العناية بتكوينها وتعديلها بما يتفق وعادات وتقاليد ونظم ومعايير المجتمع. وتتكون هذه الاتجاهات وتتعدل بل وتتغير كنتيجة مباشرة لخضوع الفرد لعملية تعلم مباشر كما يحدث في المدرسة أو بطريقة غير مباشرة كما يحدث عند احتكاك الفرد بالبيئة التي يعيشها .

الفصل التاسع
القـــدرة العقليـــة

﴿ إن في خلق السموٰات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾

(البقرة : ١٦٤)

مقـدمـــــة

القدرة العقلية العامة

* تعريـــف الذكـــاء .
* قيـــاس الذكـــاء .
* طبقـــات الذكـــاء .
* الذكاء والنجاح الدراسي .
* الذكاء والنجاح المهـني .
* الذكاء والتوافق الاجتماعي .
* اختبارات الذكـــاء .

القدرات الطائفية

* القدرة الطائفية والاستعداد الخاص .
* قيـــاس الاستعداد الخـــاص والقدرة .

الأهمية العملية للقياس العقلي .

الفصل التاسع

القـدرة العقليــة

مقـدمــــة :

يقول الامام الغزالي في بيان شرف العقل « العقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة ؟ »[1]

وقال الرسول ﷺ : « أوّل ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل فأقبل ثم قال له : أدبر فأدبر ، ثم قال عز وجل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم علي منك ، بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب »[2]

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار في النار : لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير »[3]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « قلت يا رسول الله بم يتفاضل الناس في الدنيا ؟ قال : بالعقل ، قلت : وفي الآخرة ؟ قال : بالعقل ، قلت : أليس إنما يجزون بأعمالهم ؟ فقال ﷺ : يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم

---

(١) الامام الغزالي : إحياء علوم الدين (مرجع سابق) ، الجزء الأول ، ص ٨٣ .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط .

(٣) أخرجه ابن المجبر وعنه الحارث .

عز وجل من العقل ؟ فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون »[1]

وهكذا كرم الله سبحانه وتعالى بني آدم بنعمة العقل على سائر مخلوقاته ، ولما كان لهذا العقل تلك المنزلة الرفيعة السامية ، فقد اهتم العديد والعديد من علماء النفس بأمر القدرة العقلية ، محاولين التعرف على أمر وكنه هذه القدرة العقلية . وقد توصل الباحثين في هذا المجال إلى أن هناك نوعان من القدرة :

أولاً ــ القدرة العقلية العامة .

ثانياً ــ القدرة العقلية الطائفية .

أولاً ــ القدرة العقلية العامة

الذكـــاء Intelligence

لقد تميز هذا القرن بنجاح القياس على وجه العموم والعقلي على وجه الخصوص . حيث ظهرت فيه الاختبارات المقننة الجمعية منها والفردية والعملية منها والكتابية واللفظية منها وغير اللفظية . ولاشك أن قياس الذكاء كقدرة عقلية عامة كانت من أهم ما شغل علماء النفس منذ بداية حركة القياس النفسي والتربوي .

تعريـف الذكـــاء :

اهتم علماء النفس ببحث موضوع الذكاء ، ويرجع هذا الاهتمام لارتباطه بأساليب السلوك ومظاهر النشاط العقلي الانساني كالتعلم والتذكر والتفكير . ولقد حاول كثير من علماء النفس تعريف مفهوم الذكاء في عبارات مختصرة

---

(١) أخرجه ابن المحبر والترمذي الحكيم في النوادر نحوه .

بسيطة عن طريق مظاهره السلوكية . ونظراً لتعدد مظاهر النشاط العقلي تعددت تبعاً لها تعريف الذكاء .

ويمكن تقسيم هذه التعاريف إلى الأقسام التالية :

١ ــ القدرة على التعلم :

فبعض تعريفات الذكاء تؤكد أنه قدرة الفرد على التعلم ومن أمثلة ذلك تعريف كلفن Colvin بأنه القدرة على التعلم .

تعريف ودرو Woodrow بأنه القدرة على اكتساب القدرة .

وتعريف جودأنف Goodenough بأنه القدرة على الافادة من الخبرة .

تبعاً لهذه التعاريف يتحدد مدى ذكاء الفرد بمدى قدرته على التعلم والاستفادة من خبراته السابقة .

٢ ــ القدرة على التكيف أو التوافق :

البعض يؤكد معنى تكيف الفرد للمواقف الجديدة ، ومن أمثلة ذلك :

تعريف شترن Stern بأنه القدرة على التصرف السليم في المواقف الجديدة .

وتعريف بنتنر Pintinre بأنه قدرة الفرد على التوافق بنجاح للعلاقات الجديدة في الحياة .

وطبقاً لهذه التعاريف يعتبر الذكاء قدرة عقلية تساعد الفرد على مواجهة المواقف الجديدة ومحاولته حل المشكلات التوافقية التي تواجهه .

٣ ــ القدرة على التفكير :

كما يعرف الذكاء على أنه قدرة على التفكير ، ومن أمثلة ذلك :

تعريف ترمان Terman بأنه القدرة على التفكير المجرد .

تعريف بينيه Bient بأنه القدرة على الحكم السليم .

وتعريف كهلر Kohler بأنه القدرة على إدراك العلاقات .

وبناء على هذه التعاريف يعتبر الذكاء كقدرة على التفكير المجرد ، وهذا يعني القدرة على استعمال المفاهيم المجردة والرموز المختلفة للتصرف في المواقف التي تتضمن مشاكل يتطلب حلها استعمال الرموز اللغوية أو العددية ، مثل حل الكلمات المتقاطعة أو الألغاز الرياضية .

٤ ـ القدرة الفطرية العامة :

والبعض يعرف الذكاء من الناحية الفسيولوجية ، ومن أمثلة ذلك :

تعريف بيرت Burt بأنه القدرة العقلية المعرفية الفطرية العامة .

ويعرفه د . خليفة بركات بأنه « قدرة عضوية لها أساس في التكوين الجسماني »[١] .

تعريف سبيرمان Spearman بأنه قدرة فطرية عامة .

ومعنى الذكاء ، كما يذهب ثورنديك[٢] ، يحدد إمكانيات كامنة في التكوين الجسمي للكائن الحي موروثة وليست مكتسبة .

٥ ـ التعريف الاجرائي :

يلاحظ على كل التعاريف السابقة أنها لا تلقي الضوء الكامل على مفهوم الذكاء ، كما يلاحظ عليها أيضاً أنها متداخلة ، ولذلك فقد اتجه بعض علماء

---

(١) دكتور محمد خليفة بركات : علم النفس التعليمي (الجزء الثاني) القياس النفسي والتقويم التربوي ، الكويت : دار القلم ، ١٩٧٨ ، ص ١٨٨ .

(٢) دكتور طلعت منصور : أسس علم النفس العام (مرجع سابق) ، ص ٢٨٠ .

النفس نحو التعريف الاجرائي للذكاء ، ومن أمثلة ذلك :

تعريف جاريت Garrett بأنه القدرة على النجاح في المدرسة أو الكلية .

تعريف بورنج Boring بأنه القدرة على الأداء الجيد على اختبارات الذكاء . ويعد هذا التعريف من أكثر تعاريف الذكاء شيوعاً .

ورغم أن مفهوم الذكاء لا يزال موضوع خلاف بين علماء النفس إلا أنهم يتفقون هم والناس جميعاً على الصفات التي تميز الشخص الذكي من غير الذكي . فالفرد الذكي طالباً كان أم عاملاً أم تاجراً أم موظفاً يتميز[٢] بأنه :

١ ــ أشد يقظة وأسرع في الفهم عن غيره .

٢ ــ وأنه أقدر على التعلم وأسرع فيه وأقدر على تطبيق ما تعلمه لحل ما يعترضه من مشكلات .

٣ ــ وأنه أقدر على إدراك ما بين الأشياء والألفاظ والأعداد من علاقات .

٤ ــ وأنه أقدر على الابتكار وحسن التصرف .

٥ ــ كما أنه أقدر على التبصر في عواقب أعماله .

٦ ــ وغالباً ما يكون أنجح في الدراسة أو في العمل وفي الحياة وفي أداء الأعمال الفكرية بوجه عام ، إن كانت صحته النفسية صحيحة ومتزنة .

قيــاس الذكـــاء :

كان عالم النفس الفرنسي بينيه Binet هو أول من اهتم بالقياس العقلي ، وقد ساعده سيمون Simon في إنشاء مقياس للذكاء ظهر في صورته الأولى ١٩٠٥ . وقد أدخلت عدة تعديلات على هذا الاختبار إلى أن جاء العالم الألماني شترن Stern وأوضح أهمية نسبة الذكاء في تحديد مدى تأخر أو تقدم مدارج الذكاء ومستوياته ، واقترح قسمة العمر العقلي على العمر الزمني وضرب

---

(٢) دكتور عزت راجح : أصول علم النفس (مرجع سابق) ص ٣٨٧ .

الناتج في مائة . وناتج هذه العملية يسمى بنسبة الذكاء .

أي أن :

$$\text{نسبة الذكاء} = \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times ١٠٠$$

$$\text{أو ن ذ} = \frac{\text{ع . ع}}{\text{ع . ز}} \times ١٠٠$$ [1]

فبفرض أن ثلاثة تلاميذ العمر العقلي لكل منهم ٨ سنوات بينما يبلغ العمر الزمني للأول ١٦ سنة ، والثاني ٨ سنوات ، والثالث ٥ سنوات فبحساب نسب الذكاء للتلاميذ الثلاثة يكون :

$$\text{نسبة ذكاء الأول} = \frac{٨}{١٦} \times ١٠٠ = ٥٠$$

$$\text{نسبة ذكاء الثاني} = \frac{٨}{٨} \times ١٠٠ = ١٠٠$$

$$\text{نسبة ذكاء الثالث} = \frac{٨}{٥} \times ١٠٠ = ١٦٠$$

---

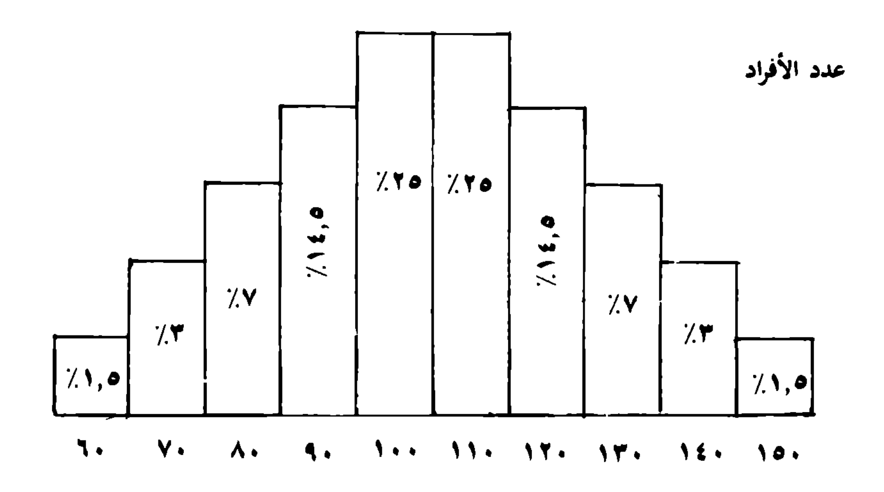
(١) دكتور أحمد زكي صالح : الأسس النفسية للتعليم الثانوي ، القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٧٢ ، ص ١٤٦ .

يتضح من ذلك أنه عند تساوي العمر العقلي بالعمر الزمني كما في حالة التلميذ الثاني يجعل نسبة الذكاء ١٠٠ وهي تدل على الذكاء العادي أو المتوسط . أما إذا قل العمر العقلي عن العمر الزمني كما في حالة التلميذ الأول فإن نسبة الذكاء تكون أقل من ١٠٠ وهذه تدل على الضعف العقلي . أما إذا زاد العمر العقلي عن العمر الزمني كما في حالة التلميذ الثالث فإن نسبة الذكاء تصبح أكبر من ١٠٠ وهذه تدل على التفوق في الذكاء .

طبقـات الـذكـاء :

فقد دلت الدراسات الاحصائية التي تناولت توزيع الذكاء الانساني إلى أنه يتبع بصفة عامة المنحنى الذي يسمى أحياناً بالمنحنى الاعتدالي أو منحنى الجرس أو المنحنى الاعتيادي ، حيث نجد الأكثرية من الناس في وسط المنحنى وهم العاديين في الذكاء ، ثم يتدرج هذا التوزيع على الجانبين إلى أن نجد أقلية من العباقرة في طرف ، وأقلية من ضعاف العقول في الطرف الآخر ، وبين هذين الطرفين نجد طبقات متدرجة لمستويات الذكاء المختلفة كما يتضح ذلك من التوزيع التالي :[1]

(١) دكتور محمد خليفة بركات : علم النفس التعليمي (الجزء الثاني) القياس النفسي والتقويم التربوي (مرجع سابق) ، ص ١٩٣ .



شكل (٨) بيان توزيع الذكاء على ٣١٨٤ طفلاً حسب نتائج أبحاث ترمان دمرل

يتضح لنا من التوزيع السابق أن معظم الناس متوسطين في الذكاء بحيث نجد أن ٥٠٪ من الأفراد تقع نسبة ذكائهم بين ٩٠ ، ١١٠ وأن ٢٥٪ من الأفراد نسبة ذكائهم أقل من ٩٠ ، ويوجد أيضاً ٢٥٪ من الأفراد نسبة ذكائهم أكثر من ١١٠ .

ومما يجدر قوله أنه قلما نجد تشابهاً تاماً في نتائج العلماء في شأن توزيع الذكاء ، وقد يرجع ذلك للظروف الخاصة بالأبحاث وكذلك اختيار العينات .

والجدول التالي يبين نسبة توزيع الأفراد في طبقات الذكاء المختلفة حسب رأي ترمان[١] :

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

جدول طبقات الذكاء والنسب المئوية لتوزيع الأفراد في كل طبقة

مراتب الذكاء	نسبة الذكاء	النسبة المئوية لعدد الأفراد
عبقري أو قريب من العبقرية	١٤ فأكثر	٠,٢٥
ذكي جداً	١٢٠ ــ ١٤٠	٦,٧٥
فوق المتوسط أو الذكي	١١٠ ــ ١٢٠	١٣,٠٠
عادي أو متوسط الذكاء	٩٠ ــ ١١٠	٦٠,٠٠
أقل من المتوسط أو الغبي	٨٠ ــ ٩٠	١٣,٠٠
غبي جداً	٧٠ ــ ٨٠	٦,٠٠
ضعيف العقل	أقل من ٧٠	١,٠٠
مورون (أهوك) عمر عقلي بين ٨ ــ ١٠ سنوات	٥٠ ــ ٦٠	٠,٧٥
أبله ، عمر عقلي بين ٣ ــ ٧ سنوات	٢٥ ــ ٥٠	٠,١٩
معتوه ، عمر عقلي سنتين فأقل	أقل من ٢٥	٠,٠٦

الذكاء والنجاح الدراسي :

صحيح أن النجاح في الدراسة يتوقف على عوامل شتى منها الناحية الصحية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والانفعالية ، ولكن يعتبر الذكاء عامل رئيسي من بين هذه العوامل . ولقد تأكدت لنا فائدة اختبارات الذكاء على نحو لا يرقى إليه الشك في قيمتها التنبؤية بالنجاح الدراسي ، لدرجة أن غالبية علماء النفس يميلون إلى تسمية اختبارات الذكاء باختبارات الاستعداد الدراسي . فلا يرجى للطالب النجاح في الدراسة الثانوية إن كان ذكاؤه دون المتوسط ، كما لا يرجى له نجاح في الدراسة الجامعية إن لم يكن ذكاؤه فوق المتوسط ، كما أن النجاح في بعض الكليات الجامعية يتطلب مستوى من الذكاء أعلى من النجاح في كليات أخرى .

وقد توصل كاتل في إنجلترا إلى أن مراحل التعليم المختلفة تتطلب مستويات معينة من الذكاء، كما هو موضح بالجدول التالي :[1]

نـوع التعلـيم	المدى المتوسط لنسبة الذكاء
الدرجـة الجامعـية	١٣٠ ـ ١٦٠
الدبلومات والشهادات العاليا	١٢٠ ـ ١٥٠
التعلـيم الثانـوي	١١٠ ـ ١٤٥
التعلـيم الاعـدادي	١٠٥ ـ ١٤٠
التعليم الابتدائي (الفصول العليا)	١٠٠ ـ ١١٥
التعليم الابتدائي (الفصول المتوسطة)	٨٥ ـ ١٠٠
التعليم الابتدائي (الفصول الأولى)	٧٥ ـ ٨٥
الفصـول الخاصـة	٧٠ ـ ٧٥
مدارس ضعاف العقول (مورون)	٥٠ ـ ٦٥
مستعمرات ضعاف العقول	أقل من ٥٠

الذكاء والنجاح المهني :

يتوقف النجاح في العمل المهني على عوامل كثيرة من أبرزها وأهمها عامل الذكاء. ويقتضي النجاح في المهن المختلفة نسباً مختلفة من الذكاء كما دلت على ذلك الأبحاث التتبعية. لهذا فقد اهتمت الدول المتقدمة بتصنيف الأعمال والمهن إلى مجموعات كل بحسب ما تتطلبه من ذكاء، والجدول التالي يوضح أهم مجموعات المهن مرتبة بحسب مستويات الذكاء المناسبة لكل مهنة تقريباً[1]

(١) المرجع السابق، ص ١٩٧ . (٢) المرجع السابق، ص ١٩٨ .

نسبة الذكاء	المهـــــنة
١٥٠ فأكثر	المهن التي تحتاج إلى تخصصات عالية كالطب والقضاء والادارة العليا ورجال التدريس بالجامعات والشعراء والمؤلفون .
١٣٠ ــ ١٥٠	الوظائف والمهن الفنية العامة كالتدريس وموظفي البنوك ورجال الصحافة والفن .
١١٠ ــ ١٣٠	المهن الكتابية الفنية كأعمال التأمين والمكتبات والتجارة والصناعة .
١٠٠ ــ ١١٠	المشتغلون بأعمال تحتاج إلى مهارات خاصة كعمال المطابع والخراطة والنجارة والتليفون والكهرباء .
٨٥ ــ ١٠٠	المشتغلون بأعمال تحتاج إلى مهارات بسيطة كسعاة البريد وصناع الأحذية .
٧٠ ــ ٨٥	المشتغلون بأعمال آلية على نمط واحد كالبوابين والمشتغلين بحزم البضائع والشيالين وعمال الحفر .
٥٠ ــ ٧٠	المشتغلون بأعمال بسيطة جداً تحت إشراف الغير .
أقل من ٥٠	لا يمكنهم القيام بأي عمل . ومكانهم مؤسسات ضعاف العقول .

أهم مجموعات المهن تبعاً لمستويات الذكاء المناسبة لكل مهنة

الذكاء والتكيف (التوافق) الاجتماعي :

إن الذكاء ولاشك عامل هام من العوامل التي تساعد على التوافق والنجاح الاجتماعي ، سواء أكان ذلك في محيط الأسرة أو المجتمع . والتوافق الاجتماعي السليم للفرد يبدو في قدرته على تكوين علاقات مرضية مع من يعاملهم من الناس ، كما يتمثل أيضاً في قدرته على مراعاة قوانين الجماعة وتقاليدها ومعاييرها ، فإن عجز عن ذلك كان سيئ التوافق وقد دلت الأبحاث والدراسات إلى أن نقص الذكاء يؤدي إلى سوء التوافق الاجتماعي السليم . ولسوء التوافق الاجتماعي مظاهر عديدة منها الأمراض النفسية والعقلية والاجرام

إلى غير ذلك من ضروب الزيغ الاجتماعي والخلقي . والفرد الذكي أقدر من غيره على التوافق السليم ، وأقدر على حسن التصرف حيال المواقف الاجتماعية ، وأقدر أيضاً على التبصر في عواقب أعماله .

والخلاصة أن الذكاء يعد عنصراً هاماً في النجاح في الحياة الاجتماعية بمختلف ألوانها وأشكالها .

اختبـــارات الـذكـــاء

نظراً لتعدد الاختبارات السيكولوجية والتي ظهرت في مختلف المجالات جعلت بعض علماء النفس يلقبون هذا العصر بعصر الاختبارات . ولقد كان للقياس العقلي النصيب الأوفى من هذه الاختبارات وذلك لتعدد النواحي المعرفية العقلية التي يظهر فيها أثر الذكاء . ويرى بعض العلماء تصنيف اختبارات الذكاء إلى الأنواع التالية :

١ ــ اختبارات ذكاء لفظية وتشمل :

(أ) اختبارات فردية .

(ب) اختبارات جمعية .

٢ ــ اختبارات ذكاء غير لفظية وتشمل :

(أ) اختبارات ورقة وقلم .

(ب) اختبارات عملية .

١ ــ اختبارات الذكاء اللفظية

(أ) الفـرديـــة

مقيــاس بينيــه :

يعتبر مقياس بينيه من أشهر المقاييس اللفظية الفردية في العالم . وقد أعده عام ١٩٠٤ نتيجة لحاجة ماسة هي محاولة التمييز بين الأطفال الذين يقدرون على مواصلة التعليم في المدارس العامة بفرنسا ، وأولئك الذين لا يستطيعون ذلك . وقد نقح هذا الاختبار عدة مرات كان آخرها عام ١٩١١ ، وروعي في أسئلة هذا الاختبار التدرج البطيء من السهولة إلى الصعوبة .

وفي عام ١٩١٦ راجعه ترمان في جامعة ستانفورد بالولايات المتحدة حيث أطلق عليه اسم « اختبار استانفورد بينيه للذكاء » وذلك نسبة للجامعة التي يعمل بها ترمان .

كما اهتم برت في انجلترا بتنقيح هذا الاختبار وتطبيقه على الأطفال في المملكة المتحدة .

وفي مصر اهتم إسماعيل القباني بترجمة هذا الاختبار وتعديله بحيث يلائم البيئة العربية .

أما عن طريقة إجراء هذا الاختبار فإنه لا يعطى إلا لفرد واحد ، لأن توجيه الأسئلة والاجابة عليها يتم بطريقة شفوية ، من هنا يتضح أهمية مثل هذه الاختبارات الفردية وبوجه خاص في حالات من لا يعرفون القراءة والكتابة .

والمقياس في صورته العربية يحتوي على ٩٠ سؤال مقسمة إلى مجموعات تصلح كل مجموعة منها لسن معينة مبتدئاً من سن ٣ سنوات إلى ١٠ سنوات لها ست اختبارات ، وللسن ١٢ سنة ثمانية اختبارات ، ولسن ١٤ ستة اختبارات ومثلها للراشد المتوسط والمتفوق . ويضاف لكل مجموعة سؤال

أو سؤالين احتياطيين . ويحتاج تطبيق الاختبار إلى تمرين طويل وفهم جيد لروح الأسئلة والمبادئ التي يقوم عليها استعمالها ، كما يحتاج أيضاً إلى إتقان تعليمات الاختبار التي ينبغي على الفاحص مراعاتها بكل دقة .

(ب) الجمعـــية

اختبارات القدرات العقلية الأولية :

هذا الاختبار من النوع الجمعي ، أي يصلح تطبيقه على عينة كبيرة في نفس الوقت . ومن أهم مميزات هذا النوع الجمعي من الاختبارات أنها توفر الوقت والجهد والتكلفة التي تتطلبها الاختبارات الفردية عند إجرائها .

وقد أعد هذا الاختبار في صورته العربية أحمد زكي صالح ، وهو مؤسس على اختبار ثرستون للقدرات العقلية الأولية . ويشتمل على أربعة اختبارات فرعية وهي :

الأول ــ اختيار معاني الكلمات :

وعلى المفحوص أن يعين الكلمة المرادفة للفظ معين من بين أربعة كلمات أخرى مثل :

ما هي أقرب الكلمات معنى لكلمة « أخ » من بين الكلمات الآتية :

عم ــ أب ــ شقيق ــ قريب

الثاني ــ اختبار الادراك المكاني :

في هذا الاختبار يعطى المفحوص شكلاً نموذجياً ، ويطلب منه انقاء الأشكال المشابهة له دون اختيار الأشكال المعكوسة مثل :

F

الثالث ــ اختبار التفكير :

وهو عبارة عن سلاسل من الحروف والمطلوب من المفحوص أن يدرس النظام الذي تسير عليه كل سلسلة ليكملها بحرف واحد مثل :

أ ب ، أ جـ ، أ د ، أ ...

الرابع ــ اختبار الأعداد :

ويعطي فيه المفحوص عدداً من العمليات الحسابية الخاصة بالجمع ، وتحت كل عملية حسابية حاصل جمعها ، وعلى المفحوص أن يؤشر بعلامة « ✓ » إذا كان حاصل الجمع صحيحاً أو يضع علامة « × » إذا كان حاصل الجمع خطأً ، مثال :

٣	٢	٧		٥	٤	٢
٤	٣	٢ ✓		٣	٦	٣
٧	٥	٩		٨	٠	٥

ويستخدم هذا الاختبار لقياس قدرات الطلاب ابتداء من سن ١٣ سنة فما بعدها .

٢ ــ اختبارات الذكاء غير اللفظية

يلاحظ أن هذا النوع من الاختبارات يتلافى عيوب الاختبارات اللفظية من حيث اعتمادها على التعبير اللغوي ، وبالتالي تأثرها بالعامل الثقافي . ولذلك فإن مادة وأسئلة هذا النوع من الاختبارات الغير لفظية ليست كلمات أو جمل لغوية ، ولكنها تشمل رسوم ، صور ، متاهات ، أشكال إلى غير ذلك من الأدوات الغير لغوية . وتتميز اختبارات هذا النوع عن الاختبارات اللفظية في صلاحيته تطبيقها على الأفراد الذين لا يجيدون لغة الاختبارات ، كالأجانب

والمهاجرين . كما يفضل تطبيقها أيضاً في حالات ذوي العاهات ممن تؤثر عاهاتهم في التحصيل اللغوي كالصم والبكم والمصابين بأمراض الكلام .

وتنقسم الاختبارات الغير لفظية من حيث مادتها إلى :

(أ) اختبارات الورقة والقلم :

وهي الاختبارات التي تحتاج لاجرائها إلى ورقة وقلم ، ومن أمثلة هذه الاختبارات رسم الرجل « جودانف Goodenough » في هذا الاختبار يطلب من المفحوص رسم رجل ، ثم يصحح الرسم على أساس خمسين نقطة حددتها جودانف صاحبة الاختبار ، وتتعلق هذه النقاط بالتفاصيل الدقيقة لرسم الرجل . ويصلح هذا الاختبار على من تقع أعمارهم بين سن الثالثة والنصف وسن الثالثة عشرة والنصف وقد أوضحت الخبرة بهذا الاختبار أن النتائج تكون أكثر دقة في الفترة الواقعة بين سن الرابعة وسن العاشرة ، ولذلك يفضل إجرائه على تلاميذ المدارس الابتدائية .

(ب) اختبارات عملية (غير ورقية) :

أما هذا النوع من الاختبارات فلا يحتاج إلى ورقة أو قلم عند إجرائها ، ومن أمثلة هذا النوع من الاختبارات .

اختبار أشكال المكعبات :

ويتكون هذا الاختبار العملي من ستة عشر مكعباً متساوية ، وأوجهها ملونة بألوان مختلفة ، وتوجد مع المكعبات سبع عشرة بطاقة مرسوم عليها أشكال مختلفة تتدرج من السهولة إلى الصعوبة من حيث الألوان المستعملة فيها ، وكذلك عدد المكعبات اللازمة لتكوينها . ويطلب إلى المفحوص استعمال عدد من المكعبات يرصها بجانب بعضها بحيث تتطابق الرسم الذي يراه في البطاقة . ويحسب مستوى الذكاء بحسب البطاقات التي يتمكن المفحوص من

تنفيذ الشكل المماثل لها بالمكعبات ، كما يؤخذ في الاعتبار عاملا الزمن وعدد الحركات .

ثانياً : القدرات الطائفية والاستعدادت الخاصة

مقـدمـــة :

أثبتت الدراسات والبحوث في مجال التنظيم العقلي أن أي إنتاج عقلي يتكون من مجموعتين رئيسيتين من العوامل ، المجموعة الأولى وتتبلور حول القدرة العقلية العامة وهي ما يطلق عليها الذكاء وقد تعرضنا له في الجزء الأول من هذا الفصل ، والمجموعة الثانية هي ما تسمى بالقدرات الطائفية أو الاستعدادات الخاصة .

القدرة الطائفية والاستعداد الخاص

يجدر بنا أن نوضح مفهوم كل من القدرة والاستعداد . فالاستعداد Aptitude « هو قدرة الفرد الكامنة على أن يتعلم في سرعة وسهولة وعلى أن يصل إلى مستوى عال من المهارات في مجال معين »[1] .

وتعرف القدرة العقلية الطائفية تعريفاً إجرائياً بأنها « مجموعة من أساليب النشاط العقلي التي ترتبط ببعضها ارتباطاً قوياً ، وترتبط بغيرها ارتباطاً ضعيفاً »[2] . وبذلك تختلف القدرة العقلية الطائفية عن الاستعداد العقلي ، حيث أن الاستعداد هو إمكانية تحقيق القدرة ، هذا يعني أن الاستعداد سابق لوجود القدرة أي أنه شرط من شروط ظهورها .

فالقدرة إذن ما هي إلا قدح للاستعداد عن طريق عوامل النضج والبيئة . فظهور قدرة ما لدى فرد معين ، فهذا يدل دلالة قاطعة على وجود استعداد لدى هذا الفرد كان من وراء ظهور هذه القدرة .

---

(١) دكتور أحمد عزت راجح : أصول علم النفس (مرجع سابق) ، ص ٤٣٥ .

(٢) دكتور طلعت منصور وآخرين : أسس علم النفس العام (مرجع سابق) ، ص ٤١٦ .

وإذا كان كل قدرة من ورائها استعداد ، فليس بالضرورة كل استعداد يؤدي إلى ظهور قدرة . فقد يكون لدى فرد استعداد معين ، إلا أن ظروف البيئة لم تساعده على نمو هذا الاستعداد وبلورته في صورة قدرة . لذلك ينادي علماء النفس والتربية بضرورة إتاحة الفرص المتكافئة أمام الجميع على حد سواء .

ولقد جاءت الشريعة الاسلامية بنصوص صريحة تقرر على أساسها العدل والمساواة ، مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾

(الحجرات : ١٣)

والرسول ﷺ يكرر هذا المعنى ويؤكده في قوله :

« الناس سواسية كأسنان المشط الواحد ، ولا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى »[١]

قياس الاستعداد الخاص والقدرة :

رغم اختلاف مفهوم كل من الاستعداد والقدرة كما ذكرنا ذلك سابقاً ، ومع ذلك فلا تختلف طرق قياس القدرات عن طرق قياس الاستعدادات ، وسنتناول في الصفحات التالية بإيجاز بعض هذه الاستعدادات وطرق قياسها .

الاستعداد اللغوي

الاستعداد اللغوي يبدو في القدرة على معالجة الأفكار والمعاني عن طريق استخدام الألفاظ . ويبدو هذا الاستعداد في عدة مظاهر منها :[٢] :

---

(١) رواه أحمد في سنده .

(٢) دكتور أحمد زكي راجح : أصول علم النفس (مرجع سابق) ، ص ٤٤٢ .

١ ــ سهولة فهم الألفاظ والجمل والأفكار والمتصلة بها .
٢ ــ إدراك ما بين الألفاظ من علاقات ، مثل علاقات التشابه أو التضاد .
٣ ــ سهولة التعبير التحريري والشفوي .
٤ ــ سرعة استرجاع أكبر عدد من الألفاظ في وقت معين .

ولاشك أن الاستعداد يعد ضرورياً للنجاح في بعض المهن مثل التأليف والتحرير والخطابة والصحافة والتدريس .

اختبارات القدرة اللغوية :

١ ــ **اختبار الأضداد** : يتكون هذا الاختبار من خمسين إلى مائة كلمة من الكلمات البسيطة ، ويطلب إلى المفحوص إيجاد أضداد هذه الكلمات ، وفيما يلي أمثلة لبعض هذه الكلمات :

فقير ــ كبير ــ رجل ــ أبيض ــ أخ ــ يستسلم ــ مفاجئ .

٢ ــ **اختبار التطابق** : والمطلوب في هذا الاختبار هو وضع علامة « × » أمام جملتين من الجمل الآتية يكون معنى كل منهما متفقاً تمام الاتفاق مع هذا المثل (معظم النار من مستصغر الشرر) :

(أ) إهمال الصغائر يولد الكبائر .
(ب) لا دخان بغير نار .
(جـ) لكل جواد كبوة .
(د) القطرة إلى القطرة بحر .

٣ ــ **اختبار التمثيل** : والمطلوب في هذا الاختبار وضع الكلمة الرابعة التي تكون علاقتها بالكلمة الثالثة كعلاقة الكلمة الثانية بالأولي ، مثل :

الأمير للأمير كالرجل ......
القلم للرسم كالفرشة ......
القمر للأرض كالأرض ......

الصغير للكبير كالقزم ....

البصر للعين كالسمع ......

٤ ــ **اختبار المترادفات** : والمطلوب في هذا الاختبار ذكر ثلاثة مرادفات لكل من الكلمات الآتية ، مثل :

خشن ــ مرح ــ صدق .

٥ ــ **اختبار معاني الكلمات** : وفيه يطلب من المفحوص أن يختار أقرب الكلمات معنى لكلمة شقيق من بين الكلمات :

عم ــ جد ــ أخ ــ خال .

الاستعداد الرياضي (الحسابي)

يظهر هذا الاستعداد في سهولة ودقة إجراء العمليات الحسابية ، وكذلك يبدو في القدرة على إدراك ما بين الأعداد من علاقات .

اختبارات الاستعداد الحسابي :

لاشك أن هذا الاستعداد لازم للنجاح في مهنة المحاسبة والاحصاء وتدريس الرياضيات إلى غير ذلك من المهن المتصلة بالعمل الحسابي . ومن أمثلة اختبارات القدرة الرياضية :

١ ــ مراجعة مختلف العمليات الحسابية للتأكد من صحتها من عدمه مثل :

١٦ + ٣٨ + ٤٥ = ٩٩

٤٢ + ٦١ + ٦٣ = ١٨٦

٦٤ × ٧ = ٤٤٨

٣٩ × ٤ = ١٦٦

٢ ــ استكمال سلاسل الأعداد الآتية بالعدد الذي يكمل السلسلة :

٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٤ ، ٢٢ ، ..

٨ ، ١١ ، ١٤ ، ...

٣ ، ٥ ، ١٠ ، ١٢ ، ٢٤ ، ...

٣ ـ اختبار العلامات المحذوفة ، حيث يطلب من المفحوص أن يستبدل العلامة ؟ بالشئ الذي يوضح المطلوب مثل :

١٢ ÷ ؟ = ٤

٥ ؟ ٣ = ١٥

١٠ ؟ ٥ = ١٠

الاستعداد الميكانيكي

يبدو هذا الاستعداد الميكانيكي في فهم الآلات الميكانيكية وحسن إدارتها وصيانتها وإصلاحها ، فضلاً عن حلها وتركيبها وإدراك العلاقات بين مختلف أجزائها . فقد وجد أن العمال المشتغلين بالأعمال الميكانيكية يتناسب نجاحهم أو فشلهم في أداء أعمالهم على قدر ما لديهم من قدرة ميكانيكية لا على مالديهم من مهارات عضلية .

وفيما يلي أمثلة لاختبارات هذه القدرة :

١ ـ **اختبار الفهم الميكانيكي** : ويهدف هذا الاختبار إلى قياس فهم العلاقات الميكانيكية . وهذا الاختبار من النوع الورقي .

٢ ـ **اختبار تجميع العدد** : ويهدف إلى قياس مهارة الفك والتركيب .

الأهمية العملية للقياس العقلي

ذكرنا سابقاً العلاقة بين الذكاء وكل من النجاح الدراسي والمهني . غير أن الذكاء وحده لا يكفي للنجاح في بعض الدراسات أو المهن إذا كان أداؤها يتطلب وجود استعدادات خاصة . فالنجاح في الأعمال الميكانيكية يتطلب أن يمتلك الفرد استعدادات خاصة في هذه الناحية بجانب أن يكون الفرد ذكياً . ولا يكفي أن يكون الطالب ذكياً لكي ينجح في كلية الهندسة مثلاً ، بل لابد له علاوة على ذلك من استعداد رياضي وميكانيكي وتصور مكاني .

لذلك فإن قياس استعدادات الفرد يشير إلى نوع الدراسة أو العمل الذي يناسبه ، وبذلك نوفر عليه كثيراً من الوقت والجهد ، وعصمناه من الفشل الذي قد يلحق به .

والله سبحانه وتعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه ، وكيف يتقن الانسان عملاً غير مؤهل له ، وليست لديه من الامكانية والاستطلاعية ما يجعله ينجح في إتقان هذا العمل .

هذا ما يؤكد لنا أهمية قياس استعدادات الفرد تطلعاً إلى نجاحه وتجنباً لفشله الدراسي أو المهني بما يكشف عن أهمية قياس الاستعدادات في كل من التوجيه التربوي والمهني .

ويمكن تلخيص الفوائد العملية للقياس العقلي في النقاط التالية :[1]

١ ــ الكشف عن الموهوبين :

يفيد القياس العقلي في الكشف عن الموهوبين من أصحاب الذكاء العالي . وتشير نسبة الذكاء ابتداء من ١٣٠ فأكثر إلى الموهوبين .

---

(١) دكتور طلعت منصور وآخرين : أسس علم النفس العام (مرجع سابق) ، ص ٢٨٧ .

وعادة تلجأ بعض المدارس إلى عزل الموهوبين من غيرهم من الأسوياء وغير الأسوياء ، وذلك نظراً للتمرق السريع الذي تظهره جماعة الموهوبين دون غيرهم من الأفراد

٢ ـ التعرف على ضعاف العقول :

ويقصد بالضعف العقلي ، العجز العام عن أن يعني الفرد بنفسه وأن يكون عضواً فعالاً في المجتمع الذي يعيشه . ويعتبر الأفراد الذين تقل نسبة ذكائهم عن ٧٠ أو ٧٥ ضعاف العقول . وقد عرفت المدارس المسئولية الملقاة على عاتقها إزاء ضعاف العقول فأنشأت الفصول الخاصة كمحاولة لتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية وكذلك تمكينهم من استخدام قدراتهم استخداماً مناسباً .

٣ ـ تقسيم التلاميذ :

إن عملية تصنيف التلاميذ على فصول تعتبر من أهم المشكلات التي تواجه إدارة المدرسة في بداية كل عام . ولا شك أن القياس العقلي يفيد كثيراً في مجال توزيع الطلاب . ففي المرحلة الابتدائية يمكن تصنيف التلاميذ وفقاً لقدراتهم العقلية ، أي قدراتهم على التعلم . أما في المرحلة الاعدادية (المتوسطة) والثانوية تتعلق بتحقيق التجانس داخل الفصول الدراسية بناء على نوعية القدرات العقلية الطائفية .

٤ ـ التوجيه التربوي والمهني :

يعتبر التوجيه بنوعيه التربوي والمهني من أهم التطبيقات العملية للقياس العقلي . والتوجيه سواء التربوي أو المهني يهدف إلى مساعدة الفرد على فهم نفسه من خلال معرفته لامكانياته ، حتى يستطيع أن يستغل هذه الامكانيات في تحقيق أكبر قدر ممكن من النمو والتقدم .

الفصل العاشر

العمليات العقلية المعرفية

﴿ والله خلقكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾

(النحل : ٧٨)

أولاً ــ الادراك :

شروط حدوث عملية الادراك :

* العوامل الذاتية .
* العوامل الموضوعية .

ثانياً ــ التفكير :

* التفكير والادراك .
* التفكير والذكاء .
* التفكير والتذكر .
* التفكير والتخيل .

مراحل التفكير .

ثالثاً ــ التذكــر :

* صور التذكر .
* الاســترجاع .
* التعــرف .
* العوامل الميسرة للاسترجاع .
* العوامل الذاتية .
* العوامل الموضوعية .
* النســيان .

الفصل العاشر

العمليات العقلية المعرفية

أولاً ــ الادراك

الادراك هي تلك العملية العقلية التي يتم عن طريقها معرفتنا للعالم الخارجي وذلك عن طريق المثيرات الحسية . فالادراك هي الوسيلة الوحيدة التي يتصل عن طريقها الانسان ببيئته التي يعيشها .

ولقد كرم الله تعالى الانسان بأن زوده منذ ميلاده بقوى فطرية هائلة لتحقيق عملية الادراك ، مصداقاً لقوله عز من قائل :

﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وخلق لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾

(النحل : ٧٨)

فتبارك الله أحسن الخالقين كرم الوليد البشري بمعينات الادراك بألوانه المختلفة وهي السمع والبصر والفؤاد ، كقوى فطرية ، فلا يتعلم الوليد كيف يستخدم هذه القوى ، بل إنه يستخدمها مباشرة ودون تدريب ، غير أن استعماله لها ينمو ويتهذب بحكم قيم وعادات وتقاليد وعرف المجتمع الذي يعيشه . فنجد أن الوليد يستخدم تلك القوى الادراكية أول ما يستخدمها في المحافظة على بقائه ، ثم ما تلبس أن تنمو ليستخدمها في تحقيق أهدافه ومثله العليا في الحياة . وكأن تلك الحواس هي بمثابة نوافذ الادراك مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها وآذان يسمعون بها فإنها

لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾

(الحج : ٤٦)

﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ... ﴾

(الروم : ٩)

﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾

(الزاريات : ٢١)

﴿ أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت * فذكر إنما أنت مذكر ﴾

(الغاشية : ١٧ – ٢١)

كما أن من نعم الله تعالى على الانسان أن خلق له أدوات الادراك ، وهي الحواس الخمس التي هي منافذ الادراك . فانظر إلى ترتيب حكمة الله في خلق هذه الحواس ، فأولها حاسة اللمس وإنما خلقت للانسان لحمايته من الأخطار التي تهدد حياته ، فإذا لمسته نار محرقة لابتعد عنها وبسرعة . إلا أن الانسان لو لم يخلق له الله إلا هذا الحس لكان ناقصاً عاجزاً لا يقدر على طلب الغذاء إذا كان بعيداً عنه ، بل لابد أن يمس بيديه فيحس به فيجذبه إلى نفسه . إذا لافتقر الانسان إلى حس يدرك به ما بعد عنه ، فخلق الله له حاسة الشم ، إلا أنه يدرك بها الرائحة ولا يدري من أي ناحية جاءت ، فخلق الله حاسة البصر ليدرك به ما بعد عنه ويدرك جهته فيقصد تلك الجهة بعينها . كما خلق الله له السمع حتى يدرك به الأصوات من وراء الحجب . وكل ذلك ماكان يغنيه لو لم يكن له حاسة التذوق ، إذ يصل الغذاء فلا يدرك مناسبته له من عدمه فيأكله فيهلك . كما ميز الله تعالى الانسان وكرمه بنعمة إدراك عواقب الأمور عن طريق الحس المشترك للحواس الخمس . فتكون الحواس الخمس بمثابة وكالات الأنباء الموكلين بمختلف نواحي مملكة الانسان ، وقد وكلت كل واحدة منها بأمر تختص به ، فواحدة منها بأخبار المرئيات والأخرى بأخبار

الأصوات ، والأخرى بأخبار الروائح والأخرى بأخبار التذوق والأخرى بأخبار الحر والبرد واللين والخشونة وغيرها . وهكذا تقوم وكالات الأنباء هذه باقتناص الأخبار من أنحاء المملكة ويسلمونها إلى الحس المشترك ومركزه العقل ، الذي هو أكبر نعمة كرم بها الله تعالى بني آدم على سائر مخلوقاته .

شروط حدوث الادراك :

عملية الادراك لا تتم إلا بوجود شرطين :

١ ــ وجود الأشياء أو الموضوعات التي قد ندركها عن طريق البصر أو السمع أو اللمس أو الشم أو التذوق . إذن فالشرط الأول لحدوث الادراك هو وجود هذا العالم الخارجي الملئ بالموضوعات والأشياء المتميزة .

وفي كون الله ومخلوقاته العديد من الأشياء والموضوعات والمخلوقات تحثنا على التفكر والتدبر في خلق الله تعالى ، لقوله عز وجل :

﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلق * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت ﴾

(الغاشية : ١٧ ـ ٢١)

ولم يكن الأمر قاصراً على الكون الخارجي الذي يعيشه الانسان ، بل شمل أيضاً إدراك الانسان لكونه الداخلي ، لقوله تعالى :

﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾

(الزاريات : ٢١)

٢ ــ أما الشرط الثاني لحدوث عملية الادراك هو وجود الذات أو النفس التي تدرك ، لأن الادراك هو إدراك ذات تشعر بموضوع مدرك . والحواس المختلفة هي أداة التفاعل الحي بين الذات من جهة والموضوع المدرك من جهة أخرى . وبدون هذين الشرطين الرئيسيين لا تتم عملية

الادراك .

مما تقدم يتضح لنا أن هناك نوعين من العوامل المسئولة عن عملية الادراك هما :

العوامل الذاتية .

والعوامل الموضوعية .

العوامل الذاتية في عملية الادراك

ويقصد بها العوامل الداخلية التي تكون مصدرها الذات التي تدرك ومن هذه العوامل هي :

١ ــ الاســـتعداد :

عندما يوجد الانسان في مجال إدراكي جديد ، لابد وأن يتخذ إستعداداً خاصاً لمواجهة هذا الموقف الجديد . ففي بداية التعليم الأولي مثلاً يحتاج من الطفل استعداداً معيناً لتعلم القراءة والكتابة إلى غير ذلك من المهارات . ولاشك أن كل مرحلة تعليمية جديدة تحتاج من المتعلم استعداداً خاصاً لكي يتكيف مع هذه المواقف الجديدة وفق إمكانياته وقدراته واستعداداته التي وهبها الله تعالى له ، مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ... ﴾ (البقرة : ٢٨٦)

٢ ــ الخـــبرة (الألفة) :

لا يمكن إنكار الدور الذي تلعبه الخبرة في عملية الادراك ، حتى أن بعض علماء النفس حاولوا تفسير بعض الظواهر النفسية في عبارات الخبرة . فالخبرة أو الألفة تلعب دوراً هاماً في عملية الادراك . فالشخص العادي الذي لم يتعلم لغة معينة لا يستطيع بالطبع قراءة كتاباً مكتوباً بهذه اللغة التي لا عهد له بها من قبل . في حين أن الانسان الذي لديه الخبرة بهذه اللغة يكون

بلا شك قادراً على قراءة هذا المؤلف . والله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه ، مما يؤكد دور الخبرة في إدراك العمل المطلوب إنجازه بل ومحاولة إتقان هذا العمل .

٣ ـ الانتبـــاه :

هو تركيز العقل آو الشعور حول موضوع معين . فالمعلم حينما يطلب من تلاميذه تركيز إنتباههم لموضوع معين أو قضية معينة ، إنما يحث إنتباههم لكي يقوم الانتباه بوظيفته العقلية الشعورية الادراكية . فكأن وظيفة الانتباه توجيه شعور الفرد نحو الموقف المراد إدراكه . وهي عملية عقلية تسبق دائماً الادراك . ولقد حث الله تعالى الانسان على تركيز الانتباه إلى نفسه وكذلك فيمن حوله من مخلوقات لعله يتذكر أو يعتبر ، لقوله عز من قائل :

﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ (الزاريات : ٢١)

﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت * فذكر إنما أنت مذكر ﴾ (الغاشية : ١٧ ـ ٢١)

وقوله عز وجل :

﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم .. ﴾ (الروم : ٩)

هكذا يحث الاسلام ويوجه أنظارنا ويركز إنتباهنا إلى ما في أنفسنا من آيات وعبر ، وكذلك إلى كون الله تعالى بما فيه من آيات عظيمة تدل على قدرته ووحدانيته .

تفاعل العوامل الذاتية :

ومما هو جدير بالذكر أن العوامل الذاتية التي سبق الاشارة إليها من

استعداد وألفه وإنتباه ، كلها عمليات مصدرها واحد ، وهي الذات التي تدرك . فهي لذلك ترتبط ببعضها إرتباطاً وثيقاً ، فنحن لا ننتبه إلى ما هو مألوف لدينا فحسب ، بل إلى ما هو غير مألوف كذلك ، فننتبه إليه ونأخذ تجاهه استعداداً معرفياً عاماً . وهكذا نرى أن هذه العوامل الذاتية ترتبط ببعضها لمساعدة الفرد على إدراك ما يوجد في بيئته التي يعيشها ، بما فيها أيضاً نفسه البشرية .

العوامل الموضوعية في عملية الادراك

ينبغي أن نذكر أن الادراك أعتبر عملية ذاتية داخلية إلى أن ظهرت مدرسة الجشتالت في علم النفس ، والتي أجرت العديد من التجارب وتوصلت إلى الكثر من العوامل والقوانين التي تنظم عملية الادراك والتي أكدت دور العوامل الخارجية بالاضافة إلى العوامل الداخلية في عملية الاداراك .

ونقصد بهذه العوامل الموضوعية تلك العوامل الخارجية التي تتعلق بخصائص الموضوع أو الشئ المدرك . ويمكن أن نحدد هذه الخصائص على النحو التالي :

١ ــ الشــدة والتضــاد :

تمثل شدة المثير أو المنبه عاملاً مؤثراً في تحديد ما سوف ننتبه إليه وبالتالي ما سوف ندركه . فالأصوات العالية مثلاً أو الأضواء الكاشفة القوية أو الارتفاع في درجة الحرارة أو انخفاضها الشديد ، كل هذه تمثل مؤثرات قوية تتمكن من أعضائنا الحسية فتوجه الادراك وجهة معينة .

كذلك يؤدي التضاد أيضاً إلى توجيه الانتباه تمهيداً للادراك . فمثلاً ظهور ضوء في قلب الظلام ، أو وجود شخص طويل القامة وسط مجموعة من الأقزام ، إلى غير ذلك من أشكال التضاد التي تجذب الانتباه .

٢ ــ التغير والحركة :

تميل الأشياء في حالة الحركة إلى جذب الانتباه وتوجيه الادراك فكثيراً ما يجذب إنتباهنا النور الذي يضئ ويطفئ على واجهات المحلات والمؤسسات . كما يجذب إنتباهنا أيضاً الصوت المتغير الذي تطلقه سيارات الشرطة أو الاسعاف نهاراً والضوء المتغير المتحرك التي تصدره ليلاً لكي تنبه قائدي السيارات للسماح لها بأولوية المرور عند الضرورة .

٣ ــ التنظيم والترتيب :

تميل الأشياء التي تنتظم في ترتيب معين إلى جذب إنتباهنا وتوجيه إدراكنا أكثر من الأشياء الأخرى التي تبدو غير منظمة أو مرتبة . فيشد إنتباهنا كثيراً فصيلة من الجنود تسير في نظام وعلى نغمة واحدة . كما يجذب إنتباهنا أيضاً إلقاء قصيدة شعرية أو نثرية ، إلى غير ذلك من الأشياء التي تنتظم بطريقة مرتبة فيكون لها القدرة على جذب الانتباه ومن ثم إدراكها .

هذا لا يعني أننا لا ندرك الضوضاء أو الصريخ أو العويل ، بل إننا ندرك هذه الأشياء من أول وهلة ، وإن كنا لا نرتاح لها أو نتوافق معها مثل ما نرتاح أو ننسجم مع قصيدة شعرية أو نثرية كما ذكرنا سابقاً .

هكذا تتم عملية الادراك نتيجة تفاعل القوى الصادرة من العوامل الذاتية الداخلية والعوامل الموضوعية الخارجية . ولاشك أن موضوع الادراك من أهم الموضوعات التي تفيد المعلم في ضبط الشروط الأساسية للموقف التعليمي حتى ييسر لتلاميذه أشمل وأدق إدراك ممكن ، هذا مما يساعد التلاميذ على التفاعل الايجابي مع الموقف التعليمي للوصول بهم إلى أكبر مدى ممكن من النجاح .

ثانياً : التفكـــير

التفكير هو عملية عقلية معرفية . فهو بذلك نشاط عقلي راقي يعكس فيه الانسان الواقع بطريقة موضوعية .

ولا شك أن التفكير كعملية عقلية عليا تميز الانسان عن سائر المخلوقات الحية الأخرى ، وليس معنى ذلك أن الحيوان غير قادر على التفكير ، ولكن تفكيره مهما بلغ يكون في أضيق الحدود ، أما الانسان فإن تفكيره غير محدود ، بمعنى أنه قادر بإذن الله تعالى وبفضل نعمته عليه ، قادر على الخلق والابتكار والابداع . والله يحثنا على التفكر والتدبر في كونه وفي خلقه ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموٰات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون ﴾

(الروم : ٨)

وقوله تعالى :

﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ (الأعراف : ١٧٦)

وقوله تعالى :

﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾

(الحشر : ٢١)

وقوله تعالى :

﴿ وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾

(الرعد : ٣)

وقوله تعالى :

﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم فيه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * وينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾

(النحل : ١٠ : ١١)

وقوله تعالى :

﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون * بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾

(النحل : ٤٣ : ٤٤)

وقوله تعالى :

﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾

(النحل : ٦٨ : ٦٩)

كما أثنى الله على المتفكرين ، فقال تعالى :

﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموٰات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾

(آل عمران : ١٩١)

وقد ورد في السُنة بأن : « تفكر ساعة خير من عبادة سنة »[١] . وفي بيان فضيلة التفكير يقول الامام الغزالي : « إن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم »[٢]

---

(١) أخرجه بن حبان في كتاب العظمة .

(٢) الامام الغزالي : إحياء علوم الدين (مرجع سابق) ، الجزء الرابع ، ص ٤٢٣ .

لأن التفكير بمعناه العام هو إمعان النظر في الأشياء أو الموضوعات أو الظواهر للوصول إلى حكم قاطع سديد ، وله صور متعددة تختلف باختلاف الغرض الذي يرمي إليه المفكر ، فقد يكون الغرض منه محاولة التفكير في معنى كلمة معينة وهذا ما يطلق عليه الفهم . وقد يكون التفكير لمحاولة إثبات شيئ لشيئ أو نفيه عنه وهو الحكم . كما قد يكون معرفة إنطباع عام ينطبق على مجموعة معنية من الأفراد أو الجماعات ، وهو الاستقراء . ويمكن أن يكون التفكير لاستنباط حكم جديد من حكمين معروفين فيطلق عليه القياس . وقد يكون الغرض من التفكير معرفة السبب في حادثة ما أو أمر ما من الأمور فيطلق عليه التعليل .

هكذا يتضح لنا أن التفكير أياً كانت صورته فهو إدراك علاقات ، قد تكون :

١ — بين خبرات ماضية وأخرى حاضرة .

٢ — بين خبرات حاضرة بعضها ببعض .

٣ — بين مقدمات ونتائج .

٤ — بين عله ومعلول .

٥ — بين معنيين .

٦ — بين معلوم ومجهول .

٧ — بين عام وخاص .

التفكير والادراك :

التفكير عملية أعمق وأشمل من الادراك ، فالادراك ينحصر في الشيئ موضوع الملاحظة ، أما التفكير يصل إلى ما هو أبعد من ذلك في بحث علاقة هذا المدرك بالمدركات الأخرى التي حوله والتي يتأثر بها ويؤثر فيها . فقد يدرك الفرد شجرة على أنها موضوع منعزل في حد ذاته فيمتلكه الشغف بجمال شكلها أو كثرة ثمارها أو ضخامة ساقها أو غير ذلك ، بدون أن يدرك

في نفس الوقت موضوعات أخرى وثيقة الصلة بهذا المدرك وهي الشجرة . أما عملية التفكير فتجري على نحو آخر ، حيث ينزع الفرد إلى فهم دور كل جزء من أجزاء الشجرة ومحاولة فهم العلاقات المتبادلة لهذه الأجزاء مع بعضها الآخر ، والأبعد من ذلك أن التفكير لا ينزع بالفرد إلى فهم القوانين الأساسية لوجود ظاهرة معينة ، بل أنه يعكس في عقل الفرد أيضاً علاقات هذه الظاهرة بغيره من الظواهر أو الموضوعات الأخرى . وبالتالي فإنه من الصعب أن نفهم حقيقة الشجرة كمدرك إذا لم نفكر في أهمية التربة ومكوناتها والماء والهواء والشمس ودرجة الحرارة إلى غير ذلك من الموضوعات وثيقة الصلة بالظاهرة موضوع الفكر .

التفكير والذكاء :

يعتبر التفكير مظهر من مظاهر الذكاء ، وإن كان غير متحد معه . فالتفكير كصفة تكتسب يمكن تدريبه وتنميته . فلا شك أن أغراض التربية الصحيحة تدريب النشء وتعويده على التفكير العلمي السليم واكتسابهم العادات الفكرية الصحيحة .

بينما الذكاء استعداد فطري مورث ، وتظل نسبة الذكاء شبه ثابتة داخل حدود معينة ، صحيح أنه يمكن تنميته ولكن لا ننسى أنه فطري في الأصل ، أما التفكير فهي صفة تكتسب من تعامل الفرد وتفاعله مع بيئته .

التفكير والتذكر :

التذكر عملية إسترجاع لخبرات سابقة مر بها الفرد ، فهو بذلك يعتمد على الحفظ ، أما التفكير فهو أعم وأشمل من التذكر حيث لا يختص فقط بخبرات الماضي إنما يهتم أيضاً بالحاضر والمستقبل معاً . وبالتالي فإن

الخبرات الماضية التي هي جوهر عملية التذكر لا تمثل إلا منزلة جزئية في عملية التفكير حيث يختار الفرد من هذه الخبرات الماضية ما يناسب الموقف العصري الجديد ، فيعيد تنظيمها وترتيبها في ثوب جديد لمواجهة المشكلات التي يقابلها الفرد في حياته .

التفكير والتخيل :

التخيل هو استدعاء صور حسية من الماضي إلى ساحة الشعور . والتخيل في بعض صوره كأحلام اليقظة واللعب الايهامي يعتمد إلى حد كبير على علاقات قد تكون غير حقيقية وليس لها أساس في العالم الذي يعيشه ، وفي هذا يختلف التفكير عن التخيل ، لأن التفكير يعتمد في الأصل على العلاقات الحقيقية القائمة فعلاً في العالم الخارجي ، لأنه يهدف دائماً إلى حل مشاكل البيئة ، وإن كنا لا نستطيع أن ننكر الدور الذي قد يلعبه التخيل في إنجاح عملية التفكير .

مراحل التفكير :

تحتل عملية التفكير منزلة كبيرة في النشاطات الانسانية بوجه عام وفي الحقل التربوي بوجه خاص . ويجب علينا أن ندرك أهمية تدريب النشء وتعويده على أساليب التفكير العلمي الصحيح الذي يقوم على الملاحظة والمشاهدة الدقيقة . ويذهب جون ديوي إلى تقسيم عملية التفكير إلى المراحل التالية :

١ ـــ الشعور بالمشكلة :

وفيها يدرك الفرد أن ثمة مشكلة حقيقية مما تستوجب عملية التفكير لحل هذه المشكلة حلاً جذرياً .

٢ ــ تحديد المشكلة :

أما الخطوة الثانية فهي تحديد هذه المشكلة تحديداً دقيقاً ، ويتم ذلك في ضوء إدراك وتصور واضح للمجال الخارجي والخبرات السابقة .

٣ ــ فرض الفروض :

في ضوء ما جمعه الفرد من وقائع حول هذه المشكلة ، يفترض عدة فروض أو احتمالات كحلول لتلك المشكلة .

٤ ــ إختبار صحة الفروض :

ثم ينتقل الفرد بعد ذلك إلى التحقق من صحة الفروض التي فرضها كحلول للمشكلة ، وينتهي به الأمر إلى اختيار فرض معين يعتبر حل للمشكلة موضوع الدراسة ، ويطرح ما عداه من الفروض الأخرى

٥ ــ تطبيق الحل :

وأخيراً يطبق الحل الذي توصل إليه في الخطوة السابقة تطبيقاً عملياً ، وبالتالي ينجح في حل المشكلة والتغلب على أسبابها .

ثالثاً · التذكر

سبق أن ذكرنا أن الادراك هو الأساس الأول في العمليات العقلية العليا التي يقوم بها الانسان ، لأنه الوسيلة التي ينتقل بها العالم الخارجي إلى الانسان . فإذا كان الادارك هو وسيلة تحصيل الفرد لموضوعات الخبرة المباشرة الراهنة ، فإن التذكر هي قدرة الفرد على إدراك الماضي أو القدرة على استرجاع خبراته السابقة . فالتذكر إذن هي قدرة عقلية معرفية يتم بها تسجيل وحفظ واسترجاع

وقوله تعالى :

﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون ﴾

(هود : ٢٤)

وقوله عز وجل :

﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾

(إبراهيم : ٢٤ : ٢٥)

وقوله تعالى :

﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ (الذاريات : ٤٩)

وهكذا يضرب الله الأمثال للناس ويمثل بالتشبيهات كعظات وعبر للمتذكرين .

العوامل الميسرة للاسترجاع[1]

هناك مجموعتان من العوامل التي تيسر عملية الاسترجاع ، إحداها عوامل ذاتية ، والأخرى موضوعية .

العوامل الذاتية الميسرة للاسترجاع :

١ ــ **الاسترخاء** : فإذا استعصى على الفرد استدعاء اسم شخص أو رقم

(١) المرجع السابق ، ص ٣٠٥ ــ ٣٠٨ .

هاتف أو حادثة معينة ، فإن ترك هذا الأمر والانشغال في عمل آخر ربما ييسر عملية الاسترجاع فيثب موضوع الاسترجاع إلى ذهنه من تلقاء نفسه . وهذا مايتبعه المعالج النفسي أثناء جلسات العلاج ، فيطلب من المريض أن يسترخي على أريكة حتى يتسنى له أن يطلق العنان لمشاعره وأفكاره ليتذكر كل ما في ذهنه من خواطر وذكريات .

٢ ــ **التهيؤ الذهـني** : هو استعداد وتأهب للقيام بنشاط معين . فما قد ينساه الطلبه بعد الامتحان أكثر بكثير مما ينسونه قبل الامتحان ، لأنهم بالطبع في حالة تهيؤ ذهني شديد لاسترجاع المواد الدراسية . ومن هنا يظهر أثر التهيؤ في تيسير عملية الاسترجاع .

٣ ــ **الميل إلى الاغلاق (إتمام العمل)** : لاشك أن الأعمال التي يبدأها الانسان ثم تضطره الظروف إلى عدم إتمامها ، تخلق فيه نوعاً من القلق والاضطراب والتوتر لا تزول إلا إذا أتم هذا العمل وأنجزه على أكمل وجه .

العوامل الموضوعية الميسرة للاسترجاع :

١ ــ **قانون التكرار** : فلا شك أن تكرار موضوع معين يعد من أهم العوامل الميسرة لعملية الاسترجاع ، شريطة أن يكون هذا التكرار تكراراً موزعاً على فترات ، وألا يكون تكراراً رتيباً مركزاً .

٢ ــ **قانون الحداثة** : فالأشياء أو الموضوعات أو الأفراد الذين التقيت بهم حديثاً يكونون أسهل تذكراً من غيرهم من الأمور الأخرى . مثل تذكرك لآخر درس درسته في مادة معينة أو آخر عام ذهبت فيه لأداء فريضة الحج .

٣ ــ **قانون الأولوية** : فالأحداث التي نلتقي بها لأول مرة يسهل استرجاعها

الخبرات الماضية . فخبرات الانسان الماضية من إدراكات وأفكار ومشاعر وحركات لا تختفي بلا أثر ، وإنما يستبقيه العقل في شكل نماذج وصور ومفاهيم في الذاكرة . لذلك تعتبر عملية التذكر ركيزة أساسية مميزة للنشاط العقلي الانساني ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ هذا بلاغ للناس ولينذرو به ويعلموا أنما هو الـله واحد وليذّكر أولوا الألباب ﴾
(إبراهيم : ٥٢)

وقوله تعالى :

﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾

(الرعد : ١٩)

والتذكر كقدرة عقلية تتم على شكلين ، إما عن طريق الاستدعاء المباشر دون وسيط يساعد على ذلك وهو ما يسمى بالاسترجاع ، أو استرجاع يعتمد على وسيط يساعد على استدعاء الماضي وهو ما يسمى بالتعرف . إذن فاسترجاع الماضي يتم إما عن طريق :

الاسـترجـاع .
أو التعـــرف .

١ ـ الاسـترجـاع Recall

هو استحضار الماضي في صورة ألفاظ أو معان أو حركات أو صور ذهنية[1] . فكثيراً ما نسترجع آية من الآيات الكريمة أو حديث من الأحاديث النبوية ، أو حادثة معينة أو منظراً مر بخبرتنا في الماضي . إذن فالإسترجاع عملية ذهنية خالصة تتم بدون وجود المثير أو المنبه الذي يعمل على استدعاء ذكريات الماضي ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذالكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾
(الأنعام : ١٥٢)

وقوله تعالى :

﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يتذكرون ﴾
(الأعراف : ١٣٠)

وقوله تعالى :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاءى ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلم تذكرون ﴾
(النحل : ٩٠)

٢ ـ التعرف Recognition

التعرف هو « شعور الفرد أن ما يدركه الآخر جزء من خبراته السابقة ، وأنه معروف مألوف لديه وليس شيئاً غريباً عنه أو جديداً عليه »[٢] . فعملية التعرف إذن مرهونة بامتثال الشيئ موضوع التعرف أمام الحواس ، مما ييسر عملية التذكر والاستدعاء . والله سبحانه وتعالى ضرب لنا الأمثلة الحية الواقعية لتيسر علينا عملية التذكر والعبرة والعظة لقوله عز من قائل :

﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ﴾
(الزمر : ٢٧)

---

(١) دكتور أحمد عزت راجح : أصول علم النفس (مرجع سابق) ، ص ٢٩٥ .

(٢) المرجع السابق .

عن الأحداث الأخرى ، كأول يوم ذهبت فيه إلى المدرسة ، وأول يوم ذهبت فيه إلى الجامعة وأول مرة ذهبت فيها لأداء فريضة الحج إلى غير ذلك من الأحداث الأولية والتي لها أثر في نفسك .

٤ ــ **قانون الشدة** : فالخبرات والأحداث العنيفة التي يكون لها أكبر الأثر في نفسك ، هذه الأحداث الانفعالية تكون أسهل استرجاعاً من غيرها من الأحداث .

٥ ــ **قانون اكتمال الملابسات** : فوجود الفرد في نفس المكان الذي اكتسب فيه الذكرى السابقة يعينه على استرجاعها . لذلك فإن إحضار الشاهد إلى مكان حدوث الجريمة قد يثير في ذهنه سلسلة الأحداث التي وقعت أثناء الجريمة . والتلميذ الذي تعلم سورة قرآنية وهو جالس قد يصعب عليه تذكرها وهو واقف . كما دلت التجارب أيضاً على أن أداء التلاميذ في الامتحانات يكون أفضل حين يعقد الامتحان في نفس المكان الذي تلقوا فيه دروسهم .

النســـيان

النسيان هو فقدان طبيعي جزئي أو كلي ، مؤقت أو دائم ، لما اكتسبناه من ذكريات وخبرات ومهارات . فهو عجز الفرد عن الاسترجاع أو التعرف[1] والنسيان سمة من سمات الانسان دون غيره من سائر المخلوقات ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً ﴾ (طه : ١١٥)

هذا ويجب التمييز بين النسيان الطبيعي والنسيان المرضي . أما النسيان

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٩٧ .

الطبيعي أو اللا إرادي فيكون نتيجة مباشرة لزحمة الحياة وتعقدها وكذلك تعدد ألوان النشاطات المتعاقبة التي يقوم بها الانسان في حياته اليومية . وفي هذا النوع من النسيان لا يؤاخذ عليه الفرد لأنه نسيان غير مقصود ، لذلك يقول في شأنه الرسول ﷺ : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »[1]

وهناك نوع آخر من النسيان وهو المرضي ، والناجم إما عن فقدان الذاكرة لإصابة دماغية أو صدمة إنفعالية شديدة أو فقدان الذاكرة الناتج عن بعض الأمراض العقلية ، وإما أن يكون هذا النسيان المرضي مصدره الشيطان والعياذ بالله ، مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ قال أرءيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً ﴾

(الكهف : ٦٣)

وقوله تعالى :

﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾

(المجادلة : ١٩)

ونستعرض فيما يلي الأسباب التي قد تساعد على حدوث النسيان .

أسباب النسيان الطبيعي :

١ ـ **الترك وعدم الاستعمال** : لاشك أن ترك المعلومات التي سبق أن تعلمناها وخبرناها يضعفها مما يعرضها للنسيان .

٢ ـ **التداخل والتعطيل** : فقد وجد أن النسيان في أثناء الليل يكودأقل منه

---

(١) رواه الطبراني في الكبير .

أثناء النهار ، حيث أن كثرة النشاطات المتعاقبة التي يقوم بها الفرد أثناء النهار يتداخل بعضها في بعض مما يؤدي إلى التعطيل والذي يؤدي بدوره إلى النسيان .

وهناك نوعان من التعطيل :

(أ) **التعطيل الرجعي** : فقد لوحظ أن إستذكار درس معين ، ثم الشروع بعدها مباشرة بقراءة درس ثان ، هنا يحدث التعطيل الرجعي ، حيث يطمس الدرس الثاني استرجاع الدرس الأول .

(ب) **التعطيل البعدي** : حيث أن التعلم السابق قد يعطل التعلم اللاحق ، فمثلاً تعلم درس في اللغة الانجليزية قد يعطل تعلم درس يتلوه مباشرة في اللغة الفرنسية .

٣ ــ **عدم وضوح المعنى** : فكلما ازداد عدم وضوح معنى المادة التي تدرس ، زاد مقدار نسيانها ، فنحن عادة نتذكر الأشياء الهامة في حياتنا والتي ذات معنى خاص لدينا ، بينما ننسى الأشياء الأخرى الغير هامة والتي غير ذات معنى .

هذا وقد أثبتت الدراسات التجريبية المختلفة أن معدل النسيان يتوقف على عدد من العوامل مثل[١] :

(أ) إتقان التعلم المبدئي .

(ب) الصلة الوثيقة بين ما يتعلمه الفرد وحاجاته الشخصية ومفاهيمه .

(جـ) نوع النشاط اللاحق لتعلم المادة .

(د) تأثير الزمن الذي يفصل بين التعلم والتذكر .

(هـ) الصحة الجسمية والنفسية للشخص ووقت التعلم ووقت الاسترجاع .

---

(١) دكتور جابر عبد الحميد جابر : علم النفس التربوي ، القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٨٢ ، ص ٣٧٥ .

٤ ــ **تجاوز حد الحفظ** : قد لا يرضى بعض الطلاب عن استذكارهم عندما يصلون إلى مستوى مقبول . بل يستمرون في عملية الاستذكار حتى ينسون ما كانوا يحفظون بعد فترة من الوقت .

الفصل الحادي عشر

الفــروق الفرديـــة

﴿ ومن آياته خلق السمٰوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾

(الروم : ٢٢)

مقـدمــــة :

* أنواع الفروق الفردية .
* تعريف الفروق الفردية .
* نشأة القياس في الفروق الفردية .
* توزيع الفروق الفردية .
* وجوب مراعاة الفروق الفردية .

الفصل الحادي عشر

الفــروف الفرديـــة

مقدمـــة :

إن حكمة الله سبحانه وتعالى في خلقه اختلافهم في نواح كثيرة متعددة فهم مختلفون في الجنس فمنهم الذكور ومنهم الاناث ، وهم مختلفون في اللون منهم الأبيض ومنهم الأسود ، وهم مختلفون في ألسنتهم فمنهم العربي والغربي ، كما يختلفون أيضاً من حيث البيئة التي نشأوا فيها فمنها المناطق الجبلية والمستوية ومنها المناطق الصحراوية والساحلية ومنها المناطق الحارة والباردة ، وما يتبع هذه المناطق المختلفة من فروق واضحة في التكوين الجسمي كالطول والقصر والبدانة والنحافة ، كما أن هناك أيضاً اختلاف في الأعمار وما يتبعها من مستويات النمو المختلفة . وهناك أيضاً فروقاً واضحة في التنظيم العقلي وسمات الشخصية كما توجد فروق كذلك في الطباع والعادات والتقاليد . وفي ذلك يقول الله عز وجل :

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾

وقوله تعالى :

﴿ ... لا نكلف نفساً إلا وسعها ... ﴾ (الأنعام : ١٥٢)

ولقد فطن العرب قديماً إلى أهمية تلك الفروق الفردية في بناء المجتمع فقال الأصمعي :

« لا يزال الناس بخير ما تباينو ، فإذا تساووا هلكوا »

ويقصد بالتباين هنا اختلاف الأفراد في قدراتهم واستعداداتهم العقلية ، في ميولهم واهتماماتهم المهنية واللامهنية ، في إتجاهاتهم وقيمهم ، في سماتهم وخصائصهم إلى غير ذلك من ألوان التباين التي تعطي للمجتمع قوته وخصوبته . فلنتصور أننا مثلاً لا نصلح جميعاً إلا لمهنة واحدة معينة ، فماذا سيكون حال المجتمع ؟ من هنا يتحقق لنا بما لا يدع مجالاً للشك في أهمية وقيمة الفروق الفردية بالنسبة لحياة الأفراد من جهة والمجتمع من جهة أخرى .

ومظاهر الفروق الفردية واضحة جلية من حولنا ، فإذا أمعنا النظر فيمن حولنا من الناس لوجدنا فروقاً واضحة بينهم ، فهذا سريع الفهم حاد الذكاء وذاك بطيء الفهم ضعيف العقل ، هذا قوي الجسم وذاك معتل الصحة ، هذا هادئ الطبع متزن الانفعال وذاك سيئ الطبع عصبي المزاج ، هذا منبسط المزاج يحب الاختلاط بالآخرين وذاك منطوي على نفسه لا يقبل الاختلاط بالناس .

وإذا أمعنا النظر في الحياة المدرسية لنلاحظ فروقاً واضحة بين التلاميذ ، في القدرات والاستعدادات والمهارات والاهتمامات . والدليل البسيط على ذلك أن التلاميذ يختلفون فيما بينهم في مستويات تحصيلهم في مادة معينة ، فضلاً عن أن بعضهم قد يتفوق في مادة الرياضيات بينما يتفوق البعض الآخر في العلوم أو الآداب إلى غير ذلك من مظاهر التباين داخل الفصل الدراسي .

مما تقدم يتبين لنا أن الفروق الفردية حقيقة قائمة وأن جوهرها موجود في التكوين الجسمي والعقلي للأفراد ، هذا بجانب ما هو ظاهر بين الناس من تفاوت في الغنى والفقر في العلم والجهل في الصحة والمرض إلى غير ذلك من مظاهر الفروق الفردية التي توضح النهج والأسلوب الذي يسلكه الفرد في حياته ، مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ قل كل يعمل على شاكلته ..... ﴾ (الاسراء : ٨٤)

والله سبحانه وتعالى بقدرته وعظمته في خلقه أوجد هذه الفروق بين خلقه مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم ﴾

(الأنعام : ١٦٥)

وقوله عز وجل :

﴿ أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ..... ﴾

(الزخرف : ٣٢)

وكما يختلف الأفراد فيما بينهم من حيث قدراتهم واستعداداتهم وميولهم وسماتهم الشخصية ، كذلك تختلف قدرات الفرد الواحد واستعداداته وميوله وسماته من حيث القوة والضعف . فقد يكون الفرد متفوقاً في القدرة اللغوية ودون المتوسط في القدرة الرياضية ، وقد يكون ماهراً في الأعمال اليدوية بينما غير ناجح في الأعمال الكتابية ، كما قد يكون لديه استعداداً طيباً لدراسة العلوم الدينية بينما يبدي النفور من دراسة العلوم الرياضية . هذا من جهة ومن جهة أخرى قد يختلف الفرد مع نفسه من وقت إلى آخر في مستويات قدراته واستعداداته واهتماماته وذلك وفق الحالة النفسية التي يمر بها .

يسود الفكر الانساني إتجاهان يوضحان أسباب تلك الفروق الفردية :

الاتجـــاه الأول :

يؤكد على أن البيئة بما تتضمنه من تأثيرات متعددة هي المسئولة عن ظهور تلك الفروق الفردية .

والاتجـــاه الثاني :

فيؤكد على أن الفروق الفردية التي قد تبدو بين الناس إنما ترجع إلى الاستعدادات الوراثية التي يرثها الفرد من الآباء والأجداد .

وهكذا يلجأ بعض العلماء إلى تأكيد دور البيئة بينما يلجأ البعض الآخر إلى تأكيد دور الوراثة . وفي واقع الأمر تتضافر كل من العوامل البيئية والوراثية معاً في إظهار تلك الفروق الفردية . لذلك فإنه من الخطأ أن نتساءل أيهما أهم في تعيين سمات شخصية الفرد ؟ هل الوراثة أم البيئة ؟ لأننا بذلك نكون مثل من يتساءل : أيهما أهم لحياة الفرد المعدة أم الطعام ؟ أو الذي يتساءل أيهما أهم في سير السيارة الماكينة أم البنزين ؟ .

أنواع الفروق الفردية :

الفروق الفردية إما تكون في نوع الصفة ، وإما تكون في درجة وجود هذه الصفة . على سبيل المثال صفتي الطول والوزن ، فصفة الطول تختلف عن صفة الوزن وإلا لوجد مقياس مشترك لهاتين الصفتين ، إذ لكل صفة مقياسها الخاص بها وهذا ما يؤكد اختلاف الصفة . أما اختلاف الأطوال في حد ذاته فهو اختلاف في الدرجة ، فمثلاً الامتداد الطولي الكبير يختلف في الدرجة عن الامتداد الطولي القصير ، فهذا اختلاف ليس في نوع الصفة وإنما في درجة وجودها .

ومع ذلك فقد يتحول الاختلاف الواضح والكبير في درجة وجود صفة ما إلى اختلاف في النوع ، مما قد يؤدي إلى ظهور خواص جديدة لنفس الصفة ، وذلك عندما يزداد درجة تركيزها إلى حد يتجاوز مستواها العادي بمقدار كبير . فمثلاً عندما تصل درجة حرارة الماء إلى الغليان يتحول الماء من صورته السائلة إلى صورة أخرى مغايرة وهي الصورة الغازية التي تختلف في صفاتها وخصائصها عن صفات الماء الذي منه نشأ . وكذلك صفة الطيبة فإذا زاد تركيزها في فرد معين إلى حد يتجاوز مستواها العادي فإن هذا الفرد قد يوصف بالعبط وعدم الحيطة . لذلك يحض الاسلام دائماً على التوسط

والاعتدال في السلوك مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ..... ﴾ (البقرة : ١٤٣)

وقوله عز وجل :

﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾

(الفرقان : ٦٧)

وقوله عز من قائل :

﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾

(الحديد : ٢٣)

تعريف الفروق الفردية :

هي الانحرافات الفردية عن المتوسط الجماعي في الصفات المختلفة بمعنى أن الفروق الفردية هي مقياس كمي لمدى الاختلاف القائم بين الناس في صفة ما مشتركة .

نشأة القياس في الفروق الفردية :

من المفارقات العجيبة أن المقاييس الأولى للفروق الفردية لم تبدأ على يد علماء النفس كما هو متوقع ، وإنما كان ذلك على يد علماء الفلك . إذ حدث في عام ١٧٩٦ م أن فصل مدير مرصد جرينتش بألمانيا مساعده لأنه تأخر ثانية واحدة في رصده لأحد الأجرام السماوية حيث كانت الطريقة المتبعة في الرصد هي طريقة العين والأذن . وقد أثارت هذه الحادثة العالم الفلكي بسل Bessel فعكف على دراسة هذه الظاهرة وخرج من دراسته لهذه الفروق إلى ما عرفه « بالمعادلة الشخصية »[1] . ومضمونها أن الأفراد يختلفون

(١) دكتور صلاح مخيمر ، دكتور عبده ميخائيل : سيكولوجية الشخصية ، دراسة الشخصية وفهمها ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨ ، ص ٢١٦ .

من حيث سرعة ما يسمى « بزمن الرجع »[1] Reaction time وهو الزمن الذي يمر بين ظهور المثير وحدوث الاستجابة ، ويختلف هذا الزمن في مدته من فرد إلى آخر .

وقد أدى هذا الحدث التاريخي إلى إلقاء الضوء وتوجيه الأنظار إلى موضوع الفروق الفردية . ففي عام ١٨٧٩ أنشأ فونت Wundt أول معمل لعلم النفس التجريبي في ليبزج ، وكانت المشكلات التي بحثت تبين العلاقة بين علم النفس التجريبي وعلم وظائف الأعضاء حيث شمل التجريب دراسة الحواس السمعية والبصرية وزمن الرجع .

ثم جاء العالم البيولوجي الانجليزي فرانسيس جالتون Galton (١٨٢٢ — ١٩١١) الذي اهتم بدراسة الفروق الفردية على أسس علمية . وفي عام ١٨٨٢ أنشأ معمله في لندن لقياس بعض الظواهر الانسانية مثل قياس حدة البصر والسمع والقوة العضلية وبذلك جمع مجموعة هائلة من البيانات عن الفروق الفردية في العمليات النفسية البسيطة . وكان جالتون هو أول من استخدم الطرق الاحصائية في تحليل نتائج قياس الفروق الفردية[2] .

وقد ظهر العالم السيكولوجي الأمريكي كاتل Cattell ، وهو من تلاميذ فونت ، وأنشأ معملاً لعلم النفس التجريبي ، وعمل على نشر حركة القياس . وقد كان للاهتمام الكبير بضعاف العقول في فرنسا فضل في تطور حركة القياس العقلي عن طريق الاختبارات العقلية . وظهر أول مقياس للذكاء عام ١٩٠٥ على يد بينيه وسيمون ، ثم ما لبثت أن تعددت الاختبارات النفسية وتنوعت ، وبدأت نتائجها تخضع للتحليل الاحصائي ، حتى أن هذا العصر من وجهة نظر العلوم الانسانية لقب بعصر الاختبارات .

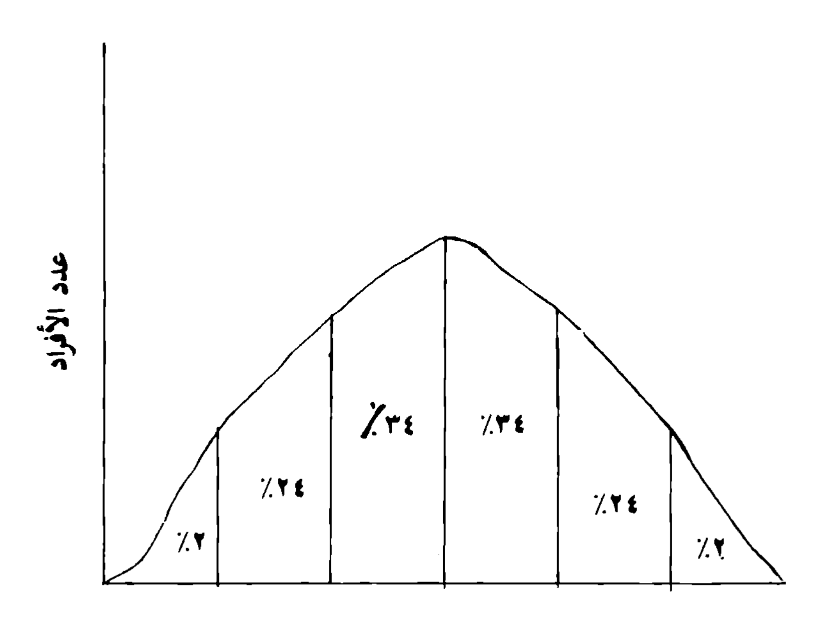
---

(١) دكتور طلعت منصور وآخرين : أسس علم النفس العام (مرجع سابق) ، ص ٢٩٩ .

(٢) دكتور صلاح مخيمر : سيكولوجية الشخصية (مرجع سابق) ، ص ٢١٧ .

توزيع الفروق الفردية :

إذا تناولنا الفروق الفردية من زاوية سمة أو صفة معينة كصفة الطول مثلاً وذلك لدى مجموعة كبيرة جداً من الأفراد ، لوجدنا أن توزيع هذه الصفة يتبع نموذجاً خاصاً . فإذا قمنا بتمثيل النتائج في منحنى بياني فإننا عادة ما نجد أن هذا المنحنى يأخذ شكلاً عاماً واحداً كما هو موضح بالشكل التالي :



من الشكل السابق يتضح لنا أن معظم الأفراد يقعون في الوسط ، ويقل عدد الأفراد كلما اتجهنا إلى الطرفين في توزيع متصل لا ينطوي على فجوات . ويكون التوزيع على جانبي الخط المركزي متماثلاً . وينتظم هذا التماثل كلما كانت العينة كبيرة وممثلة تمثيلاً حقيقياً للعينة الأم (العينة الممثلة لا تقل عن عشر العينة الأم) . هذا المنحنى يعرف بمنحنى الجرس لتشابهه بالجرس ، وقد يدعى بالمنحنى الاعتدالي ، وأحياناً يطلق عليه منحنى التوزيع الطبيعي .

وقد تتداخل أحياناً بعض العوامل فتغير من شكل هذا المنحنى فيكون ملتوياً بمعنى أن تكون القمة ليست في مركز التوزيع وإنما على يمين المركز أو على يساره ويسمى هذا الالتواء عادة بالالتواء الموجب أو الالتواء السالب .

وجوب مراعاة الفروق الفردية :[1]

ثمة كلمة أخيرة يجب أن تقال في هذا المجال وهي وجوب مراعاة الفروق الفردية ، لأن إغفال ما بين أفراد المجتمع من رجال ونساء ، كبار وصغار من فروق فردية جسمية كانت أو عقلية أو مزاجية أو إجتماعية أو ثقافية له آثاره السيئة على كل من الفرد والمجتمع على حد سواء . فلو أننا أغفلنا مثل هذه الفروق ما استطعنا أن نحفزهم على العمل أو أن نرعى العدل في إثابهم أو عقابهم ، وما استطعنا أيضاً أن نوجههم إلى المهن والأعمال والحرف ونوع التعليم الذي يتناسب مع إمكانياتهم وقدراتهم واستعداداتهم وميولهم . أي لما استطعنا أن نضع الفرد المناسب في المكان المناسب .

وفي مجتمعنا اليوم إذا كان من واجبات المجتمع أن يساوي بين الناس في الحقوق إلا أنه ليس من الممكن أن يساوي بينهم في القدرات والسمات والخصائص بما يجعلهم قادرين على التنافس البناء العادل المشروع بينهم . كذلك من واجبات المجتمع أن يسوي بينهم في الفرص التعليمية المتاحة ولكن كل من حسب قدراته واستعداداته وإمكاناته ، فلا يصح أن نساوي بين مختلف التلاميذ في نوع التعليم ، ومن هنا تنوع التعليم وتفرع إلى ألوان عدة لتتماشى مع تلك الفروق العقلية والشخصية والمزاجية .

---

(١) دكتور أحمد عزت راجح : أصول علم النفس (مرجع سابق (، ص ٣٧٣ ــ ٣٧٤ .

الفصل الثاني عشر

الصحـــة النفســية

« اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك »

(حديث شريف رواه الطبراني)

مقـدمــــة .
تعريف الصحة النفسية .
الصحة النفسية والأسرة .
الصحة النفسية والمدرسة .
الصحة النفسية والمجتمع .
مظاهر الصحة النفسية .
الصحة النفسية والتكيف
- **التكيف الشخصي .**
- **التكيف الاجتماعي .**
- **التكيف وعلاقته بالاحباط .**

الصحة النفسية والصراع .

الفصل الثاني عشر

الصحـــة النفســـية

مقـدمـــــة :

تتردد كلمة الصحة النفسية عادة عندما يقف الفرد أمام مشكلة ما من مشكلات السلوك . فإذا لاحظنا فرداً ما لا يصدر عنه السلوك السوي المناسب أثناء تعامله مع من يعيش معهم أو يحتك بهم ، فإننا نحكم عليه بأنه متعب نفسياً أو يعاني من بعض المشكلات النفسية . وسلوك الانسان لا يخرج عادة عن كونه نوعاً من التوافق مع البيئة التي يعيشها ، ومن أمثلة التكيف النفسي المناسب خوف الانسان من موقف يهدد حياته ، كوقوعه أمام حيوان مفترس مثلاً ، مما يحتم عليه هذا الموقف أن يسلك سلوكاً سوياً سليماً بطريقة تمنع الخطر عنه فيهرب بعيداً عن هذا الموقف . ولكن إذا ظهر خوف الانسان الراشد من حيوان أليف كقط أو أرنب أو ما شابه ذلك لاعتبرنا ذلك مظهراً من مظاهر إختلال الصحة النفسية لهذا الفرد . أما حالات التكيف السوي السليم فإنها تعتبر دالة على الصحة النفسية للفرد .

تعريف الصحة النفسية :

هناك مفاهيم ومعاني كثيرة ، وسنكتفي بذكر مفهومين من هذه المفاهيم وهما :[1]

---

(١) دكتور مصطفى فهمي : الصحة النفسية دراسات في سيكولوجية التكيف (مرجع سابق) ، ص ١٥ ، ١٦ .

١ ـ يذهب المفهوم الأول بأن الصحة النفسي هي البرء من أعراض المرض العقلي أو النفسي . ويلقى هذا المفهوم قبولاً في ميادين الطب العقلي .

ولاشك أن هذا المفهوم سلبي ، لأنه يقصر مفهوم الصحة النفسية على خلو الفرد من الأمراض النفسية أو العقلية . والدليل على ذلك أننا كثيراً ما نجد أفراد خالين من أعراض الأمراض النفسية أو العقلية ومع ذلك غير ناجحين في حياتهم المنزلية أو الوظيفية . فلا شك أن هؤلاء لا يتمتعون بصحة نفسية سليمة ، رغم خلوهم من أعراض الأمراض النفسية أو العقلية .

٢ ـ أما المفهوم الثاني للصحة النفسية فيأخذ طريقاً إيجابياً ، أعم وأشمل وأعمق من المفهوم الأول ، لأنه لا يرتبط بظهور أعراض المرض النفسي أو العقلي لدى الفرد ، وإنما يرتبط بقدرة الفرد على التوافق مع نفسه ومع مجتمعه الذي يعيشه فيه . هذا المفهوم الايجابي يعني رضاء الفرد عن نفسه وقبوله لها وكذلك تقبله للآخرين ، كما يتسم سلوكه بالاتزان والاعتدال تحت تأثر جميع الظروف .

وعلى ضوء ما تقدم نؤثر الأخذ بهذا الاتجاه الايجابي في تعريفنا للصحة النفسية ، وعلى ذلك يمكن تعريف الصحة النفسية بأنها « حالة دائمة نسبياً ، يكون فيها الفرد متوافقاً نفسياً (شخصياً وإنفعالياً وإجتماعياً أي مع نفسه ومع البيئة) ، ويشعر فيها بالسعادة مع نفسه ، ومع الآخرين ، ويكون قادراً على تحقيق ذاته واستغلال قدراته وإمكانياته إلى أقصى حد ممكن ، ويكون قادراً على مواجهة مطالب الحياة ، وتكون شخصيته متكاملة سوية ، ويكون سلوكه عادياً ، بحيث يعيش في سلامة وسلام »[1]

---

(١) دكتور حامد زهران : الصحة النفسية والعلاج النفسي . القاهرة : عالم الكتب ١٩٧٤ ، ص ١١ .

وفي الحقيقة هناك تعريفات أخرى للصحة النفسية ولكن لا تختلف في جوهرها عن التعريف السابق..

الصحة النفسية والأسرة :

الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل ، وهي المسئول الأول عن تنشئة الطفل دينياً وإجتماعياً وثقافياً فهي التي تسهم بالقدر الأكبر في الاشراف على مختلف جوانب النمو وتكوين شخصية الطفل وتوجيه سلوكه الوجهة السوية .

من هنا يتبين لنا الدور الكبير الذي يمكن أن تقوم به الأسرة في تنشئة الأجيال النشئة السليمة . ولا شك أن العلاقات بين الوالدين والطفل تؤثر بطريقة مباشرة وغير مباشرة على الصحة النفسية للأبناء . وحتى تتمكن الأسرة من تنشئة أبنائها التنشئة الصالحة نجد أن الاسلام يهتم إهتماماً بالغاً على استقرار واستمرار الحياة الزوجية ، فكثيراً ما يوصي بالنساء خيراً لقوله عز وجل :

﴿ فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ... ﴾ (البقرة : ٢٣١)

وقوله تعالى :

﴿ وعاشروهن بالمعروف .... ﴾ (النساء : ١٩)

فأول نتائج استقرار الأسرة واستمرارها هو تنشئة الأبناء تنشئة طيبة صالحة . حتى أن أبغض الحلال عند الله الطلاق . والسعادة الزوجية تؤدي إلى تماسك الأسرة بما يخلق جواً نفسياً طيباً مريحاً يساعد على نمو الطفل نمواً سوياً سليماً مما يجعل منه شخصية متزنة ومتكاملة . أما التعاسة الزوجية والخلافات الأسرية لا شك تخلق جواً نفسياً كئيباً مما يخيم على أفراد الأسرة التعاسة والشقاء ، وهذا بدوره يؤدي إلى ظهور الاضطرابات النفسية والسلوك الشاذ الغير سوي لدى أبناء هذا الجو كإضطراب الغدة الدرقية ، والسلوك الأناني ، وخصلة الكذب إلى غير ذلك من أنماط السلوك المضطرب لدى الأطفال .

ولا شك أن مهمة الوالدين اليوم أشق بكثير عما كانت عليها بالأمس ، فقد زاد شعورهما بجسامة المسئولية الملقاة على عاتقهما وهي التربية ، التربية السوية والسليمة للأبناء ، كما اتسع أيضاً نطاق هذه المسئولية فلم يعد مجرد إطعام الطفل وتعويده على السلوك المرغوب ، بل أصبحت تكوين شخصيات فعالة متزنة ومتكاملة .

ولنذكر على وجه الخصوص دور الأم في هذه العملية بوصفها أول معلمة للعلاقات الانسانية بالنسبة للطفل ، وأول وسيط بين الطفل والعالم الخارجي ، فإذا أحسنت تقديمه إلى العالم الخارجي لزادت ثقته فيها وفي هذا العالم ، وإن هي أساءت تقديمه ظل يشعر طوال حياته بالوحشة والاغتراب واختلال ميزان صحته النفسية . ولقد كان لنا في قصة سيدنا يوسف وأخوته عظات للسائلين مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين * إذ قالوا ليسوف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إنَّ أبانا لفي ضلال مبين * اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين ﴾

(يوسف : ٧ ـ ٩)

هكذا يخبرنا القرآن الكريم عن الآثار النفسية التي تدفع الانسان إلى ارتكاب الجرائم كما هو واضح في الآيات الكريمة السابقة . هذا ويمكن أن نجمل دور الأسرة في الصحة النفسية للطفل فيما يلي :[١]

١ ـ الأسرة تؤثر على النمو النفسي (السوي وغير السوي) للطفل ، كما تؤثر في بناء شخصيته وظيفياً وديناماً .

٢ ـ الأسرة السعيدة تعتبر بيئة نفسية صحية للنمو السوي السليم وبالتالي تؤدي إلى سعادة الطفل وتحقيق صحته النفسية .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩ .

٣ ــ الأسرة المضطربة تعتبر بيئة نفسية سيئة وغير صالحة للنمو السوي ، فهي تكون بمثابة مرتع خصب للانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية والاجتماعية .

٤ ــ الخبرات الأسرية التي قد يتعرض لها الطفل في سنوات حياته الأولى من عمره تؤثر تأثيراً هاماً في نموه النفسي ، من هنا وجب على الأسرة أن تنتقي للطفل الخبرات الصالحة السوية وأن يكون الوالدان مثلاً طيباً يحتذى به في المثل الصالح والقدوة الحسنة .

الصحة النفسية والمدرسة :

المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية التي أوجدها المجتمع حينما تعقد التراث الثقافي لتحمل عنه عبئ إعداد النشئ . ومما لاشك فيه أن الاتجاهات الحديثة في التربية تتمشى مع الأهداف التي يرمي إليها علم الصحة النفسية . فكل منها تهدف إلى تكوين شخصيات متكاملة ولذلك تستخدم المدرسة أساليب نفسية عديدة وهي بصدد إعداد النشئ منها وأهمها تدعيم القيم الدينية والخلقية والاجتماعية والثقافية وذلك عن طريق المناهج الدراسية ، كما تعمل على توجيه الأنشطة المدرسية بحيث تؤدي إلى تعليم التلاميذ الأساليب السلوكية الطيبة والمرغوبة ، كما تهدف أيضاً إلى تعليم المعايير الاجتماعية والأدوار الاجتماعية والثواب والعقاب ، والصح والخطأ ، والحلال والحرام ، كما تقدم المدرسة كذلك الرعاية النفسية لكل تلاميذها عن طريق المساهمة في حل مشكلاتهم المادية والاجتماعية والانفعالية والتعليمية . كما تساعد المدرسة أيضاً خريجيها على تحقيق أهدافهم في الحياة بطريقة تتلاءم مع قدراتهم واستعداداتهم وإمكانياتهم .

من هذا نرى إلى أي حد تهتم المدرسة بحياطة الصحة النفسية للطلاب ، ووقايتهم من عوامل القلق والاضطراب وتزويدهم بأساليب الكفاح الناجحة .

الصحة النفسية والمجتمع :

لاشك أن تطبيق إتجاهات الصحة النفسية في المجتمع لابد وأن يشمل مختلف أفراده على حد سواء ، وذلك تجنباً للعوامل المؤدية إلى الاضطراب القلق والحقد النفسي . فالمجتمع الاسلامي أول ما قام ، قام على أساس من العدالة والمساواة ، لقوله تعالى :

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾

(الحجرات : ١٣)

والصحة النفسية[1] بالنسبة للمجتمع في غاية الأهمية . فالمجتمع الذي يعاني من التمزق والانشقاق ، مجتمع مريض . والمجتمع الذي تسود فيه ثقافة دخيلة غير أصيلة مليئة بعوامل الهدم والاحباط والصراع ، مجتمع مريض . والمجتمع الذي يسود فيه الجهل والشك والتعصب ، مجتمع مريض . والمجتمع الذي يتدهور فيه نظام القيم ويسود فيه الضلال والانحلال والفساد مجتمع مريض . والحمد لله تعالى المجتمع الاسلامي أبعد من ذلك كله لأنه مجتمع تسوده وحده العقيدة . مجتمع تسوده القيم الدينية والمبادىء الخلقية السامية . مجتمع تسوده عوامل الحب والتواد والتراحم والتعاون مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ إنما المؤمنون أخوة .... ﴾ (الحجرات : ١٠)

فهذا حقاً المجتمع الذي يتمتع أفراده بصحة نفسية طيبة .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

مظاهر الصحة النفسية

الصحة النفسية كما ذكرنا سابقاً ليست مجرد خلو الفرد من أعراض المرض النفسي أو العقلي والتي قد تبدو في صورة إضطراب أو قلق أو وساوس أو مخاوف مرضية شاذة ، بل إن الصحة النفسية حالة تتميز إلى جانب تلك العلامات السلبية بأخرى إيجابية منها ما هو موضوعي أي ما يمكن أن يلاحظه الآخرون ، ومنها ما هو ذاتي أي مالا يشعر به إلا الفرد نفسه . ومن أهم هذه المظاهر :

أولاً ـــ الراحة النفسية :

وكيف تأتي الراحة النفسية إن لم يقوم الانسان بواجباته نحو نفسه ومجتمعه وكذلك نحو خالقه سبحانه وتعالى . يقول الله تعالى :

﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾

(الرعد : ٢٨)

فالذي يحسن ذكر الله ، يحب في الله ، ويعمل في الله ، ويعدل في الله ، ويخلص في الله ، ويجاهد في الله ، ويتصدق لله ، الذين نبه الله تعالى عنهم الناس ليعلمهم بأحبابه بأنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ذلك لأنهم يتقون الله في كل حركة وسكون ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾

(يونس : ٦٢ : ٦٤)

وقوله عز وجل :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾

(فصلت : ٣٠)

وأي راحة نفسية بعد تنزل ملائكة الرحمة عند الموت على من استقاموا وأخلصوا دينهم ودنياهم لله ، بأن لا تخافوا من أهوال يوم القيامة ولا تحزنوا على ما خلفتموه في الدنيا من أهل ومال وولد فنحن نخلفكم فيه وأبشروا بجنة الخلد التي وعدكم الله تعالى بها .

وتتمثل الراحة النفسية في أمور ثلاث :

١ ــ القدرة على مواجهة الأزمات :

وهذه تتعلق بقدرة الفرد على الصمود حيال المحن والصعاب والشدائد وضروب الاحباطات المختلفة ، وذلك دون أن يختل ميزان صحته النفسية . فالمؤمن الحق الذي يؤمن إيماناً كاملاً بقضاء الله خيره وشره . فقد يكون لقضاء الله امتحان للعبد ، فما عليه إلا أن يحمد الله على ما آتاه من خير أو شر فقد يكون الخير الذي نتطلع إليه فيه شر لنا ، بينما الشر الذي نرغب عنه قد يكون فيه الخير ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ ... وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (البقرة : ٢١٦)

وقوله عز وجل :

﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوٰة من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ (البقرة : ١٥٦)

فالانسان إذا رضى بقضاء الله وابتلائه له بالفقر أو المرض أو فقدان عزيز له ، فإنه يكون بذلك قادر على اجتياز الابتلاء والاختبار من قبل الله تعالى ، وحصوله في الدار الآخرة على رحمة الله ورضوانه .

٢ ــ القدرة على الصبر حيال الشدائد :

ففي بيان فضل الصبر يقول عز وجل :

﴿ ... ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾

(النحل : ٩٦)

وقوله تعالى :

﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ (الزمر : ١٠)

كما وعد الله تعالى الصابرين بأنه معهم لقوله تعالى :

﴿ ... واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ (الأنفال : ٤٦)

كما يبشر الله الصابرين حيال الشدائد بقوله تعالى :

﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾

(البقرة : ١٥٥)

وعن الرسول ﷺ أنه قال :

« الصبر نصف الايمان »[1]

مما تقدم يتضح لنا جلياً فضل الصبر وقيمته في مواجهة الشدائد والأزمات ، وهذا من أهم مظاهر الصحة النفسية .

٣ ــ القدرة على التفاؤل والاستبشار بالحياة :

فالفرد الذي يتمتع بقدر طيب من الصحة النفسية يجب أن يكون متفائلاً بالحياة مستبشراً بها ، لا متشائماً أو ساخطاً عليها حتى في حالات العسر ، مصداقاً لقول الله تعالى :

﴿ فإن مع العسر يسرا * إن مع العسر يسراً ﴾ (الانشراح : ٤ ، ٥)

وهذا يوضح أهمية التفاؤل والاستبشار بالحياة .

---

(١) أخرجه أبو نعيم والخطيب .

ثانياً ــ الكفاية في العمل :

فالكفاية في العمل والانتاج وفق ما تسمح به قدرات الفرد واستعداداته وإمكانياته ومهاراته مظهر من مظاهر الصحة النفسية . فعن طريق العمل يحقق الفرد أهدافه الحيوية ، الأمر الذي يحقق له مزيداً من الرضا والسعادة النفسية وقد حث الاسلام على العمل لقوله عز وجل :

﴿ ليأكلو من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ﴾ (يس : ٣٥)

فالله سبحانه وتعالى يحب العبد المحترف ، أي صاحب الحرفة ، ومن كد على عياله كان كالمجاهد في سبيل الله ، والنبي ﷺ قال : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده »[1]

وهكذا يوضح لنا الاسلام قيمة العمل والانتاج ، فهو ضرورة من ضرورات الحياة ، كما أن الله تعالى يجزي عليه في الآخرة شريطة أن يتقن الانسان عمله مصداقاً لقول الرسول ﷺ : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه »[2]

ثالثاً ــ تقبل الذات وتقبل الآخرين :

من أهم مظاهر الصحة النفسية أن يتقبل الانسان ذاته ويرضى عن إمكانياته واستعداداته وقدراته التي منحها الله تعالى له . ولاشك أن مدى رضاء الفرد عن نفسه سوف ينعكس بطبيعة الحال وبطريقة غير مباشرة في مدى تقبله للآخرين وحبه لهم وتعاونه معهم والتضحية من أجلهم . ويقول الرسول ﷺ في حديثه : « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا

---

(١) رواه البخـاري .

(٢) رواه البيهقـي .

أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم »[1]

وعنه ﷺ أنه قال :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[2]

فالفرد الذي يتقبل ذاته ، تزداد ثقته في نفسه ، وبالتالي تزداد ثقته بالآخرين كما تزداد رغبته في التعامل والتعاون البناء معهم .

رابعاً ــ القدرة على ضبط النفس :

إن الفرد السوي يتمتع بقدر طيب من الصحة النفسية يستطيع أن يتحكم في رغباته وشهواته وملذاته ، ويكون قادراً على إرجاء إشباع بعض حاجاته ، وأن يتنازل عن لذات عاجلة وقتية في سبيل ثواب آجل أبعد أثراً وأكثر استمراراً . مثل هذا الفرد يدرك عواقب الأمور ، فالله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المئاب ﴾

(آل عمران : ١٤)

وكذلك طاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة رسوله الكريم ﷺ وطاعة أولى أمر المسلمين تعتبر مظهر من مظاهر ضبط النفس لقوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ... ﴾

(النساء : ٥٩)

---

(١) رواه مسلم .

(٢) أخرجه الخمسة إلا أبا داود .

خامساً ـ القدرة على تحمل المسئولية :

القدرة على تحمل المسئولية مظهر هام من مظاهر الصحة النفسية ، وأولها أن يكون الانسان مسئولاً مسئولية كاملة عن جميع أفعاله وأقواله وحركاته ، قوله عز وجل :

﴿ فوربك لنسئلنهم أجمعين * عما كانوا يعملون ﴾ (الحجر : ٩٢ ، ٩٣)

ولقوله عز من قائل :

﴿ ولتسئلن عما كنتم تعملون ﴾ (النحل : ٩٣)

وعن الرسول ﷺ قال :

« يا فاطمة بنت محمد ، لا أغني عنك من الله شيئاً »[1] بهذا التحذير المحمدي لأقرب المقربين إليه ، لفلذة كبده فاطمة ، يقرر الرسول الكريم مبدأ من أهم المبادئ الاسلامية وأساساً من أسس العقيدة الالهية ، لا يغني أحد عن أحد شيئاً وهي المسئولية الفردية لقوله تعالى :

﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله ﴾ (الأنفطار : ١٩)

فكل فرد إذن مسئول عن ذاتيته وعقيدته وسلوكه . ولاشك أن تحمل المسئولية يعتبر دعامة قوية من دعائم المسلم الأمين الصادق مع نفسه ومع ربه ومع مجتمعه .

سادساً ـ القدرة على التضحية والفداء :

يقول عز وجل :

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾

(التوبة : ١١١)

---

(١) محمد بن الشريف : الأمثال في القرآن (مرجع سابق) ، ص ١١٩ .

فالتضحية في سبيل الله هي التجارة الرابحة التي يقول الله عز وجل في حقها :

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾

(الصف : ١٠)

وقد فضل الله تعالى المجاهدين لقوله تعالى :

﴿ وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ﴾ (النساء : ٩٥)

هكذا فإن من أهم سمات الفرد المتمتع بالصحة النفسية ، قدرته على البذل والعطاء والمساهمة في خدمة أهله ومجتمعه ودينه .

سابعاً ـ القدرة على تكوين علاقات طيبة مبنية على الثقة المتبادلة :

إن الفرد السوي هو الذي يحقق وجوده الاجتماعي ، ويعترف بحاجته إلى أفراد مجتمعه وفي تعاونه معهم . وهكذا يحثنا الاسلام دائماً وأبداً على ضرورة التعاون على البر والتقوى والعمل الصالح لا على التباغض والتناحر فيقول عز وجل :

﴿ ... وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾

(المائدة : ٢)

ويقول تعالى في شأن المؤمنين :

﴿ إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾

(الحجرات : ١٠)

وفي ذلك يقول الرسول ﷺ :

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[1]

فلا شك أن اعتراف الفرد بحاجته إلى الآخرين ، لابد وأن يتضمن القدرة على تكوين علاقات شخصية وثيقة بهم ، علاقات مبنية على الحب والود والثقة المتبادلة .

ثامناً ــ إتخاذ أهداف واقعية :

شرطٌ من شروط الصحة النفسية تمتع الفرد بقدرته على اتخاذ أهداف واقعية حقيقية وليست خيالية زائفة ، ولا شك أن خير الأهداف التي يجب أن تحقق من قبل الفرد أهداف دينه ودنياه مصداقاً لقول النبي ﷺ :
« إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »[2]

تاسعاً ــ الشعور بالسعادة :

إن صحة الفرد النفسية تبدو جلية واضحة في مدى استمتاعه بالحياة ، بعمله وأسرته وأصدقائه ، وشعوره بالطمأنينة والسعادة وراحة البال ، بحب الناس وحب القيم الأخلاقية السامية . ومع ذلك فكل منا قد يتعرض أحياناً لضيق عابر أو قلق عرضي ، ولكن الفرد الذي يتمتع بصحة نفسية جيدة يستطيع أن يواجه مثل هذه الأزمات والشدائد ويحاول حلها حلاً سوياً سليماً ، وسرعان ما تعود حياته النفسية إلى ما كانت عليه من سلاسة ويسر . والشعور بالسعادة لا يكتمل إلا باتباع ما أمر به الله سبحانه وتعالى واجتناب ما نهى عنه عز وجل.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .
(٢) حديث موقوف رواه ابن قتيبة في غريب الحديث .

مفهـوم التكـيف :

إن مصطلح التكيف لغوياً مشتق أصلاً من العلوم البيولوجية وهي كلمة تعني التوافق والتآلف والتقارب وهي على نقيض التخالف والتنافر والتصادم .

والتكيف في علم النفس هو تلك العملية الديناميكية المستمرة التي يهدف بها الفرد إلى إحداث علاقة أكثر توافقاً بينه وبين بيئته التي يعيشها . وبناء على ذلك نعرف مفهوم التكيف على أنه قدرة الفرد على تكوين علاقات مرضية بينه وبين بيئته ، بكل ما تعنيه البيئة من بيئة جغرافية ومناخية وطبيعية وثقافية واقتصادية واجتماعية ونفسية .

أبعـاد التكـيف :

هناك بعدان أساسيان للتكيف يتضح من خلالهما مدى صحة الفرد النفسية وهما :

١ ــ التكيف الشخصي (الداخلي) :

وهو أن يكون الفرد راضياً عن نفسه، غير كاره لها أو نافر منها أو ساخط عليها أو غير واثق فيها . كما تتسم حياته النفسية بالخلو من الصراعات والتوترات والاضطرابات النفسية ، وهذا ما يسمى بالتكيف الذاتي .

أما الشخص الذي يفتقر إلى هذا البعد نجد أنه شخص غير راض عن نفسه ويعاني حرباً تدور رحاها بين جوانب نفسه . هذه الحرب تستنفذ قدراً كبيراً من طاقته الحيوية والتي كان من الممكن أن تستغل في مواجهة أعباء الحياة وشدائدها . لذلك نراه قليل الحيوية ، سريع التعب ، عاجزاً عن المثابرة والانتاج وبذل الجهد .

٢ ــ التكيف الاجتماعي (الخارجي) :

وهو يتمثل في قدرة الفرد على تكوين علاقات اجتماعية طيبة مرضية مع من يعيشون معه أو من يتعامل معهم من الناس . علاقات إجتماعية خالية من الظن أو الشك أو الشعور بالنقص أو التعالي أو السيطرة أو العدوان أو السلبية .

فالمتكيف إجتماعيا نجده ملتزماً بقوانين وعرف وتقاليد وقيم المجتمع الدينية والثقافية والحضارية . وهو أيضاً أقدر على ضبط نفسه حيال المواقف الانفعالية فلا يثور ولا يغضب ، لذلك يوصف المتكيف مع المجتمع بأنه ناضج إنفعالياً .

ومما هو جدير بالذكر أن نشير إلى أن ما بين هذين البعدين ، الشخصي والاجتماعي ، من صلة وثيقة وتفاعل متبادل وأنهما معاً يمثلان التكيف العام للفرد .

العوامل الأساسية في إحداث التكيف :

١ ــ إشباع الدوافع الأولية والثانوية :

فإذا لم تشبع دوافع الفرد عضوية كانت أو نفسية ، فإنها تخلق لديه حالة من التوتر الذي يدفعه إلى الانحراف والجنوح فتختل بذلك عملية التكيف .

٢ ــ توافر العادات والمهارات التي تيسر إشباع الدوافع :

تتكون هذه العادات والمهارات في أثناء المراحل المبكرة من حياة الفرد ، لذلك فإننا نجد التكيف هو في الواقع محصلة لما مر به الفرد من خبرات وتجارب في مرحلة الطفولة المبكرة ، أثرت في تعلمه للطرق المختلفة التي يشبع بها دوافعه ويتعامل بها مع من يعيش معهم في

مجال الحياة الاجتماعية . والواقع أن كل إنسان في كبره يحمل في طيات نفسه رواسب الطفولة ، وغالباً ما تكون هذه الرواسب قوية وراسخة في الأعماق ، وهذا يوضح لنا بجلاء العلاقة الوثيقة بين التكيف وعملية النمو .

٣ ـ أن يعرف الانسان ذاته :

فمعرفة الانسان لنفسه يعد شرطاً أساسياً من شروط التكيف فقد ورد في الأثر هذا القول : « رحم الله امرئ عرف قدر نفسه » ومعرفة الانسان لنفسه تتضمن :

(أ) أن يعرف الانسان الحدود التي يمكن في نطاقها إشباع رغباته وأهدافه بحيث تأتي متفقه والعرف الاجتماعي للمجتمع الذي يعيشه .

(ب) أن يعرف الفرد إمكانياته وقدراته واستعداداته وحتى لا يرغب في تحقيق رغبة أو هدف لا تسمح إمكانياته بتحقيقه ، فيحدث الاحباط ويسوُ التوافق .

٤ ـ أن يتقبل الانسان نفسه :

لاشك أن فكرة الفرد عن نفسه تعد من أهم العوامل المؤثرة في سلوكه . فإذا كانت هذه الفكرة حسنة مشوبة بالرضا ، فإن ذلك يدفعه إلى مزيد من التكيف والتوافق مع أفراد المجتمع الذي يعيشه ، أما إذا كان الانسان غير متقبلاً لنفسه وغير راض عنها ، فإنه غالباً ما يتعرض للمواقف الاحباطية التي تجعله يشعر بالنقص والعجز والفشل وهذا ما يدفعه إلى الانعزال والانطواء أو السيطرة والعدوان وبذلك يسوُ تكيفه وتوافقه مع المجتمع الذي يعيشه .

٥ ــ المرونــة :

ونقصد بالمرونة أن يستجيب الفرد استجابات مناسبة للمواقف الجديدة ، مما يقوي من عملية توافقه مع بيئته . أما الشخص الجامد غير المرن هو الذي لا يقبل أي تغير يطرأ على حياته ولو كان للأفضل أو الأصلح ، ومن ثم يختل ميزان توافقه وتكيفه مع البيئة .

وفوق هذا وذاك من عوامل إحداث التكيف أن يؤمن الفرد إيماناً لا يتزعزع بالله سبحانه وتعالى وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقضاء الله خيره وشره ، لأن هذا هو أصل ومنبع وأساس التوافق النفسي والاجتماعي السوي السليم للفرد .

التكيف وعلاقته بالاحباط والصراع :

لا يمكن أن نتعرض لعملية التكيف والتوافق الشخصي والاجتماعي دون أن نتعرض لمصطلح مثل الاحباط والصراع . وذلك لأن عملية التكيف والتوافق عادة ما تتضمن قدراً من كل منهما وسوف نناقش على الصفحات التالية موضوع الاحباط والصراع .

الاحبــاط
Frustration

الاحباط هو خيبة الأمل التي قد تحدث للفرد نتيجة عدم تحقيقه لهدف معين . ويعرف علماء النفس الاحباط بأنه :

« هي العملية التي تتضمن إدراك الفرد لعائق يحول دون إشباع حاجاته أو توقع الفرد حدوث هذا العائق في المستقبل»[1]

---

(١) د . مصطفى فهمي : الصحة النفسية دراسات في سيكولوجية التكيف (مرجع سابق) ، ص ١٨٨ .

وقد يكون مصدر الاحباط خارجياً أي موضوع أو شئ أو شخص يقف حائلاً دون تحقيق الهدف الذي يسعى إليه الفرد ، وقد يكون مصدر الاحباط داخلي ، بمعنى أن قدرات الفرد واستعداداته وإمكانياته قد تكون هي مصدر الاحباط . وفي كلا الحالتين سواء كان مصدر الاحباط داخلي أو خارجي فإن ذلك يسبب للفرد التوتر والضيق والألم النفسي .

والاحباط يملي على الفرد سلوكاً متنوعاً بغية تحقيق الهدف الذي يسعى إليه ، فمثلاً الطالب الذي يهدف إلى جذب إنتباه مدرسيه بالمدرسة فقد يحاول أن يجذب إنتباههم عن طريق التفوق في التحصيل الدراسي ، فإذا تعثر بما يسعى من خلال الامتثال بالأخلاقيات الحميدة ، وهكذا فإن الاحباط يدفع الفرد دائماً إلى تعديل أو ربما تغيير سلوكه ليحقق الهدف الذي ينشده .

الاســلام والاحبــاط :

تحدث القرآن الكريم في مواضع كثيرة عن الاحباط قاصداً به عز وجل بطلان أعمال الكفرة والمشركين والمفسدين في الأرض مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً * أولئك الذين كفوا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾

(الكهف : ١٠٣ـ١٠٥)

وقوله تعالى :

﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون ﴾

(التوبة : ١٧)

وقوله عز وجل :

﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً * أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً ﴾

(الأحزاب : ١٨ ، ١٩)

وقوله عز من قائل :

﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾

(الزمر : ٦٥)

وقوله تعالى :

﴿ والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم * وذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾

(محمد : ٨ ، ٩)

وقوله عز وجل :

﴿ إن الذين كفروا بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم * أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين ﴾

(آل عمران : ٢١ ، ٢٢)

وقوله تعالى :

﴿ ... ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾

(المائدة : ٥)

وقوله عز من قائل :

﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾

(الأنعام : ٨٨)

وقوله تعالى :

﴿ والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾

(الأعراف : ١٤٧)

وقوله عز وجل :

﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليست لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾

(هود : ١٥ ، ١٦)

هكذا يخبرنا القرآن الكريم عن بطلان أعمال الكفرة والمشركين والمفسدين ، ولكن الله سبحانه وتعالى ينصر المؤمنين لقوله عز وجل :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾

(محمد : ٧)

وقوله عز وجل :

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾

(فصلت : ٣٣)

الصـــراع
Conflict

إن الحديث عن موضوع الاحباط يؤدي بنا إلى دراسة عملية أخرى مرتبط بالتكيف معروفة باسم الصراع . وهناك تعاريف عديدة مؤداها أن الصراع هو

الاحباط الداخلي الناتج عن وجود دافعين متناقضين في موقف معين بحيث يؤدي إشباع أحد هذه الدوافع إلى التضحية بالدافع الآخر ، بمعنى أنه لا يمكن إشباعهما معاً في وقت واحد .

وقد قام كيرت ليفين بتقسيم الصراع إلى الأنواع الثلاثة التالية :

١ ــ صراع الإقدام الإقدام : Approach-Approach Conflict

ويحدث هذا الصراع عندما يكون الفرد منا أمام رغبتين موجبتين وعليه أن يختار رغبة واحدة منهما فقط ، حيث يتعذر على الفرد إشباعهما في وقت واحد . في هذه الحالة يكون الفرد مدفوعاً دفعاً موجباً نحو كل من هاتين الرغبتين المحببتين إلى نفس الفرد من هنا ينشأ الصراع لأن الفرد عليه أن يختار رغبة واحدة منهما فقط ومضحياً بالرغبة الثانية . ومن أمثلة هذا النوع من الصراع ، ذلك الصراع الذي يعاني منه الطالب الذي يحصل على مجموع عال في الثانوية العامة ويجد نفسه محتاراً في الاختيار بين كلية الطب أو الهندسة مثلاً ، إذ عليه أن يختار كلية واحدة فقط ، في هذه الحالة يعاني الطالب من الصراع النفسي إذا لم يكوّن رأياً معيناً بالنسبة لتفضيله لكلية معينة عن الأخرى .

ويمكن للطالب حسم الصراع وذلك بمساعدته على فهم حقيقة الفرص المتاحة له ، ومساعدته أيضاً على اختيار الفرصة التي تناسب ميوله واستعداداته وقدراته .

ويعد هذا النوع من الصراع أبسط أنواع الصراع .

٢ ــ صراع الإقدام الإحجام : Approach-Avoidance Conflict

وينشأ هذا الصراع عن وجود الفرد أمام رغبتين متعارضتين إحداهما سالبة والأخرى موجبة . وبالتالي يكون للموقف الواحد عوامل مشجعة على الاقتراب منه ، وأخرى منفره منه .

ومن أمثلة هذا النوع من الصراع ، الأب الذي يريد أن يرسل ابنه في رحلة مدرسية لكي يستفيد تربوياً واجتماعياً وترويحياً ، وهذا يمثل القوة الموجبة للموقف ، ولكن لنفس هذا الموقف قوة سالبة تدفع الأب بعيداً عن هذه الرغبة ، وهذا يتمثل في خوف الأب من أن يصاب ابنه بسوء في الرحلة .

هذا النوع من الصراع كبير الأهمية بالنسبة لعملية التكيف ، إذ أن الوصول إلى حل لهذا الصراع أمر صعب لأن حل هذا الموقف من الصراع لابد وأن يتضمن أحد أمرين إما أن يفقد شيئاً يحبه ، أو أن يقبل شيئاً لا يرغب فيه .

٣ ـ صراع الإحجام الإحجام : **Avoidance-Avoidance Conflict**

ويتمثل هذا الصراع في وجود الفرد في حالة ينشأ عنها موقفان كلاهما يلحق به ضرراً معيناً . وكلنا يذكر القائد المسلم طارق بن زياد حين كان يخاطب جنوده قائلاً لهم : « العدو أمامكم والبحر من ورائكم » ، إنما كان يبصرهم بأن الموت من أمامهم وكذلك الموت من خلفهم ، وبذلك يحسهم على القتال في سبيل الله حتى النصر أو الشهادة .

ومن أمثلة ذلك أيضاً الجندي في المعركة فإنه يكون واقعاً تحت تأثير دافعين ، حرصه على حياته وخوفه من الموت ، فهذا الجندي إذا إراد أن يحافظ على حياته وهرب من المعركة ، فإنه سيتعرض حتماً لوصمة العار التي ستلحق به ومن ثم المحاكمة بتهمة الخيانة العظمى . وإذا بقى في المعركة فسوف يتعرض للموت ، وكلا الموقفين يسببان له القلق والتوتر والاضطراب ، لذلك يعد هذا النوع من الصراع أخطر أنواع الصراع جميعها .

الاســلام والصــراع :

جاء الاسلام ليقضي على الصراع النفسي والتردد والتذبذب . فقد أوضح لنا ومن أول وهلة الفروق الجلية الواضحة بين التوحيد والشرك ، بين الحلال والحرام ، بين الخير والشر ، بين الحق والباطل ، بين العدل والظلم ، بين الطيب والخبيث ، وحتى لا يدع فرصة لمؤمن بالله حق الايمان أن يتزعزع إيمانه أو يتذبذب بيّن هذا وذاك فالحلال بيّن والحرام بيّن مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ... ﴾ (البقرة : ٢٥٦)

أما المنافقون فمن سماتهم التذبذب والحيرة بين الكفر والايمان مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا للصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً ﴾

(النساء : ١٤٢ ، ١٤٣)

أما المؤمنون بالله تعالى فلا يتذبذبون ولا يترددون في حق من حقوق الله ، فهم دائماً وأبداً بجانب الحق والخير والحلال ، فقد أخلصوا دينهم لله تعالى واستقاموا على شريعة الله لذلك لهم البشرى في الحياة الدنيا والآخرة مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾

(فصلت : ٣٠)

وقوله تعالى :

﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ... ﴾
(إبراهيم : ٢٧)

هكذا يثبت الله الذين آمنوا على كلمة التوحيد وعلى الايمان بالله في هذه الحياة الدنيا ، فلا يفتنون ولا يزيغون عن كلمة التوحيد أبداً .

الفصل الثالث عشر

الشـــــخصية

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾

(الأحزاب : ٢١)

- مقـدمــــة .
- العوامل المؤثرة في الشخصية :
  * العوامل الوراثية .
  * العوامل البيئية .
- نظريــات الشــــخصية :
  * نظرية الأنماط .
  * نظرية السـمات .
  * نظرية العوامل .
  * الأسس النفسية لشخصية المؤمن .
- إضطرابـات الشــخصية :
  * الأمراض العصابية .
  * الأمراض الذهانية .
- العــلاج النفســـــي :
  * الطرق الدنياوية .
  * الطرق الدينية .
  * أسلحة المؤمن .

الفصل الثالث عشر

الشـــخصية

مقدمـــة :

يعتبر موضوع الشخصية هو الموضوع الأول والأخير في علم النفس وذلك لأن ما يهدف إليه عالم النفس هو دراسة شخصية الانسان بميوله واتجاهاته وعاداته وتقاليده وسماته وخصائصه وقدراته واستعداداته ، إلى غير ذلك من المفاهيم التي قد تميز الشخصية . ولقد قصد المؤلف تأجيل موضوع الشخصية إلى آخر فصل حتى يمكن اعتبار ما سبقه من فصول هو المدخل الطبيعي والمناسب لدراسة هذا الموضوع .

فالشخصية هي وحدة الحياة العقلية والنفسية معاً ، لذلك تعتبر أساس دراسة علم النفس . ويقصد بدراسة الشخصية الاهتمام بتلك الصفات الفريدة والمميزة لكل فرد والتي تجعل منه وحدة فريدة في ذاتها ومختلفة عن غيرها من حيث العوامل الوراثية الفطرية والبيئية المكتسبة والتي تفاعلت مع بعضها البعض فأنتجت هذا الطابع الفريد الذي لا يشترك فيه إثنان إشتراكاً كاملاً في جميع النواحي ، وهذا ما يبين قدرة وعظمة الخالق عز وجل ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ ومن آياته خلق السمٰوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾

(الروم : ٢٢)

ولم تقف الفروق عند هذا الحد ، بل وصلت بقدرة الله تعالى إلى ما هو أدق من ذلك بكثير وهي بصمة إصبع الابهام ، فلا يوجد إثنان متماثلان في البصمة . وعلى ذلك فلكل فرد فرديته الخاصة به والتي تميزه عن غيره من الأفراد .

تعريف الشخصية :

الشخصية مصطلح متداول بين الناس في حياتنا اليومية . فقد يذكر مثلاً أن فلاناً ذو شخصية قوية ، وفلاناً ذو شخصية ضعيفة ، وفلاناً عديم الشخصية ، إلى غير ذلك من المفاهيم العامة لمصطلح الشخصية . إلا أننا نجد أن علماء النفس يتجهون وجهة علمية موضوعية في تعريف مصطلح الشخصية . وهناك العديد من التعريفات المختلفة التي تناولت مفهوم الشخصية نذكر منها :

تعريف واطسن :

« الشخصية هي مجموع الأنشطة التي يمكن اكتشافها عن طريق الملاحظة الفعلية للسلوك لفترة كافية بقدر الامكان ، وذلك لكي تعطي معلومات موثوق بها »[1]

تعريف اولبرت :

« الشخصية هي التنظيم الديناميكي في نفس الفرد لتلك الاستعدادات الجسمية النفسية التي تحدد طريقته الخاصة للتكيف مع البيئة »[2]

تعريف وودوث :

« الشخصية هي سمات الفرد كما تبدو في عاداته الفكرية ، وتعبيراته واتجاهاته ، واهتماماته وأسلوبه في العمل ، وفلسفته في الحياة »[3]

تعريف بـرت :

« الشخصية هي ذلك النظام الكامل النزعات الثابتة نسبياً ، الجسمية

---

(١) دكتور طلعت منصور : أسس علم النفس العام (مرجع سابق) ، ص ٣٣٤ .

(٢) دكتور محمد خليفة بركات : علم النفس التعليمي (مرجع سابق) ، ص ٢١٦ .

(٣) دكتور مختار حمزة : مبادئ علم النفس (مرجع سابق) ، ص ٢٤٧ .

والنفسية ، التي تميز فرداً معيناً ، والتي تقرر الأساليب المميزة لتكيفه مع البيئة المادية والاجتماعية »[1]

تعريف كاتل :

« الشخصية هي ذلك النظام الذي يسمح بالتنبؤ بما سيفعله الكائن الآدمي في موقف معين ، وبالتالي فإن الشخصية تتناول جميع أنماط سلوك الفرد الظاهرية والخفية »[2]

تعريف ماكيلاند :

« الشخصية ما هي إلا تأويل أو تفسير نظري مشتق من جميع الأنماط السلوكية لشخص ما »[3]

تعريف وارن وكارمايكل :

« الشخصية هي التنظيم العقلي المتكامل للانسان خلال مرحلة معينة من مراحل نموه ، كما تتضمن جميع الجوانب النفسية من معرفية ومزاجية وأخلاقية بالاضافة إلى مهاراته واتجاهاته التي كونها خلال حياته »[4]

تعريف ركس رود :

« الشخصية هي التوازن بين السمات التي يتقبلها المجتمع والسمات التي يرفضها أي التي لا يتقبلها من الفرد »[5]

---

(١) المرجع السابق .
(٢) دكتور طلعت منصور : أسس علم النفس العام (مرجع سابق) ، ص ٣٣٥ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) دكتور أحمد فائق ، دكتور محمود عبد العال : مدخل علم النفس العام (مرجع سابق) ، ص ٤١٧ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٤١٨ .

تعريف مورتون :

« الشخصية هي حاصل جمع كل الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوجية الفطرية الموروثة ، وكذلك الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة »[1]

تعريف كمب :

« الشخصية هي تكامل مجموعات العادات التي تمثل خصائص الفرد في تعامله مع المجتمع »[2]

وهكذا نجد تعاريف عديدة لمفهوم الشخصية يؤكد بعضها المظاهر الخارجية للفرد ، ويؤكد البعض الآخر التكوينات الداخلية للفرد ، كما يؤكد البعض التفاعل بين المظاهر الخارجية والتكوينات الداخلية للفرد .

وقد يرجع اختلاف العلماء في تعريفهم للشخصية إلى الأسباب الآتية :

١ ـ تتكون الشخصية من عمليات تنظيم وتتكامل بطريقة مستترة .

٢ ـ إن دوافع الفرد معقدة بعضها شعوري وبعضها لا شعوري .

٣ ـ إن الانسان كائن حي عضوي يسلك في المواقف المختلفة ككل .

٤ ـ إن كل تعريف للشخصية يعتمد أساساً على نظرية معينة في تفسير الشخصية يؤمن بها صاحب هذه النظرية .

العوامل المؤثرة في الشخصية

إن العوامل التي تتدخل في تكوين الشخصية لا تخرج عن كونها عوامل

---

(١) دكتور محمد خليفة بركات : علم النفس التعليمي (مرجع سابق) ، ص ٢١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

وراثية وأخرى بيئية بحيث تتفاعل معاً بطريقة دينامية . وفي الصفحات التالية نستعرض هذين العاملين باختصار .

أولاً ــ العوامل الوراثية :

تعتبر العوامل الوراثية من أهم العوامل التي تحدد بشكل واضح معالم شخصية الفرد منذ بداية حياته . فالامكانيات التي ستمكنه فيما بعد من استقبال المثيرات والاستجابة لها تدخل في نطاق وراثته ، هذا ويمكن تحديد هذه الامكانيات فيما يلي :

١ ــ **الجهاز العصبي** : يتدخل الجهاز العصبي بطريقة مباشرة في تحديد خصائص وطبيعة شخصية الفرد . وقد أسلفنا الحديث عن الجهاز العصبي ومكوناته في الفصل الرابع .

٢ ــ **الجهاز الغدي** : إن نشاط الجهاز الغدي يعتبر من العوامل التي تؤثر في الشخصية تأثيراً ربما يكون أكثر وضوحاً من تأثير الجهاز العصبي ، لدرجة أن برمان Berman وأعوانه أطلقوا على الغدد الصماء اسم « غدد الشخصية أو غدد المصير »[١] وهم يشيرون بذلك إلى أننا نرث جهازاً غدياً يطبع شخصياتنا ويوجهها إلى الخير أو الشر ، إلى الصحة أو المرض .

وقد سبق أن تحدثنا عن الجهاز الغدي في الفصل الرابع .

٣ ــ **الذكاء** : لاشك أن الفرد يتميز عن غيره بذكائه . والذكاء هو القدرة العقلية الفطرية العامة ، فهي قدرة موروثة لها دخل كبير في تحديد

(١) دكتور أحمد عزت راجح : أصول علم النفس (مرجع سابق) ، ص ٤٧٢

خصائص وسمات شخصية الفرد ، وأصبح من الممكن عن طريق اختبارات الذكاء أن نعطي تشخيصاً معقولاً للشخصية .

هذا وقد أوضحنا في الفصل الرابع كيف اهتم الاسلام بموضوع الوراثة .

ثانياً ـ العوامل البيئية :

العوامل البيئية شأنها شأن العوامل الوراثية من حيث تأثيرها في الشخصية . ويمكن تحديد العوامل البيئية فيما يلي :

١ ـ البيئة الجغرافية .

٢ ـ البيئة التاريخية .

٣ ـ البيئة الاجتماعية .

٤ ـ البيئة الثقافية .

٥ ـ البيئة النفسية .

وقد أسلفنا الحديث عن البيئة بمختلف أشكالها في الفصل الرابع ، كما تناول الفصل أيضاً اهتمام الاسلام بموضوع البيئة .

يشيع في ميدان دراسة الشخصية تفسيرات متعددة تحاول كل منها تحديد طبيعة وخصائص الشخصية في ضوء تصورات معينة . قد تتفق أو تختلف مع بعضها بدرجة أو بأخرى . مما يتعين علينا في هذا الفصل أن نستعرض أهم نظريات الشخصية نظراً لما يمكن أن توضحه هذه المناقشة لمزيد من فهم الشخصية من خلال وجهات النظر المختلفة التي تتبناها هذه النظريات .

أولاً : نظريات الأنماط (الطرز) Types

تعتبر هذه النظريات من أقدم نظريات الشخصية على الأطلاق . ويقصد بالنمط أو الطراز مجموعة أو فئة أو صنف من الناس يشتركون في صفات معينة وإن اختلف بعضهم عن بعض في درجة اتسامهم بهذه الصفة ، وفيما يلي نتناول بعض هذه النظريات :

(أ) الأنمـــاط الجســـمية

١ ـــ نظرية الأنماط المزاجية (أبو قراط) :

تقسم الناس وفق المزاج الغالب لديهم إلى أربعة أنماط مزاجية رئيسية ، وتنشأ الشخصية السوية من اختلاط هذه الأنماط الأربعة بنسب متكافئة داخل جسم الانسان ، أما إذا تغلب أحداها أدى إلى سيادة مزاج معين كما هو موضح فيما يلي :

(أ) **المزاج الدموي** : وصاحبه شخص ممتلئ الجسم ، يتميز سلوكه بالنشاط والحيوية والمرح والتفاؤل .

(ب) **المزاج الصفراوي** : وصاحبه شخص قوي الجسم ، يتميز سلوكه بحدة الطبع والعناد وسرعة الانفعال والغضب .

(جـ) **المزاج البلغمي (اللمفاوي)** : صاحبه شخص بدين يميل إلى الشره يتميز سلوكه بالخمول والبلادة وضحالة الانفعال .

(د) **المزاج السوداوي** : صاحبه شخص ضعيف ونحيل القوام ، يتميز سلوكه بالانطواء والكآبة والتشاؤم وبطء التفكير وصعوبة التعامل مع الآخرين .

٢ ــ نظرية الأنماط الجسمية (كرتشمر) :

قامت هذه النظرية على اعتقاد بأن الناس يمكن تصنيفهم على أساس أنماطهم الجسمية ، وأنالنمط الجسمي يحدد شخصية صاحبه على نحو معين ، وقد حددت هذه النظرية ثلاثة أنماط جسمية هي :

(أ) **النمط المكتنز** : وصاحبه قصير سمين ، يتميز سلوكه بسرعة التقلب بين المرح والكآبة كما يتميز بالصراحة وطيبة القلب والاجتماعية وشعاره عش واترك الآخرين يعيشون .

(ب) **النمط الواهن:** وصاحبه طويل نحيل ، ويتميز سلوكه بالأنطواء والاكتئاب والجدية وعدم التسامح مع الغير .

(جـ) **النمط الرياضي** : وصاحبه قوي ضخم الهيكل العظمي والعضلات ، ويتميز سلوكه بالنشاط والعدوان .

٣ ــ نظرية الأنماط الجسمية (شلدون) :

هذه النظرية أيضاً قامت على أساس تصنيف الناس إلى ثلاثة أنماط جسمية وهي :

(أ) **النمط البطني** : وصاحبه متضخم الأحشاء ، وتكوين شحمي متوزع على جسمه بطريقة غير متناسقة بحيث يغلب على جسمه النعومة والمظهر الكروي . ويتميز سلوكه بحب الراحة والشراهة في الأكل والميل إلى الاختلاط بالناس ، متسامح ويفصح عن انفعالاته بسهولة .

(ب) **النمط العضلي** : صاحبه يتميز بقوة الهيكل العظمي واعتداله ، ويتميز سلوكه بالنشاط العضلي وحب السيطة والمغامرة ، ويحب الصراحة ولا يتحسس لمشاعر الآخرين .

(جـ) **النمط الرخو** : وصاحبه طويل نحيف ، ويتميز سلوكه بالمحافظة والتزمت والحساسية والقلق وسرعة الارتباك ويخفي مشاعره ويحبس انفعالاته .

(ب) الأنمــاط النفســـية

ويرى بعض العلماء أن يمكن تصنيف الناس على أسس نفسية ومن حيث أسلوبهم في الحياة واهتماماتهم النفسية الغالبة عليهم . ومن هذه النظريات :

١ ــ **نظرية يونج** : التي ترى أن الناس يمكن تصنيفهم إلى :

النمط المنطوي : وصاحبه يتميز بالعزلة والتفكير الدائم في ذاته وصعوبة التكيف لما يواجهه الفرد من مواقف جديدة وكثرة الشك والريبة في نيات الناس ودوافعهم .

النمط المنبسط : وصاحبه يتميز بالميل إلى التعامل مع الناس وتكوين صلات إجتماعية سريعة ، والقدرة على الملاءمة مع المواقف الجديدة والتعبير عن إنفعالاته بصراحة .

٢ ــ **نظرية روورشاخ** : وتشبه هذه النظرية في تصنيفها للناس إلى النمط المنطوي والنمط المنبسط نظرية يونج التي تحدثنا عنها من قبل .

٣ ـ **نظرية بافلوف** : وترى هذه النظرية تقسيم الناس إلى :

النمط الاشتراطي : وصاحبه يستجيب بسرعة للمثيرات الشرطية ، ويحتفظ بالاستجابة الشرطية لمدة طويلة رغم وجود عوامل تساعد على إنطفاء هذه الاستجابة .

نقد نظرية الأنماط :

أهم ما يوجه إلى هذه النظرية من نقد هو اعتمادها على المضطربين عقلياً دون أن نأخذ في الاعتبار الحالات السوية التي تمثل الغالبية العظمى من الأفراد ، مما أدى إلى عدم صمود هذه النظرية للواقع الملاحظ لدى الغالبية العظمى من الأسوياء ، وبالتالي مطابقتها فقط على الحالات الشاذة المرضية في كثير من الأحيان .

كما أن نظرية الأنماط تعتبر جامدة حيث تشكل الناس داخل قوالب جامدة ليس بينها إتصال على الاطلاق ، وبالتالي فهي لا تؤمن بنظرية الفروق الفردية ولا بصحية هذه الفروق بين الأفراد .

ثانياً ـ نظرية السمات
جوردون أولبورت

يعتبر أولبورت من أوائل السيكولوجيين الأمريكيين الذين وضعوا الأساس الأول لنظرية السمات . والسمة في نظر أولبورت استعداد أو نزعة عامة عند الفرد تدفعه وتحدد سلوكه ، ومن ثم فهي (السمة) سابقة على السلوك وإن كان استنباطها لا يتأتى إلا من خلال هذا السلوك .[1] فالسمة بذلك مفهوم فرضي

(١) دكتور أحمد فائق ، دكتور محمود عبد القادر : مدخل علم النفس العام (مرجع سابق) ، ص ٤٥٩ .

أو متغير متوسط بين الشخصية من جهة والسلوك من جهة أخرى ، بمعنى أنها لا ترى ولكن يستدل عليها من السلوك .

ويؤكد أولبورت أنه لا يوجد شخصان متشابهان في السمة الواحدة ، فالبرغم مما قد يوجد من تشابه في بنية السمة الواحدة لدى الأفراد ، إلا أن الطريقة التي تعمل بها تكون دائماً فريدة في خصائصها عند كل فرد . فسمات كل فرد في جوهرها هي سمات متفردة . فقد يتصف شخصان بسمة واحدة وهي الخجل مثلاً ، غير أننا عندما ننظر بدقة إلى هذه السمة لدى كليهما فسنجد أن سمة الخجل لها نوعية مختلفة إلى حد ما عند كل منهما . ويمكن أن نستنتج من ذلك تشابه الأفراد في نوع السمة ولكنهم يختلفون في الطريقة التي تنتظم وتعمل بها عند كل فرد على حدة ، بمعنى ثبوت نوعية السمات لدى مجموعة من الأفراد ولكنها تختلف في مقدارها ومداها من شخص إلى آخر .

ويميز أولبورت بين ثلاثة أنواع من السمات وهي :[1]

١ ـــ السمات العامة والسمات الخاصة :

هناك سمات عامة بالنسبة لغالبية أفراد المجتمع ، والتي تميز البيئة الثقافية التي يعيشونها .

وكما أن هناك سمات عامة لأفراد المجتمع ، فهناك سمات خاصة تميز الأفراد بعضها عن بعض ، فلا يوجد شخصان (حتى في التوائم المتطابقة) لهما نفس الذخيرة السلوكية . من هنا يؤكد أولبورت على السمة التفردية للانسان التي يؤكد عليها علم النفس الفردي ، وهذه تمثل السمات الخاصة .

---

(١) دكتور طلعت منصور : أسس علم النفس العام (مرجع سابق) ، ص ٣٥٧ ـــ ٣٥٨ .

٢ ـ السمات الرئيسية والمركزية والثانوية :

يقرر أولبورت أن السمات قد تختلف في دلالتها وأهميتها في بناء الشخصية . فقد يتميز بعض الأفراد بسمة معينة قوية بحيث يظهر تأثيرها في معظم إن لم يكن كل سلوكياتهم وتصرفاتهم ، وهذه ما تسمى بالسمة الرئيسية . وبجانب هذه السمة الرئيسية تعكس سلوكياتهم ما بين خمس إلى عشر سمات وهي ما تسمى بالسمات المركزية . وبجانب هذا توجد مجموعة أخرى من السمات تبدو أقل وضوحاً في سلوكياتهم وهي ما تسمى بالسمات الثانوية .

٣ ـ السمات الوراثية والسمات المكتسبة :

كما يشير أولبورت أيضاً إلى كل من السمات الوراثية والمكتسبة ، ويميز بينها ، على أن السمات المكتسبة هي السمات المظهرية ، أما السمات الوراثية فهي السمات المصدرية .

نقد نظرية السمات :

من أبرز المشاكل التي واجهت هذه النظرية هي عدم تحديدها القاطع لأنواع وعدد السمات ، سواء الرئيسية أو المركزية أو الثانوية . ولقد قدر أولبورت هذا العدد بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف سمة . ولاشك أن هذا العدد من السمات يتباين ضخامته من مجتمع لآخر نظراً لاختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية إلى غير ذلك من العوامل التي على أساسها تتشكل مختلف السمات . ويعد هذا من أهم الانتقادات التي توجه إلى هذه النظرية .

نظريـــة العوامـــل
كاتـــل

حاولت نظرية التحليل العاملي أن تتلافى المشكلة التي واجهتها نظرية السمات وذلك برد كثرة المتغيرات (السمات) إلى قلة الوحدات تكثف كل وحدة منها مجموعة من السمات التي ترتبط فيما بينها ارتباطاً عالياً[١] . وتهدف عملية التصنيف العاملي في هذه النظرية إلى تنظيم السمات بشكل يوضح ما بينها من علاقات بأقل عدد من العوامل الأساسية . فهي تسعى إلى التبسيط العلمي لمفهوم الشخصية .

هكذا اعتمد كاتل على فنيات التحليل العاملي في تحديد السمات التي تنتظم بها الشخصية . وقد صنف كاتل السمات الشخصية بأكثر من طريقة من أبرزها التصنيفات التالية :[٢]

١ ــ من حيث الشمولية ، يقسم كاتل السمات إلى :

(أ) **سمات سطحية** : وهي أقرب في طبيعتها إلى السمات المكتسبة عند أولبورت .

(ب) **سمات مصدرية** : وهي أقرب في طبيعتها إلى السمات الوراثية عند أولبورت . وهذه تمثل ركائز ثابتة في تكوين الشخصية .

٢ ــ ومن حيث العمومية ، تقسم إلى :

(أ) **سمات عامة** : وهي السمات المشتركة والشائعة بين أفراد المجتمع .

---

(١) دكتور صلاح مخيمر ، دكتور عبده ميخائيل رزق : سيكولوجية الشخصية (مرجع سابق) ، ص ١٦٧ .

(٢) دكتور طلعت منصور : أسس علم النفس العام (مرجع سابق) ، ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

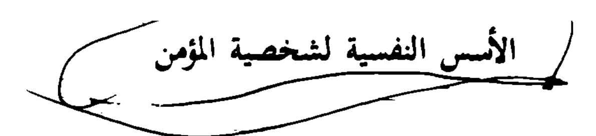
(ب) **سمات فريدة** : وهي السمات التي يتميز بها فرد معين عن غيره من الناس .

٣ ــ ومن حيث النوعية ، يقسم السمات إلى :

(أ) **سمات القدرة** : تعني طريقة استجابة الفرد لموقف معقد تحقيقاً لأهداف معينة .

(ب) **السمات الدينامية** : وتتضمن الدوافع والميول والاتجاهات وتكوينات الأنا والأنا الأعلى .

(جـ) **السمات المزاجية** : وتبدو في درجة السرعة والطاقة والمثابرة وتغطي مجموعة كبيرة من الاستجابات النوعية .



الأسس النفسية لشخصية المؤمن

تتميز شخصية المؤمن بسمات معينة ، مستوحاة من كتاب الله تعالى وسُنة رسوله الكريم ﷺ . ولاشك أن هناك العديد والعديد من السمات التي يتحلى بها المسلم ، والتي نحاول تلخيصها في النقاط التالية :

أولاً ـــ الايمـــــان :

وأركان الايمان ستة وهي : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره .

١ ـــ الايمان بالله تعالى :

الايمان بإله واحد هو رب العرش العظيم ، رب العالمين ، رب الكائنات جميعها ، مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾

(طه : ١٤)

وقوله تعالى :

﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد ﴾

(الاخلاص : ١ : ٤)

والله سبحانه وتعالى لا يغفر لمن يشرك به ، لقوله عز وجل :

﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن شاء ومن يشرك بالله قد ضل ضلالاً بعيداً ﴾

(النساء : ٤٨)

٢ ـــ الايمــان بالملائكــة :

مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته ... ﴾
(البقرة : ٢٨٥)

الملك من وصفه الذي ندركه من خلال القرآن الكريم (لأننا لا نراه) مخلوق ذو طبيعة واحدة كما ذكرنا ذلك في الفصل الأول . فالملائكة مخلوقات مفطورة على الطاعة المطلقة لله سبحانه وتعالى ، مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ﴾ (التحريم : ٦)

وخلق الملائكة سبق خلق بني آدم استدلالاً من قوله تعالى :

﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين ... ﴾ (ص : ٧١)

هذه الملائكة الكرام هم حفظة للانسان ، فترافقه وتراقبه ، وتحصي عليه كل ما يصدر عنه . ونحن لا ندري كيف يجري ذلك كله ، لأننا لم نوهب الاستعداد لإدراك الملائكة . ويكفي أن يشعر القلب البشري أنه غير متروك سدى[1] ، وأن عليه حفظة كراماً ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وإن عليكم لحافظين * كراماً كاتبين * يعلمون ما تفعلون ﴾
(الانفطار : ١٠ : ١٢)

٣ ـ الايمان بالكتب السماوية :

مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ... ﴾

(البقرة : ٢٨٥)

وقد حدثنا الله تعالى عن هذه الكتب السماوية في قوله عز وجل :

---

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن . بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٢ ، المجلد السادس ، ص ٣٨٥١ .

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾

(التوبة : ١١١)

فقد وعد الله سبحانه وتعالى المجاهدين في سبيله لاعزاز دين الله وإعلاء كلمته ، وعدهم الله تعالى وعداً قاطعاً مثبتاً في الكتب المقدسة « التوراة والانجيل والقرآن »[١]

٤ ـ الايمان بالرسل :

مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾

(البقرة : ٢٨٥)

وقد أرسل الله تعالى جميع الرسل مبشرين ومنذرين كما قال تعالى :

﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾

(النساء : ١٦٥)

٥ ـ الايمان باليوم الآخر :

مصداقاً لقوله عز من قائل :

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين .... ﴾

(البقرة : ١٧٧)

---

(١) محمد على الصابوني : صفوة التفاسير . بيروت : دار القرآن الكريم ، الجزء الخامس ، ١٩٨١ ، ص ٤٩ .

٦ ــ الايمــان بالقــدر :

قال تعالى :

﴿ إنّا كل شئ خلقناه بقدر ﴾ (القمر : ٤٩)

فكل شئ مقدراً ومكتوباً في اللوح المحفوظ من الأزل ، وما على الانسان إلا أن يؤمن إيماناً لا يتزعزع بقضاء الله وقدره .

ثانياً ــ العــبادة :

مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ... ﴾ (الاسراء : ٢٣)

وقوله عز وجل :

﴿ إنني أنا الله لا إلـٰه إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾

(طه : ١٤)

وقوله تعالى :

﴿ يأيها الناس أعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾

(البقرة : ٢١)

وقوله عز من قائل :

﴿ وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوٰة ويؤتوا الزكوٰة وذلك دين القيّمة ﴾

(البينة : ٥)

ولاحسان العبادة لله تعالى يقول الرسول ﷺ :

« أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[1]

---

(١) متفق عليه .

ثالثاً ــ التجمل بالأخلاق الفاضلة :

التي بعث من أجلها الرسول ﷺ مصداقاً لقوله ﷺ :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[1]

والأخلاق الفاضلة التي يجب أن يتحلى بها المسلم كثيرة ومتعددة ، نوجز الحديث عنها فيما يلي :[2]

١ ــ الوسطية والاعتدال :

لقوله تعالى :

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ... ﴾ (البقرة : ١٤٣)

٢ ــ التواضع لله تعالى :

لقوله تعالى :

﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾

(القصص : ٨٣)

٣ ــ طلب العلم :

لقوله تعالى :

﴿ وقل ربي زدني علماً ﴾ (طه : ١١٤)

٤ ــ العمل :

لقوله تعالى :

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة .

(٢) عز الدين بليق : منهاج الصالحين . بيروت : دار الفتح للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٩٧٨ ، ص ١٩٢ .

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾

(التوبة : ١٠٥)

٥ ــ الصـــدق :

لقوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ (التوبة : ١١٩)

٦ ــ الوفاء بالعهد :

لقوله تعالى :

﴿ أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ﴾

(النحل : ٩١)

٧ ــ الأمـانـــة :

لقوله تعالى :

﴿ ... فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ... ﴾

(البقرة : ٢٨٣)

٨ ــ الاســتقامة :

لقوله تعالى :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾

(فصلت : ٣٠)

٩ ــ العزيـمـــة :

لقوله تعالى :

﴿ ... فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾

(آل عمران : ١٥٩)

١٠ـ الشجاعة :

لقوله تعالى :

﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فأخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾

(آل عمران : ١٧٣)

١١ـ الصبر :

لقوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾

(آل عمران : ٢٠٠)

١٢ـ الشكر :

لقوله تعالى :

﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير ﴾

(لقمان : ١٤)

١٣ـ العفو :

لقوله تعالى :

﴿ إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً ﴾

(النساء : ١٤٩)

١٤ـ التعاون :

لقوله تعالى :

﴿ ... وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾

(المائدة : ٢)

١٥ـ العدالـــة :

لقوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾

(المائدة : ٨)

١٦ـ العفـــة :

لقوله تعالى :

﴿ والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً ﴾

(الفرقان : ٧٢)

١٧ـ التقـوى :

لقوله تعالى :

﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ... ﴾ (التغابن : ١٦)

١٨ـ التوكل على الله :

لقوله تعالى :

﴿ ... ومن يتوكل على الله فهو حسبه ... ﴾ (الطلاق : ٣)

١٩ـ الرحمـــة :

لقوله تعالى :

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ... ﴾

(الفتح : ٢٩)

٢٠ــ الايثــــار :

لقوله تعالى :

﴿ ... ويؤثرون على أنفسهم لو كان بهم خصاصة ... ﴾

(الحشر : ٩)

٢١ــ الانفــاق :

لقوله تعالى :

﴿ ... وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾

(البقرة : ٢٧٢)

٢٢ــ المحــبة :

لقوله تعالى :

﴿ ... ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾

(الحجرات : ٧)

٢٣ــ التفكر في خلق الله :

لقوله تعالى :

﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾

(آل عمران : ١٩١)

٢٤ــ الحــذر :

لقوله تعالى :

﴿ ... واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ... ﴾ (البقرة : ٢٣٥)

٢٥ــ حفــظ اللســان :

لقوله تعالى :

﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾

(النور : ٢٤)

٢٦ــ الخـــوف :

لقوله تعالى :

﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى ﴾

(النازعات ٤٠ ، ٤١)

٢٧ــ الحــياء :

وهو الحائل بين الإقدام على المعصية والامساك عنها ، وأنه كالسد إذا تحطم إنهمر الماء يغرق كل شئ ، فالذي لا حياء له لا سد عنده يمنعه من الإقدام على المعصية . ويتمثل الحياء في قوله عز وجل :

﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ... ﴾

(القصص : ٢٥)

إضطرابـــات الشـــخصية

إن دراسة الشخصية تؤدي بنا إلى الحديث عن موضوع اضطرابات الشخصية ، فقد أوضحنا في الصفحات السابقة مفهوم الشخصية ، وتعرضنا كذلك لبعض نظريات الشخصية التي تفسر وتبحث في مكوناتها بشكل أو بآخر . ومهما تعددت واختلفت وجهات النظر حول مكونات الشخصية فإن الفرد السوي يستطيع حفظ التوازن بين صفاته الشخصية ومتطلباته الاجتماعية . ولكن إذا حدث اختلاف في هذا التوازن ، فإن الشخص يكون معرضاً لاحدى حالات اضطراب الشخصية ، وفي الصفحات التالية نستعرض بعض هذه الاضطرابات التي قد تتناول الشخصية والتي تقسم إلى فئتين هما :

أولاً : الأمراض العصابية .

ثانياً : الأمراض الذهانية .

أولاً : الأمراض العصابية
(النفسية)

العصاب هو اضطراب وظيفي في الشخصية بين العادي وبين الذهان (إضطراب عقلي) وهو حالة مرضية تجعل حياة الشخص العادي أقل سعادة . ويعتبره البعض صورة مخففة من الذهان .[1]

وما يجدر ذكره أن العصاب ليس له علاقة بالأعصاب ، حيث أن هناك فارق بين العصاب والمرض العصبي . فالمرض العصبي اضطراب عضوي ينشأ

---

(١) دكتور حامد زهران : الصحة النفسية والعلاج النفسي (مرجع سابق) ، ص ٣٦٧ .

عن تلف يصيب الجهاز العصبي . أما العصاب فهو اضطراب وظيفي إنفعالي نفسي المنشأ يظهر في الأعراض العصابية . ومن ثم يفضل استخدام مصطلح العصاب النفسي .

هذا ويصنف العصاب النفسى إلى : القلق ، الخواف ، الوساوس ، القهرية ، الهستريا ، التفكك .. إلى غير ذلك من ألوان العصاب ، وفي الصفحات التالية نستعرض بعض هذه الأمراض النفسية (العصابية) .

١ ـ القلق Anxiety

يعتبر القلق أكثر حالات العصاب شيوعاً في العصر الحالي . وهو حالة توتر شامل ومستمر نتيجة توقع تهديد أو خطر فعلي أو رمزي ، ويصاحبها خوف غامض ، وأعراض نفسية جسمية .[١]

والقلق يشبه الخوف كما يختلف عنه ، فهو يشبهه في أنه يعتبر مصدر تهديد لكيان الفرد ، ويختلف عنه كما هو مبين بجدول (١٠) .

جدول (١٠) الفرق بين القلق والخوف

م	القلق	الخوف العادي
١	لا يكون الفرد منتبهاً إلى مصدره عادة	يكون الفرد على مستوى الشعور ويعرف مصدره
٢	يبقى رغم زوال مثيره الأصلي	يزول بزوال مثيره .
٣	قد ينشأ كرد فعل لوضع غير قائم ولكنه محتمل	ينشأ كرد فعل لوضع مخيف قائم فعلاً
٤	يوجد صراعات	لا يوجد صراعات

(١) المرجع السابق ، ص ٣٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٧٥ .

أنـــواع القلــق :

١ ــ **القلق الموضوعي (الواقعي أو السوي)** : وهو رد فعل لادراك خطر خارجي يتوقعه الفرد أو يراه مقدماً . مثل قلق التلميذ المتعلق بالتحصيل ، أو قلق الفرد المتعلق بالنجاح في عمل جديد إلى غير ذلك من ألوان القلق الواقعية .

٢ ــ **القلق العصابي** : وهو قلق داخلي المصدر ، وأسبابه لا شعورية غير معروفة ولا مبرر له .

٣ ــ **القلق العام** : وهو قلق غير مرتبط بموضوع خارجي محدد ، فيكون القلق غامضاً وعاماً .

٤ ــ **القلق الثانوي** : فالقلق يعتبر عرض من أعراض الأمراض النفسية الأخرى .

أســـباب القلــق :

هناك عدة أسباب تعد مسئولة عن عصاب القلق من أهمها :

١ ــ الاستعداد الوراثي الذي تفرضه العوامل الوراثية وقد تشترك معها أحياناً العوامل البيئية .

٢ ــ الاستعداد النفسي أو التهيؤ النفسي الذي يساعد على إظهار المرض .

٣ ــ التعرض للخبرات الانفعالية الحادة .

٤ ــ التعرض للمشكلات في الطفولة أو المراهقة أو الشيخوخة .

٥ ــ تعميم استجابات القلق العادي على جميع المواقف الأخرى .

أعـــراض القلق :

١ ــ **أعراض جسمية** : تتمثل في برودة الأطراف ، وتصبب العرق ،

واضطرابات المعدة ، وسرعة ضربات القلب ، واضطراب النوم ، والشعور بالصداع ، وفقدان الشهية ، واضطراب التنفس .

٢ ــ **أعراض نفسية** : وهي الخوف الشديد ، وتوقع الأذى والمصائب ، وعدم القدرة على تركيز الانتباه ، والاكتئاب النفس ، وعدم الثقة بالنفس ، والرغبة في الهرب عند مواجهة أي موقف من مواقف الحياة .

٢ ــ الخوف المرضي (فوبيا Phobia)
الخــــواف

هو خوف مرضي دائم من شخص أو شئ أو موقف أو مكان غير مخيف بطبيعته ، ولا يستند إلى أساس واقعي ، ولا يمكن التخلص منه أو السيطرة عليه . ولا شك أن الخوف استجابة طبيعية إزاء المواقف المهددة لحياة الفرد . فالخوف العادي هو خوف موضوعي أو حقيقي مثل الخوف من الحيوانات المفترسة مثلاً ، أما الخوف المرضي فهو خوف شاذ غير طبيعي ودائم ، كأن يخاف الفرد بدرجة غير منطقة من الأشياء التي لا تخيف في العادة ، ولا يعرف المريض سبباً منطقياً لهذه المخاوف .

أسـباب الخـوف المرضـي :

يرجع الخوف المرضي إلى عدة أسباب من أهمها :

١ ــ تخويف الأطفال خصوصاً في مرحة الطفولة المبكرة .
٢ ــ الظروف الأسرية المضطربة والغير مستقرة .
٣ ــ خوف الكبار وانتقاله للأبناء عن طريق إما الايحاء أو المشاركة الوجدانية .
٤ ــ شعور الفرد بالاثم أو الذنب .

٥ ــ يرجع أصحاب المدرسة السلوكية الخوف المرضي إلى التعلم الشرطي .

أعراض الخوف المرضي :

(أ) أعراض نفسية :

الخوف من الأماكن المغلقة أو المرتفعة أو المتسعة أو المظلمة ، إلى غير ذلك من أنواع المخاوف المرضية الغير موضوعية .

٢ ــ الشعور بالقلق (كعرض ثانوي) والتوتر الشامل .

٣ ــ ضعف الثقة بالنفس .

٤ ــ الامتناع عن بعض مظاهر السلوك العادي مثل الامتناع عن الخروج خوفاً من مهالك الطريق .

٥ ــ تسلط الأفكار الوسواسية .

(ب) أعراض جسمية :

مثل الشعور بالتعب والصداع وخفقان القلب وتصبب العرق والارتجاف واضطراب الكلام والبوال أحياناً .

٣ ـ الوساوس القهرية

Obsessive Compulsive

هو تسلط فكرة أو مجموعة أفكار معينة بشكل مبالغ فيه على ذهن الفرد باستمرار على الرغم من أنه يدرك عدم منطقية هذه الفكرة وسخفها وغير فائدتها إلا أنه لا يستطيع أن يخلص نفسه منها ، ويشعر بالقلق والتوتر إذا قاوم ما توسوس به نفسه ، يشعر أيضاً بالحاح داخلي للقيام بهذه الفكرة .

أسباب المرض :

١ ـ الصراع النفسي بين نوازع الخير والشر لدى الفرد .

٢ ـ الاحباط المستمر الذي يواجهه الفرد في المجتمع .

٣ ـ عدم الثقة بالنفس .

٤ ـ التنشئة الاجتماعية القاسية والمتزمتة .

٥ ـ الشعور بالذنب وتأنيب الضمير .

٦ ـ الحوادث والخبرات الانفعالية الصارمة .

أعراض المرض :

١ ـ تتسلط على الفرد المريض أفكار معظمها تشككية أو فلسفية أو عدوانية .

٢ ـ التفكير الخرافي والاعتقاد بالسحر والشعوذة والأحجبة والتشاؤم وتوقع الشر واحتمال وقوع الكوارث .

٣ ـ الانطواء والشعور بالاكتئاب النفسي .

٤ ـ الاستغراق في أحلام اليقظة .

٤ ــ النوبات الهستيرية : نوع من النوبات التشنجية قد تستمر من بضع دقائق إلى بضعة أيام ، وقد تكون هذه النوبات أحياناً شديدة فتشمل تحرك الجسم كله . والذي يحدث بعد النوبة أن يكون المصاب في حالة ذهول تام مما يجعله يمتنع عن الكلام ويكون سهل الانقياد .

٥ ــ فقدان الكلام : رغم سلامة أعضاء الجهاز الكلامي ، وله مظهران :

(أ) فقدان القدرة على الكلام بصوت مرتفع .

(ب) فقدان القدرة على الكلام كلية .

ويحدث نتيجة للاحباط أو القلق أو اليأس أو الشعور بالفشل .

ثانياً ــ أعـراض حسـيـة :

وتنقسـم إلـى :

١ ــ العمى الهستيري الجزئي أو الكلي ، ويلجأ المريض إلى العمى الهستيري كوسيلة للهروب من الموقف المشكل .

٢ ــ فقدان الاحساس : حيث يزول الاحساس تماماً في منطقة معينة من جسم المريض .

ثالثاً ــ أعـراض عقلـية :

من أبرز الأعراض الهستيرية التي تتصل بالناحية العقلية المرض المعروف باسم فقدان الذاكرة ، وهو على نوعين :

١ ــ فقدان الذاكرة الكامل حيث ينسى المريض كل شئ عن نفسه .

٢ ــ فقدان جزئي حيث ينسى المريض بعض حوادث معينة ، لارتباطها بالانفعالات قوية مر بها المريض .

رابعاً ــ أعـراض غذائـية :

وتتضمن هذه الأعراض مظهرين :

١ ــ فقدان الشهية .

٢ ــ الشهية الزائدة .

وتعتبر هذه الحالات المرضية نتيجة للاضطرابات الانفعالية التي يعانيها الفرد .

✗ ٥ ــ الاكتئاب [1] Depression

الاكتئاب هو حالة من الحزن الشديد والمستمر الناتج عن ظروف محزنة وأليمة ، وإن كان المريض لا يعي المصدر الحقيقي لحزنه .

ويلاحظ الاكتئاب في سن العشرينات والثلاثينات وكذلك سن القعود . كما يحدث عند الاناث أكثر منه عند الذكور .

أسـباب الاكتئـاب : ✗

يرجع البعض الاكتئاب إلى عوامل وراثية بيئية وذلك بنسبة ضئيلة جداً . وإن كان للأسباب النفسية الدور الأهم في الاصابة بالمرض ومنها :

١ ــ التوتر الانفعالي الناتج عن خبرات محزنة .
٢ ــ الحرمان وفقد الحب والمساندة العاطفية من عزيز أو حبيب .
٣ ــ فقد الكرامة أو المكانة الاجتماعية أو الصحة أو الفقر الشديد .
٤ ــ الصراعات اللاشعورية .

---

(١) دكتور حامد زهران : الصحة النفسية والعلاج النفسي (مرجع سابق) ، ص ٤٠٣ ــ ٤٠٦ .

٥ ــ الشعور المبالغ فيه بالذنب .

٦ ــ السلوك القهري ، مثل المشي مثلاً على الخطوط البيضاء في الشارع أو لمس حديد الأسوار أو عد أعمدة الانارة في الشارع أو درجات السلم إلى غير ذلك من الأفعال القهرية التسلطية .

٧ ــ السلوك القهري المضاد للمجتمع مثل هوس إشعال النيران وهوس السرقة .

٨ ــ التدقيق المفرط في النظام والنظافة والأناقة .

٩ ــ التردد الزائد وعدم القدرة على اتخاذ القرارات .

٤ ــ الهستيريا Hysteria

هو مرض نفسي تظهر فيه اضطرابات إنفعالية مع حدوث خلل في أعصاب الحركة والحس ، حيث تتحول الانفعالات المزمنة إلى أعراض جسمية ليس لها أساس عضوي ، لرغبة المريض الهروب من موقف مؤلم بدون أن يدرك الدافع لذلك ، مما يجعل البعض يطلق عليها اسم الهستيريا « التحويلية »[١] أي التي تعني تحويلاً جسمياً لأمور نفسية نظراً لأنها تعتمد على حيلة دفاعية نفسية أساسية هي التحويل ، فتحول الانفعالات والصراعات إلى أعراض جسمية كحل رمزي للصراع .[٢]

أسباب الهستيريا :

١ ــ تلعب البيئة التي يعيشها الفرد الدور الأكبر في الاصابة بهذا المرض .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٨٦ .

(٢) المرجع السابق .

٢ ــ إصابة أحد أفراد الأسرة بهذا المرض يجعل الطفل يأخذ بالاكتساب سمات الشخصية الهستيرية .

٣ ــ التعرض للصدمات العنيفة أو للحوادث مثل الحروق أو الجروح .

٤ ــ كذلك هناك بعض الأسباب النفسية المسببة لهذا المرض مثل الصراع النفسي الشديد والاحباط المستمر وخيبة الأمل في تحقيق الأهداف ، والشعور بالحيرة ، والحرمان من العطف والتدليل الزائد والتمركز حول الذات والمشكلات الأسرية .

أعــراض الهســتيريا :

إن أعراض مرض الهستيريا متنوعة ، ومن أهم هذه الأعراض :[1]

أولاً ــ أعراض جسمية وتشمل :

(أ) أعراض حركية وتتضمن :

١ ــ الشلل الهستيري ويظهر بشكل فجائي حيث لا تسبقه شكوى المريض من أية علة .

٢ ــ اللزمات العصبية الهستيرية من بينها الرشف ، تسليك الزور عن طريق النحنحة ، بل الشفاه ، تقطيب الوجه ، وهذه كلها حركات لا إرادية لا وظيفة لها .

٣ ــ التقلصات الهستيرية التي تحدث نتيجة عوامل نفسية ولا يقصد بها التقلصات الناتجة عن البرد أو الالتهابات . مثل اعتقال عضلة الأصبع عند بعض الكتاب ، وسببها لم تجد كتاباته قبولاً من المجتمع ، ومن ثم يتعرض لبعض التقلصات في أصابعه تحول بينه وبين مهنة الكتابة ، بينما يستطيع إستعمال أصابعه في أعمال أخرى غير الكتابة دون أن تصاب بتقلصات .

---

(١) دكتور مصطفى فهمي : الصحة النفسية دراسات في سيكولوجية التكيف (مرجع سابق) . ص ٢٣٣

٥ ــ الاحباط المستمر .
٦ ــ الشعور بالوحدة كالعنوسة وسن التقاعد .
٧ ــ أساليب التربية الخاطئة .

أعـراض الاكتئـاب :

أولاً ــ الأعراض الجسمية ومنها :

١ ــ انقباض الصدر والشعور بالضيق .
٢ ــ نقص الوزن نتيجة لفقدان الشهية .
٣ ــ الصداع والتعب وخاصة آلام الظهر .
٤ ــ البطء الحركي وضعف النشاط العام .
٥ ــ الضعف الجنسي عند الرجال والبرود عند النساء .

ثانياً ــ الأعراض النفسية ، ومنها :

١ ــ هبوط الروح المعنوية والحزن الشديد الذي لا يتناسب مع سببه .
٢ ــ إنحراف المزاج وتقلبه .
٣ ــ ضعف الثقة بالنفس والشعور بالنقص والتفاهة .
٤ ــ القلق والتوتر والأرق .
٥ ــ الانطواء والانسحاب .
٦ ــ التشاؤم المفرط والنظرة السوداء للحياة .
٧ ــ اللامبالاة بالنظافة أو المظهر العام أو بالأمور العادية .
٨ ــ بطء التفكير وصعوبة التركيز والتردد .
٩ ــ الهلوسات ومحاولة الانتحار أحياناً .

ثالثاً ــ الأعـراض العامـة :

١ ــ نقص الانتاج عن ذي قبل .

٢ ــ عدم التمتع بالحياة .

٣ ــ سوء التوافق الاجتماعي .

ثانياً : الأمراض الذهانية Psychosis
(العقلــية)

الذهان هو اضطراب عقلي وخلل شامل في الشخصية مما يجعل السلوك العام للمريض مضطرباً مما يعوق نشاطه الاجتماعي . ويلاحظ اختلاف العصاب عن الذهان ، ويمكن تحديد أهم الفروق الجوهرية التي تميز شخصية المريض نفسياً (العصاب) عن المريض عقلياً (الذهان) كما موضح بالجدول (١١) .

جدول (١١) الفروق الجوهرية بين المرض النفسي والمرض العقلي

المــرض النفــسي	المــرض العقلــي
١ ــ هو اضطراب يتناول شخصية المريض بأثرها فيشمل الجانبين العقلي والانفعالي .	هو اضطراب يبدو واضحاً في الجانب الانفعالي للشخصية .
٢ ــ يتميز بانحطاط واضح في قواه العقلية .	تظل قواه العقلية كما هي دون اضطراب .
٣ ــ يفقد اهتمامه بالواقع ويكون عالماً من الخيالات والأوهام .	لا يفقد صلته بالواقع وإنما يعايش الواقع .
٤ ــ ليست لديه بصيرة بمشكلته .	يكون ذا بصيرة بمشكلته ويرغب في حلها .
٥ ــ سلوكه يكون ضاراً بنفسه وبالآخرين .	سلوكه نادراً ما يكون ضاراً بنفسه أو بالآخرين .

وفي الصفحات القادمة نستعرض أمثلة لبعض الأمراض الذهانية .

١ ــ الفصــام Schziophrenia

مرض ذهاني يؤدي إلى عدم إنتظام الشخصية وتدهورها التدريجي ومن أهم خصائصه الانفصام عن العالم الواقعي الخارجي ، ويعيش المريض في عالم من صنعه هو بعيداً عن الواقع .

أنــواع الفصـــام :

١ ــ الفصام البسيط Simple Schizophrenia :

في هذا النوع يظهر على المريض تدريجياً فقدان التعبير الانفعالي المناسب ، علاوة على فقدانه الاهتمام بالمجتمع والحياة نفسها ، كما تبدو قدراته العقلية في التدهور .

٢ ــ فصــام المراهقــة :

يظهر هذا الفصام قبل سن العشرين . ويبدو على المريض الاضطراب الانفعالي الشديد فيصبح سريع البكاء والاكتئاب والتهيج ، كما يعاني من الهلاوس التي تحوم حول التغير أو التقمص أو الميلاد الثاني .

٣ ــ الفصام الكاتاتوني (الحركي) Catatonic Schizophrenia :

مريض هذا النوع قد يتخذ وضعاً معيناً لفترة طويلة دون أن يتحرك من مكانه ، فيظل مثلاً رافعاً يده فوق رأسه ليبقيها هكذا ولا يمكن لقوة أن تنزلها ، أو قد يحدق لمدة طويلة أمامه بحيث يظن أنه لا يرى .

والمصاب بهذا المرض فرد مندفع ، ولا يستبعد قيامه بأعمال عدوانية مفاجئة قد تؤدي بحياته وحياة من معه .

٤ ـ فصام العصاب الكاذب Pseudoneurotic Schizophrenia :

ومن أهم أعراض هذا النوع شدة القلق والخوف الشديد على الصحة ، وكثرة استخدام الحيل الدفاعية مثل الاسقاط والكبت والنكوص .

أســـباب المـــرض :

١ ـ الاستعدادات الوراثية تهيء الفرد للاصابة بالمرض .
٢ ـ العوامل الجسمية حيث يربط البعض بين المرض وبين النمط الجسمي النحيل .
٣ ـ العوامل الفسيولوجية مثل اضطرابات الغدد الصماء .
٤ ـ التدهور العقلي وصعوبة التفاهم مع المريض .
٥ ـ اضطراب التفكير والذاكرة والانتباه .
٦ ـ سوء التوافق الاجتماعي والأسري وفقدان الاهتمام بالبيئة .
٧ ـ اضطراب الكلام وعدم منطقيته .
٨ ـ الضعف الجسمي ونقص الوزن .
٩ ـ التردد وعدم القدرة على اتخاذ القرارات .

٢ ـ ذهان الهوس والاكتئاب Manic-depressive Psychosis

هو اضطراب عقلي تتناوب المريض حالات من الاهتياج والهوس وأخرى من الاكتئاب والهبوط دون أي سبب واضح .

أسباب المرض :

١ ـ العوامل الوراثية تهيء الاصابة بهذا المرض .
٢ ـ التركيب الجسمي البدين أكثر عرضة للاصابة بالمرض .
٣ ـ العوامل النفسية مثل اضطراب العلاقات الاجتماعية والضغوط البيئية وصعوبة التوافق معها .

أعراض المرض :

لذهان الهوس والاكتئاب دوران متميزان هما :

١ ـ نوبة الهوس (الاهتياج) Mania :

وفيه تكثر حركات المريض وكلامه ، ويحاول تنفيذ جميع ما يطرأ على ذهنه من خواطر . وقد ينقلب هذا النشاط الزائد إلى اعتداء على من حوله من أشخاص أو أشياء .

٢ ـ نوبة الاكتئاب (الهبوط) Depression :

في هذه النوبة تتبلد حركات المريض ويخمد جسمه ويفقد اهتمامه بعالمه الذي يعيش فيه ، وتسود الدنيا في عينيه مما قد يحمله على الانتحار .

وعلى ذلك ففي نوبة الهوس يوجه المريض عدوانه إلى العالم الخارجي ، أما في نوبة الاكتئاب أو الهبوط فيوجه عدوانه إلى نفسه . وقد تستغرق نوبة الهوس أو الاكتئاب أياماً أو شهوراً تتوسطها فترة من السواء النسبي للمريض .

٣ ـ اضطرابات الخلق

تنشأ هذه الاضطرابات نتيجة لعجز الفرد عن تعلم العادات الاجتماعية

وعدم إحترام المعايير الاجتماعية والقيم والقوانين .

وهناك نوعين من اضطراب الخلق :

١ ــ الانحرافات السيكوباتية :

وفيها يوجه الفرد المريض عدوانه بطريقة غير مباشرة للمجتمع .

٢ ــ الانحرافات السوسيوباتية :

وفيها يوجه المريض عدوانه للمجتمع بطريقة متعمدة .

أسـباب المـرض :

١ ــ الخبرات الصارمة في الأسرة أو المجتمع .

٢ ــ العوامل الوراثية والبيئية تهيىء للاصابة بهذا المرض .

أعـراض المـرض :

١ ــ البرود الانفعالي وعدم المبالاة والاستهتار .

٢ ــ ظهور الميول العدوانية .

٣ ــ الفشل في تكوين علاقات اجتماعية ناجحة .

المنطقية لتقبلها هو ما نسميه بالايحاء أو القابلية للاستهواء .

فبدراستنا للمواقف التي تبرز فيها القابلية للاستهواء نجد أن الموحى إليه تتلاشى عنده القوى النقدية . ولذلك يستخدم الايحاء في العلاج النفسي لبث أفكار معينة في نفس المريض مما قد يحسن من حالته النفسية . فمثلاً الهستيري المصاب بشلل في ساقه يعتقد أنه لا يستطيع المشي ، وطالما أنه يعتقد ذلك فلن يستطيع المشي . والواقع أنه يستطيع العودة إلى المشي لو تحرر من اعتقاده هذا . وعن طريق الايحاء يمكن تحريره من اعتقاده هذا وبالتالي يستطيع المشي . وهكذا يفيد الايحاء في علاج حالات الاضطراب الخفيفة ، وكذلك في علاج متاعب الحياة اليومية مثل القلق والصداع والانقباض .

٢ ــ العلاج المعقود على المريض

بلور هذه الطريقة كارل روجز الأمريكي . وهي ضرب من المقابلة الشخصية حيث يصغى المعالج لما يقوله المريض إبتغاء معونته على الكشف عن مشكلته التي يعانيها ومحاولته لفهمها بنفسه ، ووضع خطة لتدبير أمور نفسه . وبالتالي يقع عبء العلاج على كاهل المريض لا على كاهل المعالج . فما يفعله المعالج إنما هو خلق جو حر طليق للمريض لكي يفصح في سهولة ويسر عن كل انفعالاته ومتاعبه التي يعانيها .

ويرى كثيرون أن هذا النوع من العلاج يمتاز بأنه يستغرق وقت أقل بكثير مما تتطلبه بعض الطرق الأخرى . وإن كان يؤخذ عليه بأنه علاج ضحل لا يصل إلى أعماق شخصية المريض .

٣ ــ العلاج الجماعي

هو علاج عدد من المرضى ممن تتشابه مشكلاتهم معاً في مجموعات

صغيرة ، مستغلين في ذلك ما يقوم به أفراد الجماعة من تفاعل وتأثير متبادل بين بعضهم البعض من جهة وبينهم وبين المعالجين من جهة أخرى ، مما قد يؤدي إلى تغيير سلوكهم المضطرب وتعديل نظرتهم للحياة ، وحينما يرى المريض أن متاعبه ليست وقفاً عليه وحده بل يشاركه فيها غيره من الأفراد .

ولقد كان للحرب العالمية الثانية بصفة خاصة وما ارتبط بها من زيادة مضطردة في حالات الأمراض النفسية من جهة وأزمة في عدد المعالجين النفسيين من جهة أخرى من الأسباب الرئيسية التي دعت إلى الالتجاء إلى أسلوب العلاج الجماعي . ويرى الكثيرون أن من أهم مزايا هذه الطريقة هو الاقتصاد في عدد المعالجين النفسيين .

٤ ـ التحليل النفسي

هي عملية يتم فيها استكشاف الخبرات المكبوتة في اللاشعور من أحداث وذكريات مؤلمة ودوافع متصارعة وانفعالات شديدة سبب المرض ، وكذلك استدراجها من اللاشعور إلى الشعور عن طريق الاستدعاء الحر الطليق ، ثم مساعدته في حلها بقصد إحداث تغيير أساسي صحي في بناء شخصية المريض . وهنا تبدو مهارة المحلل النفسي في أن يدع الأسباب تفصح عن نفسها حتى يدركها المريض بنفسه ويعرف صلتها بحالته .

والتحليل النفسي عملية شاقة وتحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير من قبل كل من المحلل والمريض ، كما تحتاج من المحلل إلى خبرة واسعة بالنفس البشرية ومن تدريب عملي طويل .

ثانياً : العلاج الديني

يجب على المعالجين النفسيين أن يستفيدوا الفائدة الكبرى من الدين في

العـــلاج النفســـي

Psychotherapy

من هذا العرض الموجز السريع لهذه المجموعة من النماذج الانسانية المرضية غير السوية ، نستطيع القول بأن الاثم والاحساس بالذنب وعدم الرضا النفسي ، إلى غير ذلك من عوامل نقص الايمان لدى الفرد ، قد تجعله يصل إلى درجة المرض .

فالأفراد الذين يعانون من ذهان أو عصاب ، هم في الحقيقة ضحايا ضمائر مريضة أنهكتها الخطيئة والاثم ، بسبب ضعف الايمان بالله تعالى وعدم مراعاة القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية في المجتمع .

معنى هذا أن المرض النفسي في صورته المرضية هو محصلة عوامل إجتماعية وأخلاقية شاذة وغير صحيحة ، وأن الخلاص من المرض يمكن أن يتم في إطار إجتماعي أخلاقي وديني . فالانسان المريض الذي كبلته الخطيئة لذنب أو إثم أو شر ارتكبه خلال سنوات حياته ، يمكن أن يتخلص منه ، إذا ما غير الانسان اتجاهه النفسي ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ ... إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال ﴾

(الرعد : ١١)

من هنا نشأت الحاجة إلى العلاج النفسي بطرقه ووسائله المختلفة ، وهناك نوعين[١] من طرق العلاج :

أولاً : الطرق الدنياوية لاعتمادها على أساليب ومفاهيم ومبادىء اخترعها البشر .

ثانياً : الطرق الدينية لاعتمادها أساساً على المبادىء الدينية والقيم الأخلاقية والروحية السامية .

---

(١) دكتور مصطفى فهمي : دراسات في سيكولوجية التكيف (المرجع السابق) ، ص ٣٦٦ .

ويقصد بالعلاج النفسي استخدام الطرق النفسية لمعونة من اضطربت شخصياتهم اضطراباً ملحوظاً مما يقتضي إحداث تغييرات أساسية عميقة في عادات المريض وطريقة تفكيره وأسلوب حياته وفكرته عن نفسه ونظرته إلى الناس .

وللعلاج النفسي طرق شتى لكل طريقة ميدانها وميزاتها وما يناسبها من الحالات والظروق . ومع ذلك فهناك خطوات أساسية تتبعها أية طريقة كانت وهي[1] :

١ ـ معونة المريض على فهم نفسه ومعرفة مصدر إضطرابه ومشاكله أي أي معونة المريض على الاستبصار في نفسه .

٢ ـ معونته على وضع خطة للعلاج .

٣ ـ معونته على تنفيذ هذه الخطة .

وسوف نستعرض في الصفحات التالية كل من الطرق الدنياوية والدينية في العلاج النفسي .

أولا : الطرق الدنياوية للعلاج النفسي

١ ـ العلاج بالايحاء (القابلية للاستهواء)

يعرف الايحاء بأنه قبول غير نقدي للمعايير والأفكار والآراء والمعتقدات فقد تسمع حديثاً ما فتصدقه ، أو تقرأ مقالاً في صحيفة فتعتنق رأي كاتبه ، أو تستمع إلى محاضرة فتأخذ عن المحاضر أفكاره ، وفي كل هذه الحالات لا يقوم لديك الدليل القاطع على صحة الحديث أو المقال أو المحاضرة . وعلى ذلك فإن استعداد الفرد لتقبل فكرة معينة مع عدم وجود الأسباب

---

(١) دكتور أحمد عزت راجح : أصول علم النفس (مرجع سابق) ، ص ٥٨٨ .

عمليات العلاج النفسي . وذلك لأن الدين يوفر من الأمن والأمان والاطمئنان والاتزان والاعتدال ، مالم يستطيع علم النفس أن يقدمه للمريض . وعقيدتنا كما قال تعالى :

﴿ إن الدين عند الله الاسلام ﴾ (آل عمران : ١٩)

فهو خاتم الأديان ومهيمن عليها . لذا يجب الاستفادة من القرآن الكريم في العلاج النفسي ، لقوله تعالى :

﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾

(الاسراء : ٨٢)

فليس هناك أعلم بالمخلوق من خالقه عز وجل ، لقوله تعالى :

﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ (الملك :١٤)

ويقول الرسول الكريم ﷺ :

« تداووا عباد الله فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد الهرم »(١)

فالشفاء لا يتم إلا بإذن الله تعالى . من هنا تبدو أهمية الدين كطريقة فعالة من طرق العلاج النفسي .

وقد أكد كارل يونج(٢) Jung أهمية الدين ، وضرورة غرس الايمان والرجاء في نفس المريض ، كما أكد أيضاً ستيكل Stekel أهمية تدعيم الذات الأخلاقية .

ويهدف العلاج النفس الديني إلى تخليص المريض من مشاعر الاثم والذنب والخطيئة التي تهدد أمنه النفسي ومساعدته على تقبل ذاته وإشباع

---

(١) رواه أحمـــد .

(٢) دكتور حامد زهران : الصحة النفسية والعلاج النفسي (مرجع سابق) ، ص ٣٥٠ .

حاجته إلى الأمن والأمان النفسي . وأول ما يحتاجه هذا النوع من العلاج المعالج المؤمن ذو البصيرة القادرة على الاقناع والمشاركة الوجدانية .

خطوات العلاج النفسي الديني :

١ ــ الاعــتراف :

فالاعتراف أول خطوة من خطوات العلاج الديني ، وفيها يتحرر المريض من مشاعر الاثم والخطيئة ويخفف من عذاب الضمير وتأنيبه ، وبذلك يعيد إلى نفسه مشاعر الطمأنينه .

٢ ــ التوبــة :

والتوبة في نظر الامام الغزالي[1] لها أركان ثلاثة : علم ، وحال ، وفعل ؛ فالعلم هو معرفة وإدراك ضرر الذنب المخالف لأمر الله تعالى ، والحال هو الشعور الفعلي بالذنب ، أما الفعل هو مترتب على ما قبله من علم وحال ، وهو ترك الذنب والنزوع نحو فعل الخير .

وهكذا يتبع الاعتراف الرجوع إلى الفضيلة والتوبة إلى الله تعالى ، لأن الاعتراف بمفرده لا يكفي لاتمام الشفاء . فالتوبة هي المدخل إلى المغفرة . وقد أمرنا الله تعالى بالتوبة والرجوع إليه ، لقوله عز وجل :

﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً ﴾

(التحريم : ٨)

أي توبوا إلى الله توبة خالصة لله تعالى . وما يدل على ما للتوبة من فضل قوله تعالى :

---

(١) الامام الغزالي : إحياء علوم الدين ، الجزء الرابع (مرجع سابق) ، ص ٣١ .

﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (البقرة : ٢٢٢)

والله سبحانه وتعالى رؤف رحيم بعباده فيقبل التوبة عن عباده ، مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ويعلم ما تفعلون ﴾
(الشورى : ٢٥)

وعن الرسول ﷺ أنه قال :

« إن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسئ الليل إلى النهار ولمسئ النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »[١]

وهذا يعني أن باب الرحمة ، باب المغفرة ، باب التوبة مفتوح للمسئ طوال النهار والليل .

التفسير النفسي للتوبة[٢] :

(أ) تفتح التوبة أمام الانسان الأمل في تطهير النفس من الذنوب والآثام مما يجعله يشعر بالراحة النفسية مع تفاؤله بالحياة .

(ب) تؤدي إلى تأكيد الذات واحترامها ، وهذا يعد من الدوافع الهامة في بناء الشخصية .

(جـ) تؤدي إلى تقبل الانسان لذاته بعد أن كان كارهاً لها ناقماً عليها .

(د) تدفع التوبة إلى تحرر الانسان من الشعور بالذنب والخوف ، لأن المذنب يحس دائماً بالتعاسة والشقاء ، والتوتر الذي يعيق نجاحه في شتى المجالات .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) دكتور مصطفى فهمي : الصحة النفسية دراسات في سيكولوجية التكيف (مرجع سابق) ، ص ٣٧٨ — ٣٧٩ .

٣ ــ الاستبصار بالنفس (البصيرة) :

في هذه الخطوة يحاول المعالج الوصول بالمريض إلى فهم نفسه وفهم أسباب شقائه النفسي والتعرف على الدوافع الكامنة وراء إرتكاب الذنوب والخطايا ، وذلك من أجل نمو الذات البصيرة ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ بل الانسان على نفسه بصيرة ﴾ (القيامة : ١٤)

كما ورد في الأثر هذا القول :

« رحم الله امرىءٍ عرف قدر نفسه »

٤ ــ تكوين إتجاهات وقيم إجتماعية جديدة :

من خلال المراحل السابقة يبدأ الانسان في تكوين إتجاهات وقيم جديدة فيتقبل ذاته كما يتقبل الآخرين وتنمو لديه القدرة على ضباط النفس وتحمل المسئولية والقدرة على تكوين علاقات إجتماعية طيبة ، إلى غير ذلك من القيم الطيبة ، وبالتالي يتم تطهير النفس وتهذيب الضمير أو الرقيب .

ويفيد العلاج الديني في كثير من الحالات المرضية مثل حالات القلق والوساوس المتسلطة ، والهستيريا ، والخواف ، إلى غير ذلك من الأمراض النفسية .

أسلحة المؤمن

من أهم الأسلحة التي يجب أن يتسلح بها المؤمن القوي ويتحصن بها ما يلي :

١ ـ ذكر الله تعالى :

إن ذكر الله تعالى يطمئن قلب المؤمن من جهة ويذل الشيطان من جهة أخرى ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾

(الرعد : ٢٨)

وأفضل ما يكون ذكر الله بالقرآن الكريم ، فهو شفاء ورحمة للمؤمنين ، مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلا خساراً ﴾

(الاسراء : ٨٢)

وقوله عز من قائل :

﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾

(يونس : ٥٧)

ففي القرآن الكريم شفاء لما في الصدور والقلوب والأفئدة من الأمراض ، فيذهب بما يلقيه الشيطان في القلوب من وساوس وهواجس وشهوات فاسدة .

٢ ـ الاستعاذة :

ففي الاستعاذة التجاء إلى الله تعالى واحتماء به من الشيطان وحزبه . والله تعالى لا يرد من يلجأ إليه ويستعيذ به من الشيطان الرجيم . وقد أمرنا الله

بالاستعاذة به من همزات الشياطين ، فقال تعالى :

﴿ إما ينزغنك من الشيطٰن نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم * إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطٰن تذكروا فإذا هم مبصرون * ﴾

(الأعراف : ٢٠٠ ، ٢٠١)

وقوله عز من قائل :

﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك أن يحضرون ﴾

(المؤمنون : ٩٧ ، ٩٨)

٣ ــ إتباع السُنة المحمدية :

فالالتزام بالسُنة المحمدية تصرف المؤمن عن إتباع الضلال وتبعده عن الشيطان وأعوانه ، مصداقاً لقول رسول الله ﷺ :

« تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسُنتى »[1]

واقتداء برسول الله ﷺ ، الذي امتدحه الله تعالى بقوله :

﴿ وإنك لعلى خُلق عظيم ﴾ (القلم : ٤)

وقوله عز وجل :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾

(الأحزاب : ٢١)

٤ ــ إخلاص العبادة لله تعالى :

فلا شك أن إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى ، من صلاة وزكاة وصوم وحج بيت الله الحرام ، تعد من أهم العوامل التي تقرب العبد من خالقه . يقول

---

(١) رواه الحاكم .

الله عز وجل :

﴿ وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوٰة ويؤتوا الزكوٰة وذلك دين القيمة ﴾

(البينة : ٥)

طـرق قيـاس الشـــخصية

لا يفوتنا في هذا الفصل ونحن بصدد الشخصية أن نتعرض لبعض طرق قياس الشخصية والحكم عليها . فلا شك أن التقدير الصحيح للشخصية هو الذي يتناول مختلف جوانب الشخصية ، والذي يتناول أيضاً مختلف نواحي السلوك بمستوياته المختلفة ، والذي يجمع بين نتائج أكثر من طريقة من طرق قياس الشخصيه ، بحيث يصل إلى تقدير شامل للكل العام الذي نعبر عنه بالشخصية . وسنحاول فيما يلي ذكر بعض الطرق التي تساعد في قياس الشخصية والحكم عليها ، علماً بأنه ليس من السهل أن نتعرض لجميع أساليب التقدير والقياس التي تستخدم في دراسة الشخصية ، وعليه فإننا سنكتفي بذكر الطرق التالية :

١ ـــ طريقة بحث الحالة :

تعتبر الطريقة المثلى لدراسة الشخصية ، لأنها تهدف إلى دراستها من جميع الجوانب . فنجدها تتناول ظروف الماضي والحاضر وأيضاً الحالة في المستقبل . وإن كانت هذه الطريقة تحتاج إلى مزيد من الوقت والجهد ، وإن كانت نتائجها على درجة كبيرة من الصواب . وغالباً ما تستخدم هذه الطريقة في العيادات النفسية لفاعليتها .

٢ ــ طريقــة المقابلـة :

هذه هي الطريقة المألوفة التي نلجأ إليها عادة عند المفاضلة بين بعض الأفراد أو الحكم على شخصياتهم ، وعن طريق لقائهم وجهاً لوجه ، والتحدث معهم ، وملاحظة كل ما يبدو عليهم من تعبيرات إنفعالية أو حركية إلى غير ذلك من الأمور التي تساهم في الحكم على الشخصية . ومن مميزات هذه الطريقة أنها تعطي حكماً سريعاً وشاملاً إلى حد ما . لذلك يفضل استخدام المقابلة المقننة . وهي التي ترسم خطتها مقدماً بشئ من التفصيل وتوضع لها تعليمات محددة مسبقاً مما يزيد من دقة هذه الوسيلة .

٣ ــ مقاييــس التقديــر :

هذه الطريقة سهلة الاجراء ، كما يمكن إخضاع نتائجها للاحصاء . وأساس هذه الطريقة تحديد عدد من الصفات التي يراد دراستها لدى مجموعة من الأفراد ، ثم تحلل كل صفة منها إلى سلم تدريجي ، ثم تعطى قوائم الصفات إلى عدد من المحكمين الذين يمكنهم أن يعطوا أحكاماً صحيحة وصادقة عن الأفراد المراد دراستهم . وتستخدم هذه الطريقة في تقدير السمات وتحديدها بشكل كمي لدى المفحوصين .

ولتوضيح هذه الفكرة نفترض أن المطلوب دراسة مجموعة من التلاميذ في صفة معينة مثل الذكاء ، هنا توجه الأسئلة لكل مدرس من المدرسين على النحو التالي :

حاول أن تحكم على كل واحد من تلاميذك بإعطائه درجة تناسب درجة الصفة التي تناسب حالته ، هل تعتبره :

عبقري	ذكي	متوسط	غبي	ضعيف العقل
٥	٤	٣	٢	١

٣١ــ دكتور كمال دسوقي — النمو التربوي للطفل والمراهق ، دروس في علم النفس الارتقائي . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٩ .

٣٢ــ دكتور مختار حمزة — مبادىء علم النفس . دار المجمع العلمي بجدة ، ١٩٧٩ .

٣٣ــ دكتور مصطفى سويف — علم النفس الحديث معالمه ونماذج من دراسته . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٧ .

٣٤ــ دكتور مصطفى فهمي — في علم النفس . القاهرة : دار الثقافة .

٣٥ــ دكتور مصطفى فهمي — علم النفس الاكلينيكي . القاهرة : دار مصر للطباعة .

٣٦ــ دكتور مصطفى فهمي — الصحة النفسية ، دراسات في سيكولوجية التكيف . القاهرة : مكتبة الخانجي .

٣٧ــ دكتور مصطفى فهمي — الانسان وصحته النفسية . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .

٣٨ــ دكتور محمد خليفة بركات — علم النفس التعليمي . الكويت : دار القلم ، ١٩٧٢ .

٣٩ــ دكتور محمد خليفة بركات — علم النفس التعليمي (الجزء الثاني) القياس النفسي والتقويم التربوي . الكويت : دار القلم .

٤٠ــ دكتور محمد عثمان نجاتي — علم النفس في حياتنا اليومية . القاهرة دار النهضة العربية ، ١٩٦٦ .

٤١ــ دكتور محمد عمادالدين اسماعيل — المنهج العلمي وتفسير السلوك . القاهرة مكتبة النهضة المصرية .

٤٢ــ محمد علي الصابوني — صفوة التفاسير . بيروت : دار القرآن الكريم ، ١٩٨١ .

٤٣ــ محمــد قطـــب — الانسان بين المادية والاسلام . بيروت : دار الشروق ، ١٩٧٧ .

٤٤ــ محمــد قطـــب — دراسات في النفس الانسانية . بيروت : دار الشروق ، ١٩٧٤ .

٤٥ــ محمـود بـن الشـريف — الأمثال القرآنية . دار عكاظ ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ .

٤٦ــ دكتور يوسـف مـراد — مبادىء علم النفس العام . القاهرة : دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦ .

٤٧ــ دكتور يوسف مصطفي القاضي ، دكتور مقداد بالجن — علم النفس التربوي الاسلامي . الرياض : دار المريخ ، ١٩٨١ .

٤ ـــ الاختبارات الاسقاطية :

تستخدم هذه الطريقة عادة في الحكم على الشخصية في جملتها وبطريقة غير مباشرة . وتعتبر هذه الوسيلة ذات قيمة هامة في الكشف عن الجوانب الخفية اللاشعورية من الشخصية .

وتتلخص الطرق الاسقاطية في عرض مدركات مبهمة وغير محددة البناء على المفحوص ، ويطلب إليه أن يصف ما يراه . كأن يعرض على المفحوص بطاقات عليها بقع حبر غير منتظمة كما في اختبار رورشاخ Rorschach ، أو يعرض عليه صوراً مبهمة كما في اختبار تفهم الموضوع أو التات T.A.T. . والفكرة الكامنة وراء هذه الاختبارات الاسقاطية ، أن المفحوص يقوم بتأويل ما يدركه من مدركات مبهمة غامضة غير محددة البناء على أساس حالته النفسية الشعورية واللاشعورية ؛ ما يخشاه ، وما يهتم به ، وما يتوق إليه ، وما يتمناه ، وما يتوقعه ، وما يحس به ، فالمفحوص في هذه العملية يسقط ما لديه من توقعات وإنحيازات ورغبات ومخاوف شعورية ولا شعورية ، مما يساعد في الكشف عن الجوانب الخفية من الشخصية .

والله ولـي التوفيـق ،،،



المراجــــع

١ ـ دكتور إبراهـيم وجـيه — التعلم أسسه ونظرياته وتطبيقاته . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٦ .

٢ ـ دكتور أحمد زكي صالح — علم النفس التجريبي . القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٧ .

٣ ـ دكتور أحمد زكي صالح — علم النفس التربوي . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية . الطبعة الحادية عشرة ، ١٩٧٩ .

٤ ـ دكتور أحمد زكي صالح — الأسس النفسية للتعليم الثانوي . القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٢ .

٥ ـ دكتور أحمد عزت راجح — أصول علم النفس . القاهرة : المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر .

٦ ـ دكتور أحمد فائق ، دكتور محمود عبد القادر — مدخل إلى علم النفس العام . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .

٧ ـ دكتورة إنتصـار يونـس — السلوك الانساني . القاهرة : دار المعارف المصرية ، ١٩٧٤ .

٨ ـ الامـام الغزالـي — إحياء علوم الدين . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر .

٩ ـ الامـام النـووي — رياض الصالحين . دمشق : دار المأمون للتراث ، ١٩٧٦ .

١٠ــ ت . ج أنـدروز — مناهج البحث في علم النفس ــ الجزء الأول ــ ترجمة الدكتور يوسف مراد . القاهرة : دار المعارف بمصر .

١١ــ دكتور جابر عبد الحميد — علم النفس التربوي . القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٨٢ .

١٢ــ دكتور جميل صليبا — علم النفس . بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٢ .

١٣ــ دكتور حامـد زهـران — الصحة النفسية والعلاج النفسي . القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٤ .

١٤ــ دكتور حامـد زهـران — علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة) . القاهرة : عالم الكتب ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٧ .

١٥ــ دكتورة رمزية الغريب — التعلم دراسة نفسية ، تفسيرية ، توجيهية . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية . الطبعة الرابعة ، ١٩٧١ .

١٦ــ دكتور سـيد خـيري — رعاية الطفل وتطور الحب . القاهرة : دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩ .

١٧ــ سـيد قطـب — في ظلال القرآن . بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٢ .

١٨ــ دكتور صلاح مخيمر ، دكتور عبده ميخائيل — سيكولوجية الشخصية ، دراسة الشخصية وفهمها . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٨ .

١٩ــ دكتور صموئيل مغاريوس — الصحة النفسية والعمل المدرسي . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية . الطبعة الثانية ، ١٩٧٤ .

٢٠ـ دكتور طلعت منصور وآخرين — أسس علم النفس العام . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨ .

٢١ـ دكتورة عائشة عبد الرحمن — مقال في الانسان ، دراسة قرآنية . القاهرة : دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ .

٢٢ـ عبد الرحمن صالح عبد الله — مطالعات في علم النفس . القاهرة : دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى .

٢٣ـ دكتور عبد السلام عبد الغفار — مقدمة في علم النفس . القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧١ .

٢٤ـ دكتور عبد العزيز القوصي — علم النفس ، أسسه وتطبيقاته التربوية . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠ .

٢٥ـ دكتور عبد العزيز القوصي — أسس الصحة النفسية . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٥ .

٢٦ـ دكتور عبد الله النافع وآخرين — علم النفس العام . الرياض : مطبوعات جامعة الرياض .

٢٧ـ دكتور عبد الله عبد الحي موسى — المدخل إلى علم النفس . القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٧٦ .

٢٨ـ عز الدين بليق — منهاج الصالحين . بيروت : دار الفتح للطباعة والنشر . الطبعة الاولى ، ١٩٧٨ .

٢٩ـ دكتور فائز الحاج — بحوث في علم النفس العام . الرياض : المكتب الاسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٦ .

٣٠ـ دكتور فؤاد البهي السيد — الأسس النفسية للنمو . القاهرة دار الفكر العربي . الطبعة الرابعة ، ١٩٧٥ .